

نشرة فصلية تعنى بالشؤون القرآنية

● العدد الثاني ● ربيع الثاني جمادى الأولى، جمادى الثانية ١٤١١ هـ

رسالة القرآن

نشرة فصليّة تعنى بالشّؤون القرآنيّة
تصدرها دار القرآن الكريم

المراسلات:
الجمهورية الاسلامية الايرانية : قم ـ
دار القران الكريم
ص . ب ۳۷۱۸۵/۱۵۱





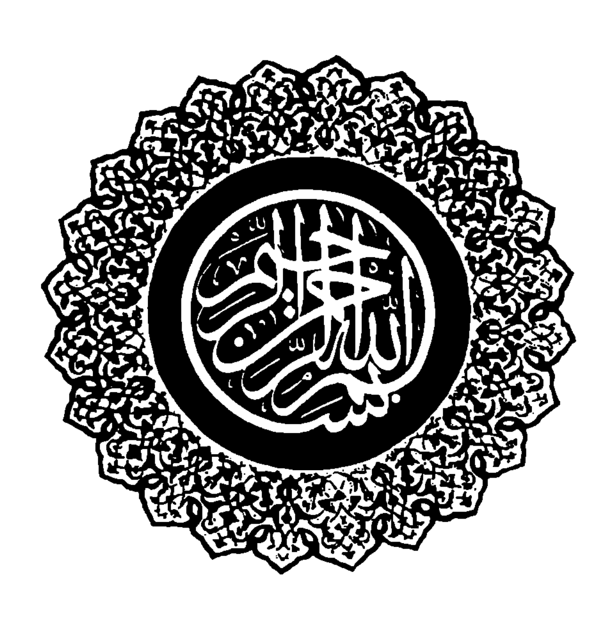
- النشرة متخصصة بالدراسات والشؤون القرآنية
- ترحب رسالة القرآن بكل نتاج ينسجم واهتماماتها القرآنية.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ما يرد في المقالات من افكار يتحمل الكاتب مسؤوليتها
- النشرة غير ملتزمة بأعادة المواد التي تتلقاها للنشر.

الثمن: ٥٠ توماناً أو مايعادلها

المحتويات

* دراسات عامة:

* منتدىٰ الرسالة:



حتى لا نتخذ هذا القرآن مهجورا!

«وقال الرسول: يا رب إن قومي اتخذوا
هذا القرآن مهجورا» الفرقان/ ٣٠.



اقتضت سنّة الله أن يكون الانسان المسلم في صدر الرسالة - والذي شّرفه الله بالاستخلاف - على موعد مع نقلة حضاريّة نوعيّة هائلة، لم تبق حبيسة رقعة المكان او أسيرة بُعد الزمان ... وإنما تعدتهما الى حيث الأفق الأرحب، فاصبحت البشرية التائهة امام تجربة عملاقة فريدة ... لا تزال تتبوأ هامة التاريخ الذي يفتخر بها، كما و يشهد بعظمتها الاعداء قبل الاصدقاء.

وكيف لا يكون كتاب الله دليلاً للحائرين والمتعبين .. وقد قال فيه ربّ العزة: **«يـا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربِّكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين»**؟! وقال ايضاً مخاطباً الرسول الأكرم (ص): **« و إنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين و إنّه لفي زُبر الاوّلين»**.

لقد فعلت الظاهرة القرآنية فعلها في النفوس الظامئة الى واحة الايمان، وحققت نجاحاً منقطع النظير في مخاطبة العقل والوجدان وتمكنت من التسلل الى سويداء قلب ذلك البدوي الذي انفتح على الدنيا عقيدة وفكراً وقيماً وسلوكاً .. وحضارة!

وعبـر الحـوار الذي خاض في امهات القضايا الملّحة، وعن طريق الاقناع والخطاب الواعي تصالح البدوي مع فطرته التي لوثتها الجاهلية الأولى بادرانها، فاكتشف ذاتـه وانسانيته وعرف دوره التاريخي في مسار الركب الرباني، وراح يواجه اعراف المنطق الوثني المتخلّف بكل غطرسته وغروره وصلفه وخوائه، حاملاً معوله للهدم والبناء .. في محاولة لفتح ثغرات في تلك السدود والقيود .. لكي يتسنىٰ له أن يطل علىٰ محيطه الغارق حتىٰ هامته في مستنقع الرذيلة والتردي والظلم والقهر ...وليتفاهم معه ـ في النهاية ـ بغية اعادته الى السبيل السّوي، بعد أن تنكّب دهراً طويلاً طريق الهداية والرشاد.

ويتحرك الرسول الأكرم محمد بن عبد الله (ص)، ومعه ثلة من الأولين .. وتتحرك معه الرسالة وتمتد .. وتتمدد مساحتها .. فتدخل عبر الابواب .. والنوافذ .. والمسامات .. وتخطو خطوات هائلة في لحظات قصيرة من عمر الزمن .. بيد أنها عظيمة في حركة التاريخ ومسيرة الرسالات.

الداعية الأول والذين آمنوا برسالته كانوا لا يخرجون من مواجهة عنيفة حتىٰ يستعدوا لأخرى اعنف واكثر ضراوة. وفي واحدة من تلك اللحظات الحاسمة والمواقف الصعبة حيث عظم فيها البلاء واشتد الخوف، حتىٰ ظن المؤمنون كل الظن .. يضرب لنا منقذ البشرية وسيد الكائنات درساً عظيما في المقاومة والتحدي .. والأمل .. ففي الوقت الذي كان يضرب بمعوله صخره غلظت علىٰ سلمان الفارسي ـ خلال الانهماك في حفر الخندق ـ كان يعد اصحابه فتح اليمن والشام والمشرق .. فيما أخذ احد المنافقين يقول: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يأمن علىٰ نفسه ان يذهب الى الغائط!!

وبالصبر الذي تدّرع به جيل الرسالة.

وبالاصرار علىٰ مواصلة الطريق مهما كانت التضحيات والتحديات.

وبالعرق .. والدم.

وبالتقوى والفضيلة .. تمكن جند الله ـ الذين لم يألوا جهداً .. ولم يبخلوا

بشيء ـ من تحطيم عرشي كسرى وقيصر .. والاحاطة بكل الطواغيت، واكتساح كل مظاهـر الصنمية.. تمهيداً لايصال كلمة السماء الى كل المقهورين والمعذبين في الأرض بجهاتها الأربع. وأينما يمّموا وجوههم .. واينما حلّوا برحالهم .. كان القرآن دليلهم الأول ومرشدهم الأهدى وكتابهم الأكبر .. ففتحوا الدنيا وملأوها رحمة .. وهدىً .. وعلماً .. ومجداً .. وعدلاً.

* * *

ويـدور الزمن دورتـه .. واذا باحفاد رهبان الليل وفرسان النهار بالأمس يتخلون عن حمـل الأمـانة الثقيلة، فيـخلدون الى الأرض، ويتهالكون على متاع الحياة الدنيا **«وخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّا»** . وتمضي فيهم سُنّة الله كما مضت في الذين سبقوهم **«سُنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلا»** . وإذا بهم ـ في خاتمة المـطاف ـ عالة على انفسهم ومجتمعم ورســالتهم، فزال عنهم رويـداً رويـداً الاستخلاف والتمكين والتأمين .. (وصاروا الى الغثاء الذي تتداعى عليه الأمم لتفتك به كما تتداعى الأكلة الى قصعتها كما حدّث الرسول «ص»).

وها هي ـ اليوم ـ الامم تتداعى على هذا الغثاء .. وها هي مخططاتهم تملأ الرحب، وها هو وزير المستعمرات البريطاني «غلادستون» يصّرح في مجلس العموم البريطاني عام ١٨٩٤، وهو يخاطب النواب وبيده نسخة من القرآن الكريم قائلاً:

«مادام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع ان نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود، أو نقطع صلة المسلمين به»!

وبـالفعـل تحّـرك المرجل .. وأُحكم الحصار بواسطة حراب العسكر تارة والاختراق الثقافي أُخرى، ويعينهم في تنفيذ ذلك المخطط الخبيث جيش جرّار من الجواسيس والعملاء الفكريين والسياسيين .. ونُحيّ القرآن من موقعه الريادي، وصار في أحسن الحالات تحفة تنام في الرفوف العالية، اوصوتاً رخيماً يُتلى في المآتم وعند المقابر، وفي المحافل العامة، او زينة تتدلى على الصدور الخاوية من تعاليمه!

بالمقابل .. نهض لدرء المفسدة بعض الغيارى من المسلمين، وللوقوف بوجه هذا التداعي أقاموا المشاريع القرآنية، وكتبوا، وخطبوا، واسمعوا صوتهم للذين يسمعون والذين لا يسمعون .. ورغم الجهد المأجور، فأن ثمة خللاً منهجياً اعترى تلك الجهود ـ منذ البداية ـ لذا لم تُعطِ نتائجها المرجوّة. وباختصار شديد إن تلك الجهود العديدة وزعّت اهتماماتها على معالجة الاعراض .. دون أن يتقدم مبعضها خطوة رائدة نحو المرض نفسه!

لقد بُذلت مساع عديدة لخدمة القرآن ولكنها لم تُسفر عن نتائج مرضية، بسبب طبيعـة الاساليب ونمطيتها المرتجلة ـ لطغيان ردود الفعل عليها ـ وكانت المحصلة عبارة عن مجموعة نشاطات محدودة التأثير، فضلاً عن أنها لم تطرق باب المشكلة الجوهرية، وذلك من قبيل مسابقات التلاوة ـ التي يتبارى فيها أصحاب الأصوات الشجيّة ـ والتي يتفاعل فيها المستمعون مع الصوت اكثر مما ينشدون الى الفكر، وبذا فقدت تلك المحاولات الاصلاحية قيمتها، واختفت الآمال المرجوّة وسط اصوات الاستحسان المنفعلة باللحظة الآنيّة واجوائها العبقة.

على صعيـد آخـر، تراجعت دائرة الاهتمام القرآني.. وأمست الدراسات القرآنية أسيرة التخصصات الاكاديمية المجردة الباردة .. فيما كان حصة القرآن من درس الدين، في مدارسنا مأساة أُخرى تحكي ظلامة هذا القرآن المهجور .. وتصل الطامّة الى مدياتها النهائية حينما تُسند مهمة تدريسه الى بعض العلمانيين، والنصارى، والملحدين!! او بعض (ابناء) المسلمين ممن لا يحسن أن يتلو آية من الذكر الحكيم..!!

ومـا بين هذه وتلك .. بدا للمسلم العادي أن هناك ثمة حاجزاً بينه وبين القرآن وفهمه وتدبره والاهتمام به وتعلمه وتعليمه.. وكانت تلك الفجوة المروعة .. وكان ذلك الفصام النكد!. وبالتالي كنا امام أجيال لا تفقه من كتاب الله المهجور آية واحدة، في حين تحفظ عن ظهر قلب الكثير مما يضر ولا ينفع!

أليس هذه مأساة .. إن لم تكن الكارثة بعينها؟!

أين الجاهلية المعاصرة من مثيلتها الأولى حينما كان عليّة القوم من مشركي مكه يتسللون خفية الى المكان الذي كان يتلو فيه الرسول الأكرم (ص) ما يتيسر له من آيات بيّنات وينفضّون وقد اعتراهم الانبهار، وسحرهم البيان «**و إن من البيان لسحرا**».

ألم يأسر الأدب القرآني الرفيع لب صاحب الناقة الذي يجوب الصراء؟ وحينما تتناهى الى سمعه بعض آيات كريمات تُتلى في هدأة الليل..او صحوة الفجر..او صخب النهار.يستوقفه سماعها، ويشدّه جرسها، وتهزه ايقاعاتها، وتتحسس كل جوارحه لهذا البيان الذي لم يألفه، رغم أنه ابن البيئة التي تتباهى بباعها الطويل في البيان والفصاحة!

* * *

اليوم ونحن نعيش إرهاصات عودة الاسلام الى المسرح مما يبشّر بخير، وتنامي الاهتمام بالقرآن نشهد بوادره العديدة، مما يُنبيء عن صحوة ميمونة في هذا الاتجاه.

ونحن في «رسالة القرآن» الذين حبانا الله تبارك وتعالى في حمل الهمّ القرآني نعترف بشجاعة .. أن المهمة التي انبرى لتحملها هذا المنبر الاعلامي والوليد المبارك ليست بالسهلة.

إنها ثقيلة .. لأنها نوعيّة ـ ولسنا بصدد الاطراء للذات والعياذ بالله ـ ولما كانت كذلك فلا تتردد من الاعتراف، ولّما نزل في اول الطريق ـ وهي الخطوة الأولى في مسيرة الألف ميل ـ بأننا نتلمس البدايات .. ونشق الطريق للذين يريدون أن يساهموا في تعبيده.

إن مهمة إعادة الوفاق بين المسلم وكتاب الله العزيز .. وترميم ما أفسده المفسدون يفوق قدراتنا المتواضعة. إنها ـ وليس من شك في ذلك ـ مهمة حضارية كبرى، تحتاج الى مزيد من تظافر الجهود، وتكاتف المساعي، وتلاقح الافكار، والتنسيق والمنهجية .. وتلك هي مهمة تنتظر المؤسسات الاسلامية المتخصصة

والمعاهد العلمية كالحوزات والجامعات ومراكز البحث والتحقيق والتي تصدّت لحمل الرسالة والدعوة الى الله.

والى أن يتحقق هذا الهدف (الحلم) الضرورة .. مطلوب من اتباع القرآن أن يعودوا عودة صادقة، مخلصة، واعية الى سر الانتصار على النفس والهوى والشرك والشيطان .. حيث النبع الالهي الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ..على أن لاتكون هذه العودة ـ والعود أحمد ـ عودة عفوية، عاطفية، ساذجة.

إنها ـ اذن ـ عودة مشروطة:

* نستنطق فيها القرآن كأنه أُنزل علينا، ويحضرنا في هذا المجال مقولة المفكر المسلم «محمد اقبال»: (اشدّ ما أثر في حياتي نصيحة سمعتها من أبي: يا بُني اقرأ القرآن كأنه أُنزل عليك).

* نتدبره بعمق..

* نعايشه بصدق..

* نعيش أجواءه

* نعطيه حقه مما يستحق لأنه كتاب الانسانيّة الأكبر.

* نتفيأ ظلاله ..باعتباره حياة ومنهج حياة.

* نحتكم الى شريعته السمحاء..خاتمة الرسالات التي أنزلها الله سبحانه **(تبياناً لكل شيء)**.

ثم.. أليس الاسلام هو القرآن؟

وصدق الله العلي العظيم إذ يقول ـ وقوله الحق ـ **(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر)**؟

التحرير

* * *

القرآن الكريم
أهمية دوره وكيفية التفاعل معه

الشيخ محسن الأراكي

دار القرآن الكريم

تؤكّد النصوص الاسلامية في الكتاب والسُّنة على المركزية والمرجعية العليا للقرآن بالنسبة الى الوجود الاسلامي في نظامه وتشريعه وسياسته وكل وكل ماينطوي عليه.

فالقرآن هو القاعدة التي يرتكز عليها كل البناء الإسلامي بكافّة تفاصيله وجزئياته، ولابدّ لكل حكم أو أمر أنْ ينتهي في منابعه ومنطلقاته الى القرآن وليكون إسْلاميّاً ومشروعاً من وجهة النظر الاسلامية

قال تعالى: «**وما فرّطْنا في الكتاب من شيءٍ**».

(الأنعام/ ٣٨)

وقال تعالى: «**وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبِعوه واتقوا لعلكم ترحمون**».

(الأنعام/ ١٥٥)

وقال تعالى: «**ولقد جئناهم بكتابٍ فَصَّلناه على علمٍ هدىً ورحمةً لقومٍ يؤمنون**».

(الأعراف/ ٥٢)

وقال تعالى: «**والذين يُمسّكون بالكتاب وأقاموا الصلاةَ إنّا لانضيعُ أجر المحسنين**».

(الأعراف/ ١٧٠)

وقال تعالى: «**ما كان حديثاً يُفترى، ولكن تصديقَ الذي بين يديه وتفصيل كل شيءٍ وهدىً ورحمةً لقوم يؤمنون**».

وقال تعالى: «**وما أنزلنا عليك الكتاب إلاّ لتبيّنَ لهم الذي اختلفوا فيه**».

(النحل/ ٦٤)

وقال تعالى: «**ونزلنا عليك الكتاب تِبياناً لكل شيءٍ وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين**». (النحل/ ٨٩)

وقال تعالى: «**إنَّ هذا القرآنَ يهدي للتي هي أقومُ**».

(الإسراء/ ٩)

وقال تعالى: «**الحمد للّه الذي أنزل على عبده الكتابَ ولم يجعل له عِوَجاً قيماً**».

(الكهف١ـ٢)

وقال تعالى: «**وإنه لَكتابٌ عزيزٌ لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد**».

وقال تعالى: «**إنّه لقولٌ فصلٌ وما هو بالهزل**».

(الطارق/ ١٣، ١٤)

فهذه الطائفة من النّصوص القرآنية المباركة نشير الى نقاط ثلاث:

الأولى: أنّ القرآن يحوي على كل ماتحتاجه البشريّة على مرّ الأزمنة والعصور وأنه تبيان كل شيء وتفصيل كل شيء. وأنّه لم يُفرَّط فيه من شيء، فهو يتكفل لإنسان الأرض بكل مايبلغ به غاية الهناء و يلبّي له كلّ متطلّباته بأحْسن وجه.

الثانية: وجوب التطبيق الكامل الدقيق لمبادىء القرآن ودساتيره وتوجيهاته ونظمه وإنّ من الألزام المحتّم على كل مسلم أن يجري في سلوكه وحياته العملية خلْف الهدي القرآني وفي ضوء التوجيهات القرآنية، فاتباع القرآن والتمسك به من أولى الفرائض الإسلاميّة وأهمّها.

الثالثة: أن الطريق القرآني طريق لا عوج فيه ولا غموض بل هو طريق يشعّ بأنوار الهدى، واضح المسالك، مُعَبَّدُ المَوْطيء، قصير المدى، فهو الأقوم، وهو البريُء الخالص عن كل باطل وزيغ لآيأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومن هذا ينتج لنا أن القرآن العظيم هو النّبع الذي تنبثق منه كل المفاهيم الإسلامية والتشريعات والدساتير والنظم والمبادىء والأفكار التي تشكل الهيكل العام للشريعة الإسلامية.

وقد أكّد الرسول الأعظم على مصدريّة القرآن ومرجعيّته التي أشرنا إليها وواصل أهل البيت عليهم السّلام التأكيد على ذلك ودعوة المسلمين الى الرجوع الى القرآن والتمسّك به.

فقد روى عن رسول اللّه:

«كتاب اللّه، فيه نبأ ما قبلكم وخبر مابعدكم، وحكم مابينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي مَن تركه قصمه اللّه، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه اللّه، فهو حبل اللّه المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لاتزيغ به الأهواء، ولاتلتبس به الألسنة»[1].

وقال امام المتقين عليّ عليه السلام:

واعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصح الذي لايَغُشُّ، والهادي الذي لايُضِلّ، والمحدِّث الذي لايكذب ـ الى أن يقول ـ فكونوا من حرثِته وأَتْباعِه، وَاسْتدلُّوه عَلى

ربّكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتّهموا علَيه آراءَكم، واستغشّوا فيه اهواءَكم»[٢].

وقال عليه السلام:

فالقرآن آمر زاجر، وصامت ناطق، حجّة اللّه على خلقه اخذ عليهم ميثاقه وارتهن عليه أنفسهم، أتمّ نوره، وأكمل به دينه وقبض نبيّه صلى اللّه عليه وآله وقد فرغ الى الخلق من احكام الهدى به»[٣].

وقال الامام الصادق:

«اذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضواهما على كتاب اللّه فما وافق كتاب اللّه فخذوه، وما خالف كتاب اللّه فردّوه»[٤]

وعنه ايضاً:

«مالم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف»[٥].

كل هذا وغيره كثير من أحاديث أهل البيت المؤكدة على هذه المصدريّة العليا والمرجعيّة التي يحتلّها كتاب اللّه بالنسبة للدّين الأسلامي.

وينتج من هذه المصدريّة التي يستمتع بها كتاب اللّه أن يكون هو المقياس الأوّل والأعظم لقيمة الأفكار والآراء والمفاهيم فكل مفهوم وآيّة فكرة إنما تتحددّ قيمتها وتأخذ حظّها من الخطأ والصواب في المنطق الأسلامي بمقدار ما توافق كتاب اللّه وتنسجم مع مبادئه وبما تواكب أهدافه ومقاصده.

وهذه الحقيقة تعني أن يكون كتاب اللّه ضماناً حقيقياً لتابعيه ومتمسّكيه والمستضيئين بنوره من الانحراف او الضلال والزيغ.

فما دام كتاب اللّه محاطاً برعاية السّماء مصوناً عن عبث الأهواء وتلاعب الأغراض فمن سار في موكبه واعتصم بحبله واستمسك بعروته فهو آمن مِن التّيه والضلال مطمئن من التردّي والانزلاق.

التفاعل مع القرآن

وقد خلصنا من الموضوع السابق إلى نتيجة أنّ القرآن هو النقطة المركزيّة في الاسلام، التي تشدّ الى نفسها المهتدين بهديها والمتبّعين لأمرها وتحفظهم من كل مسّةٍ شيطانيّة وبهذا اصبح القرآن القوة العظمى التي يبقى ببقائها الإسلام.

ونودّ أن ننتقل من هذا الى حديث مقتضب عن هذا الانشداد الى القرآن والاتّباع المطلق له مما هو أقرب الوسائل وايسرها الى تحصيله والذي اشار ائمة الاسلام وقادته اليه.

ولاشك ان هذا الاتباع والانقياد انما يحصل في ايسر طرقه بالاقتراب المتزايد من كتاب اللّه والانتهال من نبعه الصافي ومورده العذب.

وافضل سبل هذا الاقتراب والارتشاف من معين القرآن هو التفاعل الحقيقي مع كتاب اللّه والمواكبة الصادقة مع وحي

السمّاء.

وتعني بالتفاعل معه الامتزاج مع القرآن وامتزاج القرآن مع الأنسان روحاً وعقلاً وعاطفة وعملاً وهدياً وسلوكاً.

فالتفاعل في واقعه هو أن تتأثر بالأثر الذي يريد القرآن ان يخلّفه في الوجود الإنساني فإنّ كانت الآية آية عقاب فحقيقة التفاعل معها هي أن نعيش هذه الآية مضمونها ومعناها بأرواحنا وعقولنا وجسومنا وإن كانت الآية آية أمر وتوجيه فسنستشعر بقلوبنا حين قراءتها وتلاوتها بَرد الخضوع للّه والتسليم المطلق له، وإنْ كانت الآية آية إنذار وردْع ونهي فنطوي بضمائرنا على التزام الارتْداع ونضمر للّه كمال الخلوص والانقياد.

ومن الطبيعي ان تنعكس هذه الأحاسيس والالتزامات القلبيّة الخالصة على سلوك القارىء وعلى اعضائه وجوارحه مادام ذلك التأثر تأثراً واقعيّاً حقيقياً وذلك الانقياد انقياداً خالصاً عن شوائب الأهواء بريئاً من علائق النزعات.

وقد دعا قادة الإسلام جماهير المؤمنين إلى هذا التفاعل والانسجام مع القرآن واكدّوا عليه وجسدوا في كلماتهم وتوجيهاتهم معاني التسليم والانقياد والتفاعل الحقيقي مع كتاب اللّه.

وفيما يلي نصوص من أئمة اهل البيت تتجلّى في خلالها حقيقة التفاعل القرآني.

قال أمير المؤمنين علّي عليه السلام في خطبته حول وصف المتقين:

«أمّا اللّيْل فصافّون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتّلونه ترتيلاً، يحزّنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم فإذا مرّوا بآيةٍ فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّها نصب اعينهم، واذا مرّوا بآيةٍ. فيها تخويفٌ، أصْغَوْا إليها مسامع قلوبهم وظنّوا أنّ زفير جهنّم وشهيقَها في أصول آذانهم»..

فلنطالع قوله عليه السلام: «يستثيرون به دواء دائهم» لنفْهم كيفَ أن الذين سَمَوْا في مدارج التّقى وارتفعوا في سماء النّهى غاروا وتوغّلوا في عالم القرآن فاستنطقوه اسرار الحياة واستوهبوه دواء معضلاتهم الكبرى وكيف أنهم طالعوا القرآن لا ككلمات يمروّن بها ويلقون نظرة عابرة عليها وانما نظروا إلى القرآن كمشاهد ماثلة أمامهم وعوالم متجسّدة فيماحولهم فنار القرآن ليست نار الكلمة وانما هي نار الزفير والشهيق، وجنّة القرآن ليست هي جنّة العبادة وإنّما هي جنّة الأشواق التي تطير اليها نفوس المتقين وتحلّق في أجوائها أرواح المؤمنين.

وتتجسّد صورة رائعة اخرى لهذا التفاعل في كلام الإمام زين العابدين عليه السلام في المأثور عنه في ختم القرآن:

«اللّهُمَّ صلِّ على محمد وآله واحطط بالقرآن عنّا ثقل الأوزار وهب لنا حُسْن شمائل الأبرار، واقفُ بنا آثار الذين قاموا لك به آناءَ اللّيل واطرافَ النّهار، حتىّ تطهّرنا من كلِّ دَنَسٍ بتطهيره وتقفو بنا آثار الذين استضاؤوا بنوره، ولم يُلههم الأَمَلُ عن العمل فيقطعهم بخُدَع غروره.

اللّهم صلِّ على محمدٍ وآله واجعل القرآن لنا في ظُلَمِ اللّيالي مونِساً من نزغات الشيطان، وخطرات الوساوس حادساً، ولأقدامِنا عن نَقْلها الى المعاصي حابساً، ولألسنتنا عن الخوضِ في الباطل من غيرما آفةٍ مُخرساً، ولجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجراً، ولِما طَوَتِ الغَفْلَةُ عَنّا من تَصفُّح الاعتبار ناشراً، حتى توصل الى قُلوبنا فهم عجائبه وزواجر أمثاله التي ضَعفت الجبال الرواسي عن احتماله»[٦].

في هذه المقاطع البليغة تجسّمت أمامنا صورة رائعة من التفاعل القرآنّي، ذلك التفاعل الذّي ينفذ الى أعماق الروح والنفس البشريّة فيغسل عنها دَرَن الوساوس والشكوك واقذار الانحرافات ودنس المعاصي ثم تنعكس على جوارح الانسان القرآني فتحبس قدمه عن ان تطأ مسالك المعاصي، ولسانه عن الخوض في الترّهات والأباطيل، وتمسك بأعضائه عن ان ترد موارد الآثام.

وقد اكّد الإسلام على هذا التفاعل تأكيداً بليغاً وقد وردت عن الرسول وأئمة أهل البيت نصوص تحثّ بإصرار على قراءة القرآن بروح التفاعل والتفاهم. فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال:

«إنّ رسول اللّه أتى شباباً من الأنصار، فقال: إني أريد أن أقرأ عليكم فمن بكى فله الجنّة، فقرأ آخر الزمر: وسيق الذين كفروا الى جهنّم زمراً.... الى آخر السورة، فبكى القوم جميعاً الاّ شاباً، فقال يارسول اللّه! قد تباكيت فما قطرت عيني، قال إني معيد عليكم فمن تباكى فله الجنّة، فأعاد عليهم فبكى القوم، وتباكى الفتى، فدخلوا الجنّة جميعاً»[٧].

وعن علي بن أبي حمزة، قال: دخلت على أبي عبد اللّه(ع) فقال له ابو بصير: جعلت فداك: أقرأ القرآن في شهر رمضان ليلة؟ فقال: لا، قال: ففي ليلتين؟ فقال: لا، فقال ففي ثلاث؟ فقال: ها، واشار بيده، ثم قال: ياأبامحمد: إنَّ لرمضانَ حقاً وحرمة لايشبهه شيءُ من الشهور، وكان أصحاب محمد صلى اللّه عليه وآله يقرأ أحدهم القرآن في شهر أو أقل إنّ القرآن لايقرأ هذرمة، ولكن يرتّل ترتيلاً، وإذا مررت بآية فيها ذكر الجنّة فقف عندها وسل اللّه الجنّة، وإن مررت بآية فيها ذكر النّار فقف عندها وتعوّذ باللّه من النار»[٨].

وقد خلصنا من هذا الاستعراض إلى أنّ التفاعل القرآني هو الذي يجسدّ في

الواقع جوهر الاتّصال بالقرآن وهو الذي تتحقق به مصدريّة القرآن ومركزيّته في صورتها الاسلامية المطلوبة.

الإتّصال بالقرآن

عرفنا في الأحاديث السابقة ما يتمتع به القرآن في الاسلام من محورية ومركزيّة وعرفنا أن القرآن إنما يقوم بهذا الدور المحوري في كيان الفرد المسلم اذا تفاعل هذا مع كتاب اللّه وأعطى من نفسه لكتاب اللّه مايريد.

وإذا كان هذا التفاعل غير ممكن دون أن يتّصل الفرد المسلم بكتاب اللّه وان تخلق بينهما مناسبات تمهّد ارضيّة التأثر بكتاب اللّه في نفس المسلم وتفتح في كيان المؤمن نوافذ وابواباً تنفذ منها اضواء الهداية القرآنية وانوار الوحي السماوي الى قلبه وروحه وعقله، إذْ كان ذلك لايتم إلّا بأنْ يتّصل الفرد المسلم بكتاب اللّه فقد خلق الإسلام مناسبات وطرقاً شتى لهذا الاتّصال والارتباط بالقرآن، وفيما يلي أهم الطرق والمناسبات التي خلقها الاسلام في المجتمع المسلم للانشداد إلى القرآن والاتّصال به:

الطريق الأوّل: تلاوة القرآن، وقد تتابعت توصيات قادة الإسلام على تلاوة القرآن وقراءته وبلغ التأكيد على ذلك من قبلهم مبلغاً عظيماً فقد روى عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله: من قرأ مئة آية لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ مئتي آية كتب من القانتين، ومن قرأ ثلاثمئة آية لم يحاجّه القرآن(٩).

وعن الصادق عن آبائه عليهم السلام عن رسول اللّه(ص) من كان القرآن حديثه، والمسجد بيته، بنى اللّه له بيتاً في الجنّة(١٠) وفي بعض ما أوصى به النبي(ص) أباذر: عليك بتلاوة القرآن وذكر اللّه كثيراً فإنّه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض (١١).

ولأجل ان تكون قراءة القرآن مولّدة للأثر المطلوب وموجدة للتفاعل باكبر قدرة ممكن فقد وردت النصوص تؤكد على نوع او انواع خاصّة من القراءة وتفضّله على الأنواع الأخرى، فالقراءة في المصحف مثلاً أفضل بكثير من القراءة عن ظهر القلب، فقد روى عن إسحاق بن عمار: قلت لأبي عبد اللّه: جعلت فداك إني أحفظ القرآن عن ظهر قلب فاقرؤه عن ظهر قلبي أفضل، أو انظر في المصحف؟ قال: فقال: لا، بل اقرأه وانظر في المصحف فهذا أفضل، أما علمت: أنّ النظر في المصحف عبادة(١٢).

كما أن المفضّل أن تكون القراءة بصوت حسن فعن الرضا(ع) قال: قال رسول اللّه: حسّنوا القرآة بأصواتكم، فإنّ الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً، وقرأ

«يزيد في الخلق ما يشاء»[١٣].

وعن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبد اللّه، الرّجل لايرى أنه صنع شيئاً في الدعاء والقراءة، حتى يرفع صوته، فقال: لابأس، إنّ عليّ بن الحسين(ع) كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان يرفع صوته حتى يسمعه أهل الدّار، وإن ابا جعفر(ع) كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان إذا اقام من الليل، وقرأ رفع صوته فيمرُّ به مارّ الطريق من السّقّائين وغيرهم، فيقومون فيستمعون إلى قراءته»[١٤]

الطريق الثاني: اتخاذ المصحف في البيت، فقد اكدّت أحاديث أهل البيت «ع» على اتخاذ المصحف في البيت مما يدلّ على أنّ اتخاذ المصحف في البيت أمر مستحبّ مندوبٌ اليه في الشرع بنفسه، ولاشكّ أنّ اتخاذ المصحف في البيت يمهد أرضيّة الاتّصال بالقرآن فإنّ الذي يعلّق المصحف في بيته او يستنسخ نسخة منه يضعها في متناول يده فلابدّ أنْ يدعوَه ذلك إلى أن يتلو أجزاءً من القرآن في بعض المناسبات الخاصة أو الحالات المعينة إذا لم يكن هناك التزام منهجي من قبل الرّجل بتلاوة القرآن كما هو المستحسن المطلوب، وحتى اذا كان المسلم أمّيّاً لايعرف من القراءة والكتابة شيئاً أو غير عربي لايفقه من العربية شيئاً فإنّ وجود المصحف في بيته مما يذكرّه، دائماً برسالته التي يرتبط بها بعقله وروحه وجسده ويعيد في خاطرته مبادئه العليا ومُثَله الإسلاميّة التي عاهد اللّه على السير عليها والالتزام بها ومن هذه النقطة نستطيع أن نفهم التعبير الوارد في أحاديث أهل البيت من أنّ وجود المصحف في البيت يطرد الشياطين عن البيت، وفيما يلي بعض النصوص الواردة في هذا المجال:

عن الصادق عن ابيه عليهما السلام أنه كان يستحبّ أن يعلّق المصحف في البيت يتقى به من الشياطين، قال: ويستحب ان لايترك القراءة فيه[١٥].

وعنه أيضاً عن أبيه عليهما السلام قال: إنه ليعجبني أن يكون في البيت مصحف يطرد اللّه به الشياطين[١٦].

الطريق الثالث: استنساخ المصحف وكتابته فقد ندب الى ذلك في احاديث أهل البيت فقد روي عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام قال: ستّ خصال ينتفع بها المؤمن من بعد موته: ولد صالح ليستغفر له ومصحف يقرأ فيه وقليب يحفره وغرس يغرسه، وصدقة ماء يجريه وسنة حسنة يؤخذ بها بعده[١٧].

الطريق الرابع: النظر الى المصحف، فإنّ الظاهر من كثير من الأحاديث المرويّة بهذا الصّدد عن رسول اللّه والأئمة عليهم السّلام أن النظر إلى المصحف عبادة مستقلّة بنفسها وإنْ لم تصحبه القراءة في

المصحف، ولذلك فقد كانت القراءة في المصحف تزيد فضل القراءة ومحبوبيتها فضلاً جديداً ومحبوبيّة، وهذا الطريق مع الطريق الثاني وهو اتخاذ المصحف، ومع الطريق الأخير الذي سوف نعرض له وهو الاستماع الى القرآن، توسّع من دائرة الاتّصال بالقرآن حتى يتسع صدره للاميّين وغير العرب وكافة طبقات النّاس من عالمهم وجاهلهم، ودنيّهم وفاضلهم، وكبيرهم وصغيرهم. مما يزيد الإنسان إعجاباً بعظمة التشريع الإسلاميّ ووعي قادة الإسلام إذ فتحوا للجماهير طرق التفاعل مع القرآن وسهّلوا سبل الاتّصال بأحكم الأساليب وأتقن الطرق وأمتنها.

وقد روى حول النظر الى المصحف عن ابي ذرّ رضي اللّه عنه عن النبيّ صلى اللّه عليه وآله أنه قال: النظر الى علّي بن أ بي طالب عبادة[18] والنظر الى الوالدين برأفة ورحمة عبادة، والنظر في المصحف يعني صحيفة القرآن عبادة، والنظر الى الكعبة عبادة[19].

الطريق الخامس: تعلّم القرآن وتعليمه.

وهذا الطريق من أخصب طرق الاتصّال بالقرآن والتفاعل معه ومن أكثرها أهميّة، وقد استأثر في الإسلام باهتمام بالغ من قبل صاحب الشرع، وقد استعمل هذا الطريق في أولى أيّامه تحت منهجة خاصة ورعاية نبويّة معيّنة وقد كان في أيّامه الأولى ـ بالإضافة الى ماينطوي عليه من فوائد تربوية وتوجيهيّة يكون الاتصال بالقرآن في مقدمتها ـ طريقاً الى محو الأميّة والتثقيف الجماهيريّ العام ولايزال القرآن العظيم نيتجة لتلك التربية التي وضع بذورها قائد الإسلام الأعظم النبيّ محمد(ص) الكلمة الأولى التي توضع على ألسنة المتعلّمين والمتأدّبين. من الصبيان والصبايا في كثير من أنحاء بلاد الاسلام ورقعته الواسعة.

وقد جاء التأكيد على تعليم القرآن وتعلّمه من قبل صاحب الشرع بما لايسع مقالنا لاستيعاب جزء منه مع ان تعلّم القرآن وكذا تعليمه واجبان اجمالاً وفي بعض الظروف الخاصة.

وقد ورى علي عليه السلام عن النبي(ص): انه قال: خياركم من تعلّم القرآن وعلّمه[20]

وعن الصادق (عليه السلام): ينبغي للمؤمن أن لايموت حتى يتعلّم القرآن أو يكون في تعلّمه[21]

الطريق السادس: الاستماع إلى قراءة القرآن، وقد أكّد على الاستماع إلى القرآن حتى في القرآن نفسه، مع ماورد في السُّنة من الحثّ عليه والدعوة إليه.

قال تعالى: «**وإذا قُرئَ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلّكم ترحمون**» - (الاعراف/٢٠٣).

وعن زرارة قال: «سمعت أبا عبدالله يقول: يجب الانصات للقرآن في الصلاة وغيرها، وإذا قرئ عندك القرآن وجب عليك الانصات والاستماع»[22].

وإن كانت هناك مقتضيات علميّة معيّنة توجب صرف هذه التعابير عن ظهورها في الوجوب الشرعي المصطلح فإنّ دلالتها على الاستحباب المؤكّد ممّا لاريب فيه.

الهوامش:

(١) البحار.
(٢) نهج البلاغة بشرح الأمام محمد عبدة ج ٢ ص ٢٩ وقد ذكر الشيخ محمد عبدة في توضيح هذا المقطع الأخير من كلام الأمام: اذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها بالخطأ واستغشّوا أهواءكم: اي ظنّوا فيها الغشّ وارجعوا إلى القرآن.
(٣) نفس المصدر، ص ١١١.
(٤) وسائل الشيعة ج ٨١ ص ٤٨.
(٥) الوسائل ج ١٨ ص ٧٨.
(٦) الدعاء الثاني والأربعون من ادعية الصحيفة السجادية الكاملة.
(٧) الوسائل ج ٤ ص ٨٦٥.
(٨) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٦٣.
(٩) البحار ج ٩٢ ص ١٩٩ (٢) (٣) نفس المصدر ص ١٩٨.
(١٠)، (١١) المصدر نفسه ص ١٩٨
(١٢) البحار ج ٩٢ ص ١٩٦.
(١٣) نفس المصدر ص ١٩٤.
(١٤) البحار ج ٩٢ ص ١٩٥.
(١٥)، (١٦) البحار ج ٩٢ ص ١٩٥.
(١٧) البحار ج ٩٢ ص ٣٤.
(١٨) لايخفى لطف الصياغة والتنسيق في هذا الحديث فكأنّ إقران علّي بالوالدين لمناسبة الولاية والأبوّة الروّحيّة التي بين علّي وبين الابوين واقرانه بالمصحف يشير الى نكتة التشابه بينهما من حيث القيادة والمرجعية والمصدريّة لرسالة اللّه وإقرانه بالكعبة إلماع الى جامع الشبه بينهما من حيث المركزية لحركة الجماهير المسلمة ووجهة الحركة الاجتماعية في الإسلام إذ الإمام هو النقطة الغائيّة التي يتحرّك المسلمون في تكاملهم المعنويّ إليها.
(١٩) البحار ج ٩٢ ص ١٩٩.
(٢٠) البحار ج ٢ ص ١٨٦.
(٢١) نفس المصدر ص ١٨٩.
(٢٢) نفس المصدر ج ٩٢ ص ٢٢١.

* * *

* **« بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أُوتوا العلم» .**

قرآن كريم

نقاط ضعف في التفاسير والكتب القرآنية

الشيخ محمد باقر الناصري

دار القرآن الكريم

«لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدىً ورحمةً لقوم يؤمنون» سورة يوسف / ١١١.

*** في ميدان قصص الانبياء:**

هذه هي القصة في المنظور الاسلاميّ القرآني.

وهكذا يجب أن تكون.

يجب ان تكون هادفة، وفي قمة الأهداف السامية والأغراض النبيلة أن تنشد بناء صرح الاستقامة، وتخاطب الشرائح الواعيه حملة هموم البشرية، فتزيدهم هدىً، حيث تحمل الدروس والعبر.

كما يجب أن لاتغفل ـ في غمرة التوجه نحو الاهداف ـ قيمة الكلمة الصادقة، والدقة في تسجيل الأحداث، مبتعدة عن الافتراء والتزوير الذي طالما لوّث احاديث البشر وشوه جمالها خاصة في تسجيل وقائع التاريخ وكتابة القصص والأحداث.

والغاية الشريفة لاتبرر الواسطة الخسيسة الساقطة.

ويجب على كتاب التاريخ ومسجلي القصة خاصة في رحاب الاسلام دين المثل وتسامي الاخلاق وفي جو القرآن العظيم الذي دعا للصدق وحثّ عليه **«والذي جاء**

بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون»[1]. وجعل سبحانه جزاءه وعطاءه لعباده بمقياس الصدق **«ليجزين الصادقين بصدقهم»**[2]، تحّري الصدق والتقيد به الى أبعد الحدود.

فعلى المفسرين وعلماء القرآن ومسجلي احداثه وقصصه أن يؤكدوا هذه الحقائق السامية، ويبرزوا وحدة الاهداف الرسالية وبناء صرحها العتيد لربط الحاضر بالماضي كما هو منطوق ومظمون الآية الشريفة **«تصديق الذي بين يديه..»**.

في جوّ من نشر الهدى والحقّ والعدل والفضيلة.

تحت خيمة الرحمة الإلهية **«.. ورحمة لقوم يؤمنون»** التي يتلقاها ويستوعبها المؤمنون ذوو الإيمان الراسخ، والفطر السليمة.

هذه بعض معالم القصة الإسلامية عموما، والقصة القرآنية بصورة خاصة وما يجب أن تتصف به من الواقعية والصدق والدقة، وهو ما يجب ان يميز القصة القرآنية عن غيرها من القصص. والأدب القصصّ، الذي كثيراً ما يطغى عليه طابع الاثارة والخيال، ولايتردد القاصّ ـ لتحقيق اهدافه في إمتاع القراء ونجاح القصة ـ من الدخول ـ وبكل صراحة ـ في جوّ المبالغة وعدم الدقة في الاحداث والأرقام والصور، ويتسامح المجتمع مع القصص والقصّاصين في الجوّ العام لقبول نسبة عالية من الخيال والمثاليّة وعدم الدقة، ويعتبر ذلك مباحاً ومقبولاً.

وتذهب بعض المدارس القصصية لمنح القصّاصين أكبر قدر من التحلُّل من كثير من القيم والأحكام الشرعية، وتعفيهم من التبعات القانونية والأدبية، مادام الكاتب يهدف لعملية الإثارة وتحريك الأمة والمعنيين بالقصة والتأثير فيهم.

حتى بان ذلك في صميم مفهوم القصة وعرّفوها بأنها، في أوسع دلالاتها: عمل فنّي قائم على بناء هندسي خاصّ يصطنع كاتبها واحداً او جملة من الاحداث والمواقف والابطال والبيئات عبر لغة تعتمد (السرد) او (الحوار) او كليهما، وتتضمن هدفاً فكرياً محدداً)[3].

رأيت اخي القارىء كلمة (يصطنع) وهي صريحة في عدم ضرورة الصدق، ومردّ

هذا الفهم والضابط لقبول مفهوم القصة بمثل هذه السمات هو التأثر بوضوح بقاعدة (الغاية تبرر الوسيلة)، هذه القاعدة التي تعلن سحقها للدين والاخلاق. وهذا بخلاف ما هو صميميّ وجوهريّ في فهمنا للقصة القرآنية شأنها شأن بقية ما في كتاب اللّه من أحكام وتاريخ وآداب. والتي تحكمها الضوابط الشرعية والاخلاقية والاسلامية، وتلغي في حقها كلّ الاحتمالات والرخص والاعفاءات الواردة في حق القصص والنصوص البشرية الأخرى.

فالقرآن الكريم «**لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه**» وحتى لايساء فهم شدة الضوابط الاسلامية القرآنية فليس في تلك الضوابط ما يحول بين القصة القرآنية وبين ما حققه القرآن من الاعجاز والتحليق في عالم البلاغة والعذوبة والسحر الأدبي والفنّي، وتشخيص مواطن الإثارة والتأثير بما اعجز بلغاء وفصحاء البشرية جميعاً الى يوم القيامة رغم كل التحديات الواردة والمتكررة في القرآن لفصحاء وبلغاء البشر.

«**قُلْ لَئن اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتونَ بمثله ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيراً**». سورة الاسراء/٨٨. «**تلكَ آياتُ الكتاب المبين. إنّا انزلناهُ قرآناً عربيّاً لعلكم تعقلون**». «**نحنُ نقصُّ عليكَ احَسنَ القصَصِ بما اوحينا إليك هذا القرآن..**» يوسف/١ ـ ٣.

هكذا يجب أن نفهم القصة القرآنية بأهدافها ووسائلها، وحديث يراد له أن يتم وينشر في مثل هذه الاجواء والضوابط لا بد وأن يجتهد كاتبه ومحلّله كل الإجتهاد ليأتي محققاً لأسمىٰ الأهداف والنتائج، آخذاً بالأعتبار كلّ مراحل التاريخ البشري مراعياً خطورة وتعقيد المشاكل المتوقعة في كتابة التاريخ الديني، وقصص الاديان والرسل والامم، والتي اشار لها الكتاب العزيز.

ولعل من أبرز هذه المشاكل أنه حديث عن أمم خلت ولم يبق منها إلّا نسيج وبقايا كتب عدا عليها الطغاة واعوانهم.. فلم يبق منها إلّا السمات والمعالم، في اطار من اهواء رواتها وكتابها وبدعهم في أهم القضايا والأحداث المطروحة عن قصص الانبياء وأخبارهم، خاصة بعد وضوح

عبث اليهود بالتراث والتاريخ البشري وخبث نواياهم تجاه رسل اللّه واحكامه، وكيدهم للرسل وللبشرية جميعاً.

واليهود من عرفوا بالتواء الأمزجة والنوايا وسوء التربية، والحقد على انبياء اللّه ورسله، وعلى عموم الربانيّين، وبتصدّيهم لكتابة التاريخ وقصص الانبياء والامم، ولجاجتهم في رواية الأحاديث والقصص المكذوبة المحرفة، كما يشهد بذلك صريح الكتاب العزيز: «**وقد كان فريقٌ منهم يسمعونَ كلامَ اللّهِ ثم يُحرّفونه من بعد ما عَقَلُوه وهم يعلمون**» سورة البقرة/ ٧٥.

وهكذا شأنهم دائماً «**يُحرِّفونَ الكلم عن مواضعه**» المائدة/ ١٤.

وهكذا وصمهم اللّه تعالى بالكذب والتحريف وكتمان الحق في مواضع عديدة من الكتاب العزيز، مما اثقلوا كاهل التاريخ عموماً وتاريخ الرسل والديانات بصورة خاصة، وبما شوهوا القصص الديني وسلبوا الثقة منه حتى باتت رواياتهم سُبَّة ومنقصة، ويكفي أن يقال: هذا من الإسرائيليات.

وفي مثل هذه الظروف والمشاكل تكون مُهمّة كاتب القصّة الدينيّة مهمّة شاقة تستدعي الكثير من الجهد والحذر والمتابعة، لتقصّي الحقائق التي تحمي التاريخ الاسلاميّ وتنقّي القصّة الدينية من كل ما داخلها من منافيات العقل والدين.

ومعلوم مدى الضرر الذي احدثه حسن الظنّ والتسامح في مصادر كتابة القصّة الدينيّة، وتاريخ الرسل، ولا اظننا بعد عرض كل هذه المقدمة نحتاج الى مزيد تأكيد على اهمية الدقة في تسجيل قصص الانبياء.

ويكفينا تنبيها في أخذ أقصى درجات الحذر واليقظة قوله سبحانه:

«**يا ايها الذين آمنوا إن جاءَكم فاسقٌ بنبأ فتبيَّنُوا أَنْ تُصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**» سورة الحجرات / ٦.

وسأقتصر في هذا البحث على ذكر نقطتين هامتين من نقاط الضعف التي ابتلى بها بعض المفسرين وكتّاب القصة القرآنية، وكنموذج من نماذج هذه الكتب، نضع امامنا كتاب (قصص الانبياء، للشيخ عبد الوهاب النجار). وقبل مناقشة

نقـاط الضعف التي نأخـذهـا على هذا الكتـاب وامثـاله، نؤكد أننا في سبيل ان نحمي الثـروة التاريخية، ونصون كرامة الرسل والرسالات والأمم، ونقدم للبشرية الزاد المطلوب... علينا ان نعتمد في كتابتنا لقصص الانبياء.

اولاً: على صريـح ما جاء في الكتـاب العـزيـز، وما اكثر ما فسرت الآية اختها واكملت القصّة سابقتها، كما هو المشهور من أن (القرآن يفسِّر بعضه بعضاً) عدة احـاديث وروايات صحيحة صريحة وكما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (... وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض..)[٤].

وثانياً: أن نستعين على فهم ما التبس علينا أمره بالصحيح من أحاديث الرسول (ص) وروايات الثقاة من اهل بيته وصالح الصحـابـة رضـوان الله تعـالى عليهم، مستنيرين ومستهدين بالعقـل والمنطـق السليم ذي القواعد الإيمانية لدعم الفهم القرآني في ضوء الأساسين السابقين.

وكتـاب(قصص الانبيـاء) للشيـخ عبد الوهاب النجار الذي بين ايدينا هو لأحد أعـلام مصر من شيـوخ الأزهر الشريف كتبـه منذ اكثر من خمسين عاماً، ليكون كتـاب درس ومـرجع بحث لطلاب الأزهر وغـيرهم. فجـاء الكتـاب من خيرة كتب القـصص القـرآنـي المـنـتشرة في تلك الأوسـاط، وأحسن ما في الكتـاب نزعتـه العقلية في تعامله مع القصص والأحداث، وحزمه وإصراره في مناقشة القصص بوعي وتعقل.وصراحة ملامسته للاجزاء المريضة من التـاريـخ وبتـر ما استطاع بتره من الخـرافات والبدع والضلالات مما ينفي ويشوّه ويسيء لكتاب الله وكرامة رسله وأوليـائـه في منـاقـشـات كشـفـت عن قوّة المـؤلف واسـتـعـداده لمواجـهـة العـواصـف، ممّـا شدَّ اليـه من اطلع على الكـتـاب. وحمل كثيراً من دور النشر على اعادة طبع الكتـاب ونشره في كافـة ارجـاء العـالم الاسلاميّ عبر عشرات الطبعـات

ومأخذنا على هذا الكتاب وامثالهأمـران هامّـان يمكن ان يكونا اهم نقاط الضعف في الكتاب، وهما.

الأولى: نزوع الشيـخ النجار في اغلب احكامه ومحاكماته النزعة العقلية المحظة، وهي نزعة بما فيها من محاسن وايجابيات

وما للعقل واحكامه من مكانة سامية عند اهـل البيت عليهم السـلام وفي اجـواء مدرستهم الفكـرية في شيء مناحي العلم والعـرفـان ويؤكد هذه الحقيقة ما ضمته مجاميعنا وصحاحنا من مئات الأحاديث والخـطب والوصـايـا التي تقيّم العقـل وتجعله مقيـاسـاً وهـاديـاً لإنارة حوالك الدروب، منطلقين في ذلك الموقف من هدي القـرآن الكريم حيث كرم اللّه فيه العقل والعقـلاء في أحـرج المـواقف والمناظرات العقائدية العالية، فجعل اللّه العقل دليلاً على معرفته حين طاشت بقية الطرق.

وما اكثر ما عقّب المولى ـ سبحانه ـ عند ذكره لأسس العقائد والمثل فختمها بقوله عزّ اسمه: «**لآياتٍ لقومٍ يعقلون**» حتى أحصينا على عجل من آيات الكتاب العزيز المختـومـة بالإحـالة في احكـامهـا للعقل والعقـلاء فوجـدنـا خمسين آية مصرحة بالعقـل من غير الآيـات الكـريمـة التي خاطبت العقـل والعقـلاء بصيـغ ذوي الألبـاب، والمتفكـرين، وغير ذلك مما هي خطابات للعقلاء وهي كثيرة يعرفها قراء القرآن.

وفيما رواه عدة من أصحابنا عن أهل البيت عليهم السلام عن رسول اللّه(ص) قال: قال رسـول اللّه(ص): ما قسم اللّه للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضـل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل، ولا بعث اللّه نبيّاً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضـل من اجتهاد المجتهدين، وما أدّىٰ العبد فرائض اللّه حتى عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العـاقـل، والعقـلاء هم أولو الألباب الذين قال اللّه تعالى: «**وما يتذكر إلّا أُولو الألباب**»[٥] ولكن هذه القيمة العالية للعقل في رحـاب الكتاب والسنّة لا تنسينا لزوم الحـذر من كثير من المطبات والتجاوزات والانتهـاكـات التي ابتليت بهـا البشرية والتـاريـخ والفـكـر والأديـان، والدين الاسلاميّ خاصة من سوء استفادة مدعي العقـول ومـا جرته تلك التجاوزات تحت ستـار المنهـج العقلي على كثير من القيم والمثل والأحكام الإلهية.

لهذا احتيج لصيانة المنهج العقلي من تحـديد للعقل وأحكامه ووضع الضوابط بايجـابيـات هذا المنهـج وسلبيـاتـه التي تبصّر البشرية.

روي عن ابي عبد اللّه(ع) في سائل سأله:

قال: قلت له ما العقل؟

قال: ما عبد به الرحمن، واكتسب به الجنان.

قال: قلت فالذي كان في معاوية؟

فقال: تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل[٦].

لهذا فان حكومة العقل محفوفة بالمشاكل والمخاطر، التي قد تصرف الانسان عن التأكد من النصوص التي لا يجوز تجاهلها، وهي حجة مقدمة ودليل حاكم، وحين يتحرك العقل البسيط غير الناضج فيسارع لشطب كلما ظهر انه يتعارض مع الاحكام الاولية للعقل.

وهذا منحى خطر، يورط صاحبه وسالكه في التعرض للثوابت والمسلمات الإسلاميّة، والتي حكم العقل مسبقاً بوجوب اتباعها وهذا تأكيد لما أشار اليه الإمام في الحديث السابق، وان ذلك ليس هو العقل، وانما هو النكراء والشيطنة، والوساوس الأخرى التي يتصور صاحبها أنها العقل، او يتوهم الآخرون أن أولئك عقلاء ويعملون عقولهم.

ولست في هذا المقام بصدد التوسع في هذا الباب فله مجال آخر وانما تؤكد هنا أن من جملة نقاط الضعف التي ابتلي بها بعض العلماء والمفسرين، قديماً وحديثاً، ومنهم (الشيخ النجار) هي نقطة ضعف لايمكن تجاهلها، او تجاهل صرخات الاستغاثة الدائمة المتزايدة من نقاط الضعف هذه وضرورة التحرك لتشخيصها والعمل على معالجتها.

النقطة الثانية من نقاط الضعف التي وقع فيها المؤلف وكثيرون غيره هي ضيق افق المؤلف وامثاله في استيعاب الآراء وطرح الأفكار الذي انتهى بالشيخ النجار والكثيرين من امثاله، الى اغفالهم لرأي اهل البيت عليهم السلام.

وهم الذين اجمع المسلمون على الرجوع اليهم خاصة في علوم القرآن وتاريخه وتفسيره لاعتبارات عديدة.

منها ان: عبد اللّه بن عباس المعدود في الرعيل الأول ممن عاصر الامام عليّاً ـ رضوان اللّه عليه ـ فإننا نعلم من ذلك أن التفسير بالاثر والحديث النبويّ من العلوم التي تفرد بها البيت النبويّ وعرف بها الأئمة قبل غيرهم، واختص بها ابن عباس

بتوجيه منهم[٧].

فأهل البيت (ع) هم المصدر الأول بعد رسول الله(ص) لفهم القرآن وعلومه وتفسيره، وكلمّا ما يتعلق به.

وقد نبأنا الصادق الأمين رسول الله(ص) عن مدى التلاحم بين كتاب الله وعترة رسوله في حديث مشهور:

فقد صحّ عنه (ص): (تركت فيكم ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلُّوا بعدي، الثقلين واحدهما اكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)[٨].

واذا كان الرسول الاعظم (ص) يؤكد بما لا مزيد عليه من لزوم التلاحم والتآخي بين القرآن والعترةالى يوم القيامة (لن يفترقا) فحريّ بالأمة أن تتمسك بهما معاً وتمتّن الجسور والربط بينهما لتنعم بالسعادة المنشودة.

ولهذا فمن العيب الكبير والحيف على المسلمين ان يتجاهلوا رأي اهل البيت (ع) في أهم قضية إسلامية كالقرآن وأخباره وقصصه وعلومه ولايغتفر لعالم أو مؤلف أن يتجاهل رأي مَنْ اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا

وغريب جدّاً أنّ المؤلف (الشيخ النجار) وهو في صدد استقصاء الآراء وتتبع الأقوال قد أورد آراء غاية في الشذوذ والندرة وتابع ما قالته اليهود والنصارى، وبحث بدأب عن بقايا التورات والإنجيل والكتب الأخرى، والجأته المخاصمات والردود عليه ولجاجة معارضيه الى أن يبحث عما يؤيد آراءه ويدعم مذهبه بكلّ شاردة وواردة، ويتشبّث بأضعف الاقوال وأبعدها، وهو جهد مشكور، وصلابة موقف محمودة.

إلّا أنه بقي ـ مع الاسف ـ بعيداً كلّ البعد عن أهل البيت وارائهم.

وفيها ما يغنيه عن كثير من المعاناة، ولو التجأ إليهم لألتجأ الى ركن وثيق واعتمد على رأي اصيل، ولأسكت خصومه، برّ منافسيه لكن للأسف كأنه لا يوجد في عالم الإسلام والتفسير والحديث وجود لأهل البيت (ع)، وهم الذين طبق الآفاق ذكرهم وتخرج عليهم جلّ علماء الإسلام وائمة مذاهبهم إن لم يكن كلّهم، وانتشر علماء مدرستهم في كلّ بقاع المعمورة ودخلوا التاريخ الاسلاميّ من أوسع

ابــوابــه، وملأوا وأغنوا الأمة الاسلاميّة والمجمـوعة البشرية بعلومهم وآثارهم رغم كلّ محاولات الطمس والإبادة، من صدر الإســلام الى اليـوم وعبر معاول الهدم السيـاسّي المتـواصلة إلاّ أنّ أهــل البيت وعلمــاء مدرستهم المباركة خرجوا من كلّ تلك المعـارك مرفـوعي الرأس بما حققوه ودونوه من علوم ومعارف خاصة في مجال القرآن الكريم بكافة علومه ومعارفه.

وليت (الشيخ النجار) وامثاله وقف عند حد اغفال رأي اهل البيت، وإنما وقع فيما هو اسوأ من ذلك حين أورد، وبدون ورع وتـروّ، بعض الآراء في معــرض الطعــن والتجـريح، لا للاحتجاج والاعتزاز وانما لمحض أن قائلهـا من شيعـة أهل البيت الرافضــين للباطل فأدلى - غفر اللّه له - بدلوه وتـابع الجهال والمنحرفين، وردّد ما ردّوه دون تحقيق وتـدبّر، وهي عثرة لن تقال وكبوة لاتزال. يردّد التالون سوأة ما أسس الأولون. ووصد الاســمــاء عن سمــاع الحق وحملتـه ولقـد كلّفوا الامة الاسلامية ومدرسة القرآن الكريم خسائر كبـيره إذْ نحن أحـوج ما نكـون لارائهم وافكارهم القرآنية السديدة.

وموضـوعنا هذا هو أبعد ما يكون عن محــاكمة آراء المؤلف، أو محاولة نقضـها والرد عليــهــا، فتلك مجـالات وميــادين اخــرى[٩]، وانما هو محاولة لتلبية حاجة ماسه لرفد الأمة بثقافة اسلامية موحدة تمزق حجب التعصب والطائفية، منطلقين من آفاق القرآن الرحبة، بما فيه من علوم وثقــافــات واخــلاق وهي تشكل الأساس الرصــين لبنــاء صرح الوحدة الاسلامية المنشودة، ولردم الحفر والخنادق الموبوءة التي عمقها أعداء الاسلام.

وأمــل بعــون اللّه أن يتحرك الواعون المخلصــون من علماء الأمة ومفكريها في خطوات رصــينــة لمعــالجــة كثــير من المـواضيع التي تنتظر المعالجة، سواء في علوم القرآن الكريم، والتي تشمل التفسير وآيات الاحكام، والقصص، والتاريخ وغيرها.

او في مجــالات العلم والعـرفــان التي يمارسها العلماء والمؤلفون الاسلاميون في الفقه والحديث والعقائد والتاريخ والمعارف الاخرى.

ليعملوا على تمازج أمين يعرض الفكر الاســلاميّ والثقــافـة الاسلامية بصدر

رحب، وبأفق منفتح، يطرح الرأي، والرأي الآخر في جوّ من الأمانة في النقل، والموضوعية في العرض، بعيداً عن التعصب والحقد والكراهية، التي هي الوجه الكالح للجاهلية البغيضة

ولاشك أنها مهمة صعبة، وعملية شاقة بعد كل هذه التراكمات والتركات المثقلة بالمشاكل والمظالم والتجاوزات

ولكنها ضرورة ملحة، ومخرج عملي سليم للخروج بالأمة الاسلامية العظيمة من حالة التشرذم والخلافات الفكرية المقيته، التي ظلّت وراء كثير من الخلافات في الميادين الأخرى التي تعاني منها امتنا اليوم اشد أنواع المعاناة وليس فيها طرف رابح، وتحولت الى حالة هدم وتدمير أجهزت على أمتنا العظيمة ومزقت وحدتها، وألهتها بمعارك جانبية قرت لها عيون أعداء اللّه، وامتطى ظهرهاأعداء الاسلام، **ليعملوا معاولهم في تدمير وحدة الأمة التّي هي اساس عزّتها وكرامتها**

نسأل اللّه ان يعيننا والعاملين على تحمل مهام التصحيح والنهوض باعبائها في جوّ من التعاون والتناصح، مستنيرين بهدي اللّه العظيم وصراطه المستقيم حيث يقول عزّ اسمه: «**فَبَشِّرْ عباد الذين يستمعونَ القولَ فيتَّبعون احسنَه، أولئك الذين هداهم اللّهُ وأولئكهم أُولو الألباب**».

والحمد للّه رب العالمين، وسلام على رسوله وآله الميامين واصحابه الصالحين.

الهوامش:

(*) أُعد هذا البحث ليكون مقدمة لتعليقاتنا على كتاب قصص الانبياء للشيخ عبد الوهاب النجار الذي يتكرر نشره في العالم الاسلامي منذ اكثر من خمسين عاماً.

(١) الزمر/٣٣.

(٢) الاحزاب/٢٤.

(٣) دراسات فنية في قصص القرآن لمحمود البستاني، ص ٧.

(٤) نهج البلاغة الخطبة ١٣٣.

(٥) اصول الكافي ج١ ص ١٢.

(٦) المصدر السابق ص ١١.

(٧) الدكتور حامد حفني استاذ الادب العربي بكلية الالسن بالقاهرة في مقدمته لتفسير شبر، طبع القاهرة لعام ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥م.

(٨) اخرجه الترمذي والنسائي عن جابر، ونقله عنهما المتقي الهندي في اول باب الاعتصام

بالكتاب والسنّة من كنز العمال ص ٤٤ من الجزء الاول، كما اخرج الحديث وصحبه كلّ من الترمذي والإمام احمد في مسنده وبطرق متعددة، ومع اختلاف بسيط فيما رووه فإنهم مجمعون على قوله (ص) (وعترتي اهل بيتي). يراجع للتوسع كتاب المراجعات للسيد شرف الدين ص ٤١ وكتاب الغدير للاميني وغيرهما.

(٩) فقد اكملنا بحثنا عن عموم مواضيع الكتاب ومناقشة افكاره بكل القصص والحوادث والاخبار مؤشرة على كل اقواله في كتاب كامل معد للطبع انشاء اللّه.

* * *

العودة الى الينابيع

صحيح اننا نجد القرآن ـ ومنذ الخطوات التي تلت تحوّل الخلافة الاسلامية الى السلطة الطاغوتية ـ قد تحوّل في الواقع ـ الى زائدة كمالية وخرج بشكل رسمي ـ وإن لم يكن ذلك بشكل اسمي ـ عن المجال الحياتي للمسلمين، إلاّ أن ما حدث في جاهلية القرن العشرين من خلال عمل الاجهزة السياسية والاعلامية المعقدة، يعد أخطر من ذلك بمراتب واكثر بعثاً على القلق بلا ريب.

ولكي يُعزل الاسلام عن الحياة، فان اكبر وسيلة واكثرها أثراً هي اخراج القرآن عن المجال الذهني والقلبي والعملي للأمة الاسلامية. وهذا بالتأكيد ما عمل له المتسلطون الأجانب والعملاء الداخليون لهم، سالكين هذا السبيل عبر الاستعانة بشتىٰ الانماط والوسائل.

...إن العودة الى القرآن، هي عودة الى الحياة التي تليق بالانسان، وهي المهمة الملقاة على عاتق المؤمنين بالقرآن، وفي طليعتهم العارفون به، والعلماء والمبلغون الدينيون.

آية الله السيد علي خامنئي

الطُوسي والتبيان

الاستاذ اكبر الايراني
تعريب علي جمال الحسيني



ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المشهور بـ «الشيخ» وبـ «شيخ الطائفة».

ولد عام ٣٨٥ هـ (٥٩٩)م في مدينة طوس، ولبىّ نداء ربه في الثاني والعشرين من محرم الحرام ـ على القول المشهور[١] ـ (٤٦٠ هـ ـ ١٠٦٧م) في مدينة النجف الاشرف بعد عمر ناهز الخامسة والسبعين عاماً.

النشأة

لقب الشيخ نفسه بالطوسي في فهرسته[٢]. وطوس واحدة من أربع مدن مهمة في خراسان، كانت تحت سيطرة الغزنويين الاتراك، الذين كانوا جديدي عهد بالاسلام، وكان الشيعة يومها في ضراء وشدة[٣] فالمذهب السياسي الحاكم في خراسان هو الشافعي قال السبكي[٤]:ـ

إن «السلطان محمود الغزنوي كان حنفي المذهب اولاً ثم اصبح شافعياً».

وقد حصل التباس عند بعض المؤرخين والمترجمين للشيخ كالسبكي[٥] والسيوطي[٦] فنسبوه الى المذهب الشافعي.

وازدهرت طوس علمياً وثقافياً وخرجت امثال الشاعر الكبير فردوسي (صاحب الشاهنامة) والشيخ الطوسي والمحقق الخواجه نصير الدين والمتكلم الغزالي والاديب نظام الملك وغيرهم من اعلام العلم

والادب

في بغداد.

ثم هاجر الشيخ الى بغداد وكانت يومها تابعة للبويهين، وشهدت المراكز العلمية والثقافية توسعاً ملحوظاً في عصرهم. وقد انجز الشيخ في هذه الفترة شرح كتاب المقنعة للشيخ المفيد وسماه «تهذيب الاحكام»[٧].

اساتذته

الشيخ المفيد:

قال الشيخ في الفهرست[٨] بعد ذكر كتب الشيخ المفيد: «سمعنا منه هذه الكتب كلها بعضها قراءة عليه وبعضها يقرأ عليه غير مرة وهو يسمع وابن المعلم من اجلة متكلمي الامامية انتهت رياسة الامامية اليه في العلم وكان مقدماً في صناعة الكلام له قريب ماتي مصنف كبار وصغار».

ولكي نعرف فضل المفيد وتقواه يكفينا ان الامام الحجة (ع) ينسبه الى نفسه المقدسة في بعض رسائله الشريفة[٩] وقد تخرج على يديه السيد المرتضى علم الهدى والسيد الرضي[١٠]

السيد المرتضى.

كان للسيد المرتضى مكانة علمية وسياسية مشهوده قد تلمذ عليه الشيخ الطوسي في الفقه والاصول والكلام وقرأ عليه اكثر كتبه[١١] ومؤلفاته، ولخص كتابه الشافي وشرح الاصول من كتاب حمل العلم والعمل، وحذا حذوه في الفقه والاصول والكلام والفّ كتابيه المسوط والخلاف وفق منهج السيد المرتضى[١٢]ح وقال الشيخ في استاذه[١٣].

«متوحد في علوم كثيرة مُجمّع على فضله مقدم في العلوم مثل الكلام والفقه واصول الفقه والادب و...».

ووصفه النجاشي (ت ٤٥٠ هـ.) بأنه:

«خازن العلوم لم يدانه فيه احد في زمانه ...»[١٤].

مرجعية الشيخ

آلت المرجعية الى الشيخ بعد وفاة السيد المرتضى للياقته العلميه وشخصيته الدينية ونفوذه الاجتماعي، حتى ان الخليفة العباسي (القائم بامر الله) اسند اليه كرسي الكلام[١٥] وكان مرجعاً للشيعة

في امورهم الدينية وحقوقهم الشرعية[١٦].

فلما دخل طغرل بك، الى بغداد سنة (٤٤٨ هـ) هوجمت دار الشيخ وأحرق كل ما فيها من كتب واثاث، فهاجر الشيخ مضطراً الى النجف الاشرف دون ان يتوانى لحظة واحدة في البحث والتحقيق واثراء الحركة الفكرية الشيعية الغنية، وانما خطا خطوة تاريخية عملاقة عندما اسس اول جامعة اسلامية في النجف الاشرف وخلفه نجله العالم «ابو علي» الملقب بالمفيد الثاني[١٧] فعمل على توسيعها.

قالوا في الشيخ

قال النجاشي ـ وهو من مشايخ الشيخ ـ في رجاله[١٨]:

«جليل في اصحابنا ثقة عين من تلامذة شيخنا ابي عبد الله له كتب ...».

وقال العلامة الحلي في خلاصته[١٩]:

«شيخ الامامية ووجههم ـ قدس الله روحه ـ رئيس الطائفة، جليل القدر عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالاخبار والرجال والفقه والاصول والفروع والجامع لكمالات النفس في العلم والعمل ...».

وقال الشيخ عبد الجليل القزويني:

ان فضله وزهده اظهر من الشمس ومع هذا فاننا لايسعنا الا ان نقول كما قال الشاعر:

لولا خشيت لقلت ليس كمثله

في قوة الابداع والايجاد

كلا ومن تلقى عيون الدهر ما

لم تلق في الازال والاباد[٢٠]

ولا يمكن استقصاء ما قيل في الشيخ بهذه العجالة وانما اقتصر على ذكر نماذج من ذلك ولمن ارادالتفصيل مراجعة المصادر.

لمحة سريعة للابعاد العلمية في شخصية الشيخ

شهد العلماء والعظماء بعمق شخصية الشيخ العلمية وعطائه الثر وفضله ونبله. فما زالت اشعته المشرقة تضيء كل جوانب الحوزات الشيعية بعد الف عام، وما زال العلماء والمحققون ينتهلون من منهله العذب ويستضيئون بأنوار كتبه وآثاره، فقد مخر عباب العلوم الاسلامية والقرآنية في الفقه والاصول والكلام والرجال

والحديث والتفسير والادب[٢١]، وسنمّر مروراً سريعا على كل هذه الابعاد في شخصيته الفذة.

البعد الفقهي

ومضات اشرقت في حركة الفقه الشيعي التكاملية المتصاعدة وتركت بصمات مؤثرة خلّدها التاريخ.

فعصر الشيخ المفيد والسيد المرتضىٰ كان يمثل بداية النهوض في حركة الفقه الشيعي ثم فتح الشيخ الطوسي صفحة ذهبية لامعة في هذه الحركة جسّدها بتأليف «التهذيب» و «الاستبصار» و «المبسوط» و «النهاية» و «الخلاف» وغيرها من مصنفاته القيمة، ويعتبر «الأخير نقله نوعية في الفقه التطبيقي والتقديري.

وهكذا بقيت اراء الشيخ الفقهية نافذة علىٰ العلماء يقولون بقوله ويحذون حذوه[٢٢] عشرات السنين من بعده ولم يجرؤ احد علىٰ التصدي لها حتىٰ فتح باب الطعن عليها سبطه ابن ادريس الحلي[٢٣] (٥٩٨ هـ).

قال الحاج نوري[٢٤]:

«واما الفقه فهو خريّت هذه الصناعة والملقىٰ اليه زمام الانقياد والطاعة وكل من تأخر عنه من الفقهاء والاعيان فقد تفقه علىٰ كتبه واستفاد منها نهاية ادبه ومنتهىٰ طلبه».

البعد الاصولي

ادرك الشيخ ضرورة الوقوف بوجه الحركة الاخبارية المتخلفة وازاحة العراقيل عن طريق المسيرة الفقهية الاصولية فكتب «عدة الاصول» و «المبسوط» متحدياً للاصحاب.

جاء في مقدمة المبسوط ج١ ص٢.

«اما بعد فاني لاازال اسمع معاشر مخالفينا من المتفقهه والمنتسبين الىٰ علم الفروع يستحقرون فقه اصحابنا الامامية ويستنزرونه وينسبونهم الىٰ قلة الفروع وقلّة المسائل .... وكنت علىٰ قديم الوقت وحديثه متشوق النفس الىٰ عمل كتاب يشتمل علىٰ ذلك تتوق نفسي اليه فيقطعني عن ذلك القواطع وتشغلني الشواغل وتضعف نيتي ايضاً فيه قله رغبة هذه الطائفة فيه وترك عنايتهم به لانه الفوا الاخبار وما رووه من صريح الالفاظ حتىٰ ان المسألة لو غيّر لفظها وعبّر عن

معناها لعجبوا...».

وتعرض في ذيل قوله تعالى « افلا يتدبرون القران » لاصحاب الحديث قائلاً: «وفيه تنبيه على بطلان قول الجهال من اصحاب الحديث»[25].

وفي مقدمة «عدة الاصول»[26] يشن عليهم هجوماً عنيفاً ويطرح الاجتهاد بجرأة واقدام ثم يشير الى تفرده في هذا الباب.

«فان من صنف في هذا الباب سلك كل قوم منهم المسلك الذي اقتضاه اصولهم ولم يعهد لاحد من اصحابنا في هذا المعنى...»[27].

ومن ارائه الاصولية القول بعدم حجية الخبر الواحد لغير الامامي العدل، وحجية الاجماع على اساس قاعدة اللطف.

جدير ذكره أن «عدة الاصول ما زال من المصادر المهمة للباحثين والاصوليين.

البعد الحديثي

عاش الشيخ قريباً من عضر النص وشرح «مقنعة المفيد» وسماه بـ «تهذيب الاحكام»[28].

و «التهذيب» و «الاستبصار» هما المدخل الى البعد الحديثي في الشيخ والمؤشران القويان على عظمته وتضلعه في هذا الفن، وقد روى في التهذيب حسب ترقيم «الحاج نوري[29] ١٣٥٩ حديث في ٣٩٣ باب و ٢١ كتاب. وفي «الاستبصار» ٥٥١١ حديث في ٩٢٥ باب ويعدّ الكتابان من الكتب الاربعة المعتمدة لدى الشيعة الى جانب من لايحضره الفقيه والكافي.

البعد الكلامي

شهد القرنان الرابع والخامس الهجريان نشاطاً في حركة التاليف والمناظرات الكلامية، وكان للشيخ المفيد مناظرات ساخنة مع ائمة الاشاعرة والمعتزلة وله اكثر من خمسين اثراً كلامياً. كما الف السيد المرتضى كتاب «الشافي» رداً على المغني عبد الجبار. وللشيخ الطوسي اكثر من خمسة عشر اثراً كلامياً كالجمل والمفصح في الامامة والاقتصاد والهادي الى طريق الرشاد تلخيص الشافي[30] وقد امتاز التبيان باشارات كلامية دقيقة واستدلالات محكمة بالآيات المباركة على احقية التشيع.

البعد الرجالي

دعا اتساع علم الحديث وكثرة الرجال والابتعاد عن عصر النص علماء الشيعة في بداية القرن الرابع الى تكريس الجهود لتدوين الرجال ومشخصاتهم وحصر مؤلفاتهم، فالف ابو عمرو عبد العزيز الكشي (٣٦٩ هـ) كتاب «الرجال» وقام الشيخ الطوسي بتنقيحه وضبطه وتكميله[٢٢].

وكان للشيخ كتاب آخر سماه «الابواب» او «رجال الطوسي» ذكره اقا بزرك الطهراني في الذريعة قائلاً[٣٢]:

«وهو احد الاصول الرجالية المعتمدة عند علمائنا».

وله كتاب ثالث اسمه «الفهرست» احصى فيه ٤٠٠ مصنف شيعي ذكره اقا بزرك الطهراني ايضاً وقال[٣٣]:

«وهو من الآثار الثمينة الخالدة وقد اعتمد عليه علماء الامامية على بكرة ابيهم في علم الرجال».

وقد نوّه الشيخ محمد ابو زهرة[٣٤] ـ العالم الأزهري المعروف بعمق الشيخ الطوسي الرجالي وعدّ «الفهرست» خدمة جليلة قدمها الشيخ للعالم الاسلامي.

وبهذا عرفنا اهمية الدور الذي أداه الشيخ في الفقه واصوله والحديث ورجاله والخطوات العملاقة التي خطاها في الفقه الشيعي.

البعد الادبي

ولد شيخ الطائفة وترعرع في بلاد تتكلم الفارسية ـ طوس ـ ثم هاجر الى بغداد يدفعه الشوق ويحدوه الطموح العلمي وتتلمذ هناك على «الشيخ المفيد» و «السيد المرتضى» و «ابو القاسم التنوخي».

وبالرغم من ان الشيخ لم يكن عربي الاصل الا ان نبوغه وذوقه السليم وقريحته جعلته يحتل مكانة بارزة في الادب العربي فبحوثه اللغوية في جذور الكلمات واشتقاقاتها واعرابها في تفسيره التبيان وبناء عباراته بالفاظ جزله محكمة وتركيبات واضحة بينة بلا تعقيد ولا التواء واستشهاده بالشعر العربي والامثال العربية المشهورة كل هذا يعبّر عن قريحة رائعة وامتلاك واثق لناصية الادب.

تفسير التبيان[٣٥]

تفسير جامع تعرض لعلوم القرآن في شتىٰ المجالات كالقراءة واللغة والاعراب واسباب النزول والنظم والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، وغيرها باسلوب علمي دقيق وعبارة جميلة، وهو اول تفسير شيعي ـ موجود ـ تطرق بالتفصيل لاثبات العقائد الكلامية عند الشيعة والردّ على خصومهم.

ظروف تاليفه

ذكرنا سابقاً ان الشيخ الطوسي تسلّم مقاليد الزعامة الدينية إثر وفاة «السيد المرتضىٰ علم الهدىٰ»، فسطع نجمه العلمي والاجتماعي واتسع نفوذه فأوغر ذلك عليه صدور خصومه، خصوصاً الاشاعرة منهم. فسعوا به عند الخليفة العباسي «القائم بأمر الله» ـ الذي اسند اليه كرسي الكلام ـ فدبروا له المؤمرات وحاكوا الدسائس، حيث كان الاشاعرة مقربين من البلاط العباسي، احراراً في نشر عقائدهم وافكارهم من خلال المحاضرات والمناظرات والتأليفات؛ وقد قام الخليفة بنشر كتابين احدهما عن عقائد الاشاعرة والآخر في تكفير المعتزلة.

وعاش الشيعة يومها فترة ارهاب وقمع، وتكررت الهجمات علىٰ مناطقهم، ومنعوا من اقامة الشعائر الدينية والطقوس المذهبية الىٰ ان قيّض الله الهم الشيخ المفيد والسيد المرتضىٰ ليقودوهم الىٰ ذرىٰ العزة والمكانة العلمية والاجتماعية في عصر السيطرة البويهية؛ ثم جاء عصر الشيخ الطوسي بيد انه كان مزامناً لتشتت البويهيين وافول دولتهم وسطوع نجم السلاجقة وقوة شوكتهم فاتخذ سبيل الاحتياط وعالج الامور بحذر وانصرف الىٰ التدريس والتأليف.

متىٰ كتب التبيان؟

يروي الشيخ في «التبيان» عن استاذه المرتضىٰ في مواطن كثيرة مترحماً عليه كما يُرجع القارئ الى «المبسوط» و «النهاية» و «الخلاف» و «العدة» و «تهذيب الاحكام» و «شرح الجمل» و «الامامة» و «تلخيص الشافي» في المسائل الفقهية والاصولية والكلامية[٣٧] ونستفيد من هذا امرين:

الاول: ان الشيخ الف اكثر كتبه في

حياة السيد المرتضى قبل تاليف تفسيره.

الثاني: انه كتب تفسيره بعد وفاة السيد المرتضى في عصر زعامته ومرجعيته ويبدو انه فسر القرآن الى سورة يوسف في سعة من الوقت وفراغ البال، بينما يلاحظ نوع من الاستعجال والاختصار في المتبقي.

ومن هنا نتوقع انه كتب التفسير في الآونة الأخيرة من ايام اقامته في بغداد.

نسخ التبيان

من هنا نفهم أن الشيخ كتب تفسيره في أواخر ايام اقامته في بغداد في خضم الاحداث الساخنة والتي تسببت في اشعال النيران في مكتبته ومقر اقامته، فهاجر الى النجف مضطراً ولعل تفسيره كان طعمة للنيران ايضاً. غير ان بعض طلابه احتفظوا بنسخ من التفسير بفضل الاسلوب الدراسي الشائع يومها (الاملاء والقراءة)، وفيما بعد قُرئت هذه النسخ على الشيخ ونجله وأُقرّت من قبلهما.

فقد جاء في الصفحة الاولى من نسخة[38] احتوت على الآيه ١٢١ من سورة آل عمران الى الآيه ٥٠ من سورة المائدة:

الجزء الثالث من كتاب «التبيان» في تفسير القرآن تصنيف سيدنا الشيخ الجليل... «ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي» ... نظر في هذا الكتاب «الشيخ الطوسي» ادام الله ظله قرأ على الشيخ «ابو الوفاء عبد الجبار».. وعلى الشيخ «ابو علي الطوسي».

وذُيّل بتوقيع الشيخ وقوله: قرأ على ولدي (ويحتمل ان يكون القارئ) «ابو القاسم علي بن عبد الجبار».

بيد ان نسخ هذا التفسير لم تكن مجتمعه في مكتبة واحدة مما ادى الى اختفائها الى ما قبل نصف قرن عن المكتبات.

قال اقا بزرك الطهراني في ذريعته:

«اقول: هذا التفسير النفيس عزيز الوجود في الغاية وقد كان عند العلامة المجلسي وذكره من مآخذ كتاب البحار في اوله ولكني لم اطلع بوجود تمام مجلداته جميعاً في مكتبه واحدة في عصرنا هذا نعم، يظهر من فهرس مكتبة الازهر بمصر ومكتبة السلطان الفاتح ومكتبة السلطان عبد الحميد خان وغيرها ان في كل منها

نسخة منه[٣٩].

الطبعة الاولى

طبع تفسير التبيان طبعته الاولى في مجلدين كبيرين ضخمين، المجلد الاول منه في ٨٦٩ صفحة واشتملت على مقدمة تعريفية بالكتاب وتفسير سورة الفاتحة الى آخر التوبة، طبع في ١٣٦٢ هـ.

وطبع المجلد الثاني في ١٣٦٥ هـ. وفي ٨٠٠ صفحة اختتمه الاستاذ «جلال الدين الهمائي» بقوله: «وتفسير التبيان مع ما ذكر من جلالة قدره وعظم شأنه قد كان اعز وجوداً من الكبريت الاحمر والبيض الانوق وابعد تناولاً من النجم ومناط العيوق اذ لم يكن تمام اجزائه جميعاً عند احد في مكتبة شخصية أو عمومية من مكاتب العالم شرقها وغربها بل كانت متفرقة في البلاد المتباعدة تفرق بحيث لم يكن احد من العلماء المشتاقين اليه يرجو ان يظفر به وكذلك مضت القرون وتطاول عليه الأمد »

وقد عنى بطبعه السيد الديِّن الحاج «عبد الرسول الروغني». قام بنفقة طبع هذا الكتاب ونهض بجمعه وترتيبه ونسخه وتصحيحه وتهيئته للطبع العالم العامل الفقيه الحاج «ميرزا علي اقا الواعظ الشيرازي»، واستعان بالسيد الجليل حجة الاسلام «السيد محمد الكوه كمري التبريزي» المدعو بالحجة، قد بذل الجهد في جميع الاجزاء وارسال ما عنده الى المصحح المحترم. وممن عاونه على التصحيح والمقابلة العالم الورع الحاج «اقا رحيم الاصفهاني» المدعو بالارباب.. وعلق عليه بخطه الشريف كما ترى في هوامشه ... وانا العبد الحقير «جلال الدين الهمائي الشيرازي».

الطبعة الثانية

طبع طبعته الثانية في دورتين كل دورة عشر مجلدات، قام بطبعه مكتبة الامين في النجف الاشرف في مطبعتي «العلمية» «النعمان» واستغرق طبعه من (١٣٧٦ هـ - ١٣٨٢). وامتازت هذه الطبعة بالتحقيق والتصحيح والتنظيم الذي قام به «احمد حبيب قيصر العاملي» و «احمد شوقي امين»؛ بالاضافة الى ترتيب المباحث اللغوية والقراءة والاعراب واسباب النزول والنظم التي اوردها المؤلف؛ وازدانت

الطبعة ايضاً بفهارس نافعة في نهاية كل مجلد للاحاديث والردود الكلامية والآيات والامثال والمباحث اللغوية.

ملخصات التبيان

أ ـ مختصر (منتخب) التبيان

ان أول من فتح باب الطعن على الشيخ هو «ابو عبد الله محمد بن المنصور بن أحمد بن ادريس العجلي الحلي[٤٠] (ت ٥٩٨ هـ) صاحب «السرائر»؛ قال صاحب الروضات[٤١].

«وهو اول من فتح باب الطعن على الشيخ والا فكل من كان في عصر الشيخ أو من بعده انما كان يحذو حذوه غالباً الى ان انتهت النوبة اليه...».

الّا ان صاحب «السرائر» هذا يقف على اعتاب «التبيان» اجلالاً واكباراً ويذكر مؤلفه بالتعظيم والثناء الجميل ويلخصه تثميناً لهذا الجهد الجبار.

قال اقا بزرك الطهراني: «وهو اول من خالف اقواله إلّا انه يقف عند كتابه التبيان ويعترف له بعظم الشان واستحكام البنيان وقد بلغ اعجابه ان لخصه وسماه مختصر التبيان»[٤٢]

نسخُهُ

تحتفظ خزانة مكتبة «المدرسة الفيضية» في قم بنسخة ناقصة من هذاالكتاب تشتمل على سورة البقرة الى سورة هود[٤٣].

وتحتفظ مكتبة «آية الله المرعشي النجفي» بنسختين من هذا الكتاب بعنوان «المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجه من كتاب التبيان»[٤٤].

واخيراً قامت المكتبة المذكورة بطبعه في مجلدين طباعة انيقة في شهر محرم الحرام ١٤٠٩.

ب ـ التعليقات[٤٥]

وهو حواشٍ وايرادات وتعليقات لابن اوريس نفسه على تفسير التبيان ذكره الشهيد الثاني في اجازته الكبرى[٤٦]:

ان المختصر هذا غير كتابه «التعليقات» الذي هو حواشٍ وايرادات عليه كتبت عن خط «ابن ادريس» فيظهر انه سماه بالمنتخب... وذكره محمد بن الحسن الحر العاملي[٤٧] (ت ١١٠٤ هـ) ايضاً:

«... وله ايضاً كتاب التعليقات كبير وهو حواشٍ وايرادات على التبيان لشيخنا

«الطوسي» شاهدته بخطه في فارس ...».

وله نسخة ناقصه تتضمن الاية ١٠٢ من البقرة الى سورة الحديد في «المكتبة المركزية للروضة الرضوية المقدسة».

مختصر التبيان في تفسير القرآن[٤٨]

للفقيه المفسر «ابو عبد الله محمد بن هارون[٤٩] المعروف بـ «ابن لاسكال» أو «كال» وهذه النسخة مفقودة لم يعرف عنها شيء الى هذا الوقت.

قالوا في التبيان

قال الشيخ الطوسي في مقدمة تفسيره

«اما بعد فان الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب اني لم اجد؟ احداً من اصحابنا ـ قديماً وحديثاً ـ من عمل كتابا يحتوي على تفسير جميع القرآن ويشتمل على فنون معانيه».

وقال في الفهرست[٥٠] «لم يعمل مثله» وبهذا يستحق الشيخ لقب امام المفسرين.

قال امين الاسلام «ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي» (ت ٥٤٨ هـ) وهو من تلاميذ «ابو علي الطوسي» وله قصب السبق في التفسير بعد الشيخ في مقدمة جميع البيان ما نصه:

«إلا ان اصحابنا ـ رضوان الله عليهم ـ لم يدونوا في ذلك ـ تفسير القرآن ـ غير مختصرات نقلوا فيها ما وصل اليهم في ذلك من الاخبار، ولم يعنوا ببسط المعاني وكشف الاسرار الا ما جمعه الشيخ الاجل السعيد «ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي» (قدس الله روحه) من كتاب «التبيان»، فانه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق، ويلوح عليه رواء الصدق، قد تضمن من المعاني الاسرار البديعة، واحتضن من الالفاظ اللغة الوسيعة، ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها ولا بتنميقها دون تحقيقها، وهو القدوة أستضيء بانواره وأطأ مواقع آثاره غير انه خلط في اشياء مما ذكره في الاعراب والنحو».

وقال المحدث القمي:

«اما التفسير فله كتاب «التبيان» الجامع لعلوم القرآن وهو كتاب جليل كبير عديم النظير في التفاسير»[٥١].

وقال صاحب الروضات:

«اقول والكتاب المذكور «التبيان» هو فوق ما يقول ونقول وحسب الدلالة على اشتماله لجميل كل مدلول واحتوائه لجليل

كل مشمول مع ندور ما يوجد فيه من احاديث الرسول ...»[٥٢] وهكذا تجد الاقوال في تفسير التبيان كثيرة نكتفي بهذا القدر[٥٣] ونلخصها في هذا البيت:

هو البحر من اي النواحي أتيته
فلجّته المعروف والجود ساحله

الهوامش:

(١) اكثر المؤرخين والترجمين على ماذكرناه الا ان «ابن شهر آشوب المازندراني» (ت ٥٨٨ هـ) ذكر عام (٤٥٨) و «ابن داوودي» ذكر عام (٤٦١ هـ). انظر «ابن شهر آشوب»: معالم العلماء: ١١٤ ش ٧٦٦، ط الحيدرية ـ النجف الاشرف (١٣٨٠ هـ).

(٢) الفهرست: ص ٢٨٨ ط جامعة مشهد. انظر رجال النجاشي: ٢٧٧ ط بومباي (١٣١٧ هـ).

(٣) ابن الاثير: الكامل في التاريخ: ٩/١٣٩ هامش مروج الذهب.

(٤) و (٥) السبكي: طبقات الشافعية الكبرىٰ: ٣/٥١ ط مصر.

(٦) السيوطي: طبقات المفسرين: ١/٢٩. ط ليدن.

(٧) تهذيب الاحكام: ج١ المقدمة، المطبعة الاسلامية، طهران.

(٨) الطوسي: الفهرست؛ ٣١٤ ط جامعة مشهد.

(٩) القاضي «نور الله الشوشتري»: مجالس المؤمنين؛ ١/٤٦٧؛ المطبعة الاسلامية، طهران، ١٣٧٥ هـ.

(١٠) انظر ترجمة المفيد في:
ابن النديم: الفهرست؛ ٣٦٦ ط: بنك التجارة ايران ١٣٤٦ هـ. ش ابن الجوزي: المنتظم؛ ٨/١٣ دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٩ هـ وغيرها.

(١١) الفهرست: ٢٢٠.

(١٢) فوائد رجالية: ٣/١٣٩.

(١٣) الفهرست: ٢٢٠.

(١٤) رجال النجاشي: ٢٠٦. انظر العلامة الحلي، خلاصة الاقوال، ٩٤/ج١ دار الخلافة، طهران عصر نادر الدين شاه.

(١٥) شيخ عباس القمي: تحفة الاحباب: ٣٢٤ المطبعة الاسلامية، طهران (١٣٦٩ هـ) روضات الجنات: ٦/٢٩٦.

(١٦) محسن الامين، اعيان الشيعة: ٩/١٦٠ دار المعارف بيروت ١٤٠٣ هـ.

(١٧) الحاج نوري، مستدرك الوسائل: ٣/٤٩٧ اسلامية طهران.

(١٨) رجال الشيخ: ٢١٦، ايران.

(١٩) خلاصة الاقوال: ٧٢. وجيزه الشيخ البهائي الملحقات بالخلاصة، ٦٣.

(٢٠) النقض: ٥٦ والسيد حسن الصدر: تاسيس الشيعة؛ ٣٣٩ ط العراق.

(٢١) السيد بحر العلوم: فوائد رجاليه؛ ٣/٧٥، رضا كحالة: معجم المؤلفين؛ ٩/٢٠٢، وابو زهره: الامام الصادق ـ ٤ ـ ؛ ٢/٤٤٨ دار الفكر العربي.

(٢٢) محسن الامين، اعيان الشيعة؛ ٩/١٦٠ دار التعارف للمطبوعات بيروت ١٤٠٣.

(٢٣) اقا بزرك الطهراني مقدمة التبيان: ١/١٢.

(٢٤) مستدرك الوسائل: الخاتمة: ٣/٥٠٦.

(٢٥) التبيان/٩/٣٠١ محمد: ٢٤.

(٢٦) عدة الاصول: المقدمة، مؤسسة آل البيت قم.

(٢٧) المصدر السابق.

(٢٨) تهذيب الاحكام، المقدسة، دار الكتب الاسلامية ١٣٩٠ هـ.

(٢٩) مستدرك الوسائل: ٣/٧٥٦، واقا بزرك الطهراني الذريعة: ٢/١٤.

(٣٠) تلخيص الشافي: المقدمة، دار الكتب الاسلامية قم ١٣٩٤ هـ.

(٣١) مستدرك الوسائل: ٣٩/٥٢٩ وانظر معالم العلماء: ٩.

(٣٢) الذريعة: ١/٧٣، ١٠/١٢٠.

(٣٣) مقدمة التبيان بقلم العلامة الطهراني: ٢٩.

(٣٤) محمد ابو زهرة الامام الصادق (ع) حياته وعصر: ٤٦٩ دار الفكر العربي.

(٣٥) ذكرت كلمة التبيان مرة واحدة في القرآن في سورة النحل الآية ٨٩ وهي مصدر شاذ.

قال ابن فارس في مقاييس اللغة ج١/٣٢٨: بان الشيء اذا اتضح وانكشف، يبين بياناً وتبياناً.

فخر الدين الطريحي في مجمع البحرين: ٦/٢٧١ ـ ٢١٩ تحقيق احمد الحسيني ط طراوت وبيّن الشيء اذا اوضحه واستبان تبين والفرق بين البيان والتبيان هو ان البيان جعل الشيء مبيناً مع الحجة وهو بالكسر من المصادر الشاذة قال الجوهري في الصحاح: لان المصادر انما تجيء على وزن التفعال (بفتح التاء) كالتكرار والتذكار ولم يجيء بالكسر الا في التبيان والتلقاء انتهىٰ».

(٣٦) التبيان: ٩/١٤٧، ٢/٩، ٥/٤٥٤ وهكذا في مواطن اخرى كثيرة جداً.

(٣٧) التبيان ٢/٤٦ ـ ٤٩ ـ ١٠٤ ـ ١٥٥ ـ ١٥٤ ـ ٥٥٨ ـ وهكذا.

(٣٨) فهرست المخطوطات لمكتبة آية الله المرعشي النجفي: ١/١٠٤ وهناك نسخه أُخرىٰ من سورة السجدة الى سورة الناس في مكتبة المجلس الوطني في طهران تحت رقم (٤٢١١).

(٣٩) الذريعة ٣/٣٢٨ ـ ٣٣١، مط الغري النجف الاشرف ١٣٥٥.

(٤٠) من تلاميذ ابن زهرة ومن مشايخ الاجازة لابن نما وسبط الشيخ الطوسي قال العلامة النوري في خاتمة المستدرك (٣/٤٨١):

العالم الجليل المعروف الذي اذعن بعلّو مقامه في العلم والفهم والتحقيق و ...».

(٤١) الخونساري، روضات الجنات: ٦/٧٤.

(٤٢) مقدمة التبيان: ١/٢٤.

(٤٣) التسلسل: ١٤٧٦ وذكر في فهرست مخطوطات المكتبة المذكورة في ج١/٢٣١.

(٤٤) احداهما في فهرست المخطوطات للمكتبة المذكورة: ١٢/١٥٦ رقم ٤٥٨٤ والاخرىٰ في ١٣/٢١٨ رقم ٥٠١٦.

(٤٥) الذريعة: ٤/٢٢٥ رقم: ١١٢٦ يقول: «حواش وايرادات علىٰ تفسير التبيان لشيخ الطائفة».

(٤٦) المصدر السابق.

(٤٧) امل الآمل: ٢/٢٤٤ وروضات الجنات. ٦/٢٧٥.

(٤٨) مقدمة التبيان: ١/٢٤، الذريعة. ٢٠/١٨٤ ١٨٥.

(٤٩) قال الحر العاملي في امل الآمل ج٢/٢١١: الشيخ.. فاضل، جليل، صالح، له كتاب مختصر التبيان في تفسير القرآن وكتاب متشابه القرآن وغير ذلك..».

(٥٠) الفهرست: ٢٨٨ ط جامعة مشهد.

(٥١) شيخ عباس القمي: الفوائد الرضوية: ٤٧٠ المكتبة المركزية ١٣٢٧ هـ.

(٥٢) الخونساري، روضات الجنات: ٦/ ٢٢٠.

(٥٣) للمزيد انظر معالم العلماء: ابن شهر آشوب، السبكي: طبقات الشافعية ٣/ ٥١ مصر، تاسيس الشيعة: السيد حسن الصدر؛ ص ٣٣٩، فوائد رجاليه السيد مهدي بحر العلوم؛ ٣/ ٢٢٨ .. وغيرها.

* * *

المنهج القرآني .. كيف نفهمه؟

* «لابدّ لنا من اكتشاف المنهج القرآني في آيات القرآن من خلال المواقع المتفرقة، وعدم الاكتفاء بالتقاط الآيات المتنوعة لنأخذ كل واحدة بمفردها .. فقد تواجهنا مثلاً الآيات التي تتحدث عن السير في الارض من اجل التعرّف على ما أصاب الظالمين والكافرين والمفسدين من نتائج سيئة .. وقد نجد الى جانبها الآيات التي تتحدث عن الاعتبار بالعِبر التي يذكرها القرآن، فيما يذكره من قصص الامم السالفة والآيات التي تتحدث عن الكفر، من حيث هو ناشيء من تعطيل الحواس والطاقات المودعة في الانسان من اجل المعرفة لا من حيث هو خاضع لشبهة فكرية وما الى ذلك..

إن مثل هذه الآيات تربطنا بالمنهج القرآني في اعتبار التجربة اساساً للمعرفة، الى جانب الأساس العقلي سواء في ذلك التجربة التي يخوضها الآخرون او التجربة التي يخوضها الانسان بنفسه من خلال عناصر الاحساس والفكر التي تحتاجها التجربة .. لتقيس حالة بحالة مشابهة، ولتفسّر موقفاً بموقف مماثل .. فان كل هذه الآيات تدعو الى احترام التجربة واعتبارها وجهاً من وجوه المعرفة الصادقة وتدفع الى استنطاقها في اكثر من مجال».

العلامة محمد حسين فضل الله

الأنسان في القرآن

السيد محمود الهاشمي



يكتسب تحديدنا للمفهوم والتصوّر اللذين يعطيهما القرآن الكريم عن حقيقة الانسان، والابعاد التي تكمن فيه اهمية كبرى، لما يترتب عليه من آثار كبيرة على الانسان، ومجمل سلوكه الفردي والاجتماعي.

ونستهل البحث في تناول اهمية هذا الموضوع، قبل الدخول في كيفية طرح القرآن لمفهوم الانسان بشتى ابعاده، وعلى مرّ فصول حياته.

ويمكن تلخيص أهمية البحث بالنقاط الثلاث الآتية:

* **الاولى:**

من الواضح أن الانسان، ومن خلال معرفته بنفسه، وابعاد وجوده، تتحدد له مسائل عديدة، يحتاجها في حياته، من خلال تلك المعرفة، فكل ما يفترض من مسائل اجتماعية، واخلاقية، وسلوكية يحتاجها الانسان تبتني على اساس تشخيصه لعدة امور منها: حقيقة وجوده، من الناحية النظرية، ووجود او عدم وجود خالق له، ومنتهى خلقته ومصيره، ودرجته ومقامه، وموقعه في هذا الكون. وتبعاً لهذا التشخيص يتشكل الفهم والتصور المحدود عن الانسان، والذي يؤدي الى اختلاف مسيرته وسلوكيته في الحياة، تبعا لهذا الفهم.

فالانسان المادّي الذي يجيب عن تلك الاسئلة بجواب ما، تتحدد مسيرته

الفـردية، والاجتمـاعيـة، والنفسيـة، والسياسية بشكل ينسجم مع ذلك الفهم، الذي حدده مسبقاً عن مفهوم الانسان، ويختلف المـاديـون باختـلاف مدراسهم وفلسفـاتهم، في تحـديـد هذا المفهـوم، وبـالتـالي تختلف تبعـاً لذلك النتـائـج الاجتماعية، والمسيرة الحياتية لكل منهم، فمثـلاً المـادّيـون المـاركسيـون يؤمنون بالفلسفة الديالكتيكية، والمفهوم المادي عن التـاريـخ، ويبنـون حيـاتهم وسلوكهم الاجتمـاعي والفـردي على ضوء المفهـوم الذي طرحوه عن الانسان، ويفسر المادّي ـ غير المـؤمن بالماركسية ـ مفهوم الانسان والمجتمع والتاريخ بشكل آخر، يترتب عليه نحو آخر من السلوك الفردي والاجتماعي.

وكذلك فان الانسان الموحد الذي يعرف الانسـان بأنـه مخلوق للّه، وله ارتبـاط ومسـؤوليـة تجاه خالقه، فانه يترتب على فهمه نحو آخر من السلوك، والذي يختلف على درجـة تحـديـده للأجـوبـة عن تلك الاسئلة، فالمـوحـد المسيحي يختلف في تحـديده لمفهوم الانسان ومسؤولياته عن المـوحد اليهودي، وهما بدورهما يختلفان عن المـوحد المسلم في هذا التحديد، وقد تختلف المذاهب داخل الديانة الواحدة في هذا التحـديـد، الذي يقـابله نوع من السلوك المختلف.

لذا تعتبـر مسـألة معـرفـة الانسان بنفسـه بمثابة الحجر الاساس لأيّ بناء فكريّ، أو اجتماعي او سياسي، اوسلوكي للانسان في حياته، فكل البنى الفوقية لأي بنـاء من هذا النـوع ترتكـز على فهمهـا لحقيقة الانسان.

وقـد لا تفصح النظرياتوالاتجـاهـات الفلسفية، بصراحة، عن هذا الارتباط، إلّا أنهـا متـأثـرة به شعـورياً، فكل مدرسة فلسفية متأثرة ـ بلا شك ـ بالمفهوم الذي تحدده عن الانسان، ومكانته، وموقعه، وارتباطاته.

فالنظريات التي تصدر عن تلك المدا س لا تمثـل سوى اصـداء لتلك النـظرة، فالرأسمـاليـة مثـلا عندما تطرح مفهوم الحريات الاربع فانها تنكر خضوعها لايّة فكـرة او نظرة مسـبـقـة، بل تدعي ان الانسـان حر في اختيـار أيّـة عقيـدة او مذهب، وهذا المفهوم نفسه واضح ابتناؤه على نظرة مسبقة، وفهم مشخّص ومحدد عن الانسان، وهو أن الانسان ليست له

مسؤولية تجاه أي مبدأ، وانه ليس في الوجود غير الانسان باعتباره الوجود الأول، وانه ليس له خالق مسؤول تجاهه، فالمفاهيم والنظريات الرأسمالية واضح ابتناؤها على نظرية الحادية مستترة منكرة لوجود أيّ عهد أو ميثاق اومسؤولية أو قيمة اوليّة فوقية مسبقة

* **الثانية:**

تعتبر معرفة الانسان بنفسه طريقا لكشف الكثير من الحقائق المرتبطة بخارجها، فمعرفة النفس والتأمّل فيما تشمله من أبعاد وآفاق واغوار تعد من أهم المسالك لمعرفة الانسان باللّه سبحانه، وهذا ما نجده مطروحا في جملة من الآيات القرآنية، والأحاديث، والروايات:

كالآية الكريمة «**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبينّ لهم انه الحقّ، او لم يكفِ بربك انه على كل شيءٍ شهيد**»[1].

والآية الكريمة: «**وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون**»[2].

والعبارة المعروفة من الرواية «**مَنْ عرف نفسه فقد عرف ربه**»[3].

وسواء كانت المعرفة بالنفس حضورية او حصولية[4] فانها توصل الى معارف اخرى اساسية، كالمعرفة باللّه سبحانه، وبنبيه (ص)، وباقي اصول العقيدة.

* **الثالثة:**

ان معرفة الانسان بنفسه (في المفهوم القرآني) مقدمة لازمة لتوجه الانسان، والتفاته الى نفسه، ومسؤولياته في الحياة، وما يترتب على ذلك من واجبات، في مجال تكميلها واصلاحها، فحالة الغفلة عن حقيقة النفس تؤدّي الى الغفلة عن واجبات النفس، ويفقد الانسان كل النتائج المترتبة على ادراكه لذلك، واذن نسي الانسان نفسه في كل شيءٍ.

وهذا احد التفسيرين للآية الكريمة «**نَسُوا اللّهَ فانساهم انفسَهم**»[5] فإن الذي ينسى اللّه سبحانه فإنه ناسٍ لنفسه، فغفلة الانسان عن نفسه تؤدّي به الى الغفلة عن خالقه، وعدم ادراكه بالتالي لثمرات ذلك الادراك وبركاته المعدّة في العالم الآخر الذي هو في الواقع عالم استحصال النفوس لبركاتها، من خلال سعيها في النشأة الاولى، والمهم الاول لكل إنسان ان يجد نفسه، ومن خسر نفسه

فذلك هو الخسران المبين. قال تعالى: «**يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسَكُم لا يضُركم من ضلَّ إذا اهتديتم**»[٦].

والذي ينسيه الله نفسَه لن يصل الى تلك المرتبة التي يتنعم فيها المتقون باللذائذ والنعم والبركات الإلهية، من خلال سعيهم في الحياة الدنيا، للوصول الى تلك المقامات التي تأتي من خلال معرفة الانسان بنفسه، وكأن تلك المقامات والمنازل هي آثار ونتاجات معرفة النفس، والارتفاع والعروج بها في سلم القرب من الله.

إنّ إدراك تلك المقامات التي لا يمكن في هذا العالم إلاّ التمثيل لها بما حول الانسان من نعم، وتحصيل رضوان الله ونعيمه الخالد لا يتأتّىٰ إلاّ من خلال معرفة الانسان بنفسه، والتوغل في تلك المعرفة، والالتفات الى ابعاد النفس، وارتباطها، واستعدادها للقرب من الله سبحانه. فكل تلك المقامات نتيجة للقرب من الله سبحانه، والذي لا يأتي الا من خلال معرفة الانسان بنفسه، على أنها نفخة من روح الله، وان لها من الامكانات والاستعدادات المودعة فيها، من قبل الله، ما تستطيع ان تنمو وتتكامل بها، حتى يصبح الانسان مثلا الله سبحانه، كما في الحديث القدسي (عبدي اطعني تكن مثلي).

* الإنسان في القرآن:

ينقسم البحث القرآني عن الانسان الى فصلين رئيسين:

الاول: الآيات القرآنية المتعرضة للإنسان كفرد.

الثاني: الآيات القرآنية المتعرضة للإنسان كمجتمع.

هنا سنقتصر الحديث عن الجانب الأول، وعلى أمل ان ان نتطرق الى الثاني في فرصة اخرىٰ.

والآيات القرآنية التي تتكفل أبعاد وحيثيات الانسان كفرد بقطع النظر عن الحيثية الاجتماعية كثيرة يمكن فهرستها ولكن سوف نؤجل هذه الفهرسة الى ما بعد استيعاب ما يمكن استيعابه من الموضوعات التي تتناولها الآيات القرآنية عن الانسان.

أول موضوع نجده في الآيات القرآنية من خلال هذا المنظور نشأته المادية، وهو

الموضوع الاول من موضوعات الفصل الاول.

نظرية: خلق الانسان في القرآن الكريم من الموضوعات المهمة فلسفياً وعقائدياً واجتماعياً.

فنشأة الانسان وكيفية هذه النشأة فيها نظريات عديدة حسب اختلاف المذاهب والأديان والاتجاهات الفلسفية والكلامية، وكذلك الآيات القرآنية التي تتعرض الى تلك النشأة. وتشترك كل هذه الآيات في أنها تبتنى على النظرية الاسلامية عن الخلق وعن الوجود والذي هو مرتبط بالله سبحانه وتعالى ومخلوق من قبل الله ويفيض على كل الوجود والخلق بما فيهم الانسان.

ونحن هنا لا ندخل في مسألة مبدأ الخلق، فان هذه مسألة ترتبط ببحث التوحيد وإنما نبحث كيف خلق الانسان من قبل هذا الخالق وكيفية هذا الخلق في إطار نظرية وجود الله سبحانه وتعالى ويمكن تصنيف الآيات المتعرضة لهذا الجانب الى طوائف:

الطائفة الاولى: الآيات القرآنية التي تتناول موضوع نشأة الانسان وخلقه بعد أن لم يكن شيئاً، اي كونه مسبوقاً بالعدم من قبيل قوله تعالى:

«... وقد خلقتُكَ من قبلُ ولم تَكُ شيئاً»[7].

«اوَلا يذكرُ انّا خلقناهُ من قبلُ ولم يكُ شيئاً»[8].

«هل اتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكُنْ شيئاً مذكوراً»[9].

هذه الطائفة من الآيات القرآنية تحاول أن تثبت أن الانسان مسبوق بالعدم ولم يكن شيئاً يذكر، لم يكن له اسم وذكر فضلاً عن أن يكون له مسمّى أو لم يكن شيئاً يُسمّى بإنسان وإن كانت اجزاؤه المادّية موجودة في صور نوعية ومادية أخرى، وتحاول هذه الآيات أن تثير هذا الشعور عند الانسان بأنه لم يكن شيئاً مذكوراً، ولم يكن له وجود.

ربما يتوهم أن هذه الآيات تدل على أن الانسان خلق من العدم محضاً وهذا خلاف ما هو ثابت في الآيات الاخرى والروايات وانما خلق من طين ومن تراب، فمادته الاصلية كانت مأخوذة من الارض ثم صنع منه على شكل إنسان ثم نفث فيه من روح الله ثم صار إنساناً، ليست هذه

الآيات في مقام بيان عدم الخلق بل تريد أن تثير هذا الشعور عند الانسان - في يوم ما لم يكن شيئاً - سواء كان النظر الى ذلك الانسان الأول، الذي هو آدم عليه السلام، أو الى نسله كما لا ينافي أن يكون في خلق الانسان مرحلتان ونشأتان، نشأة أولية دفعية لآدم عليه السلام ،ثم يصنع من هذا الخلق الجديد نسله، وعندما يتطور من خلال التراب ويتغذى وينمو يتحول غذاؤه الى مادّة عضوية وحيوية خاصة في بدن الانسان ثم الى حيمن خاصّ والذي بدوره ينتقل بالتدريج بعد عملية الاخصاب الى مضغة وعلقة.... الخ.

فلا تريد هذه الآيات أن تنفي هذا النحو الثاني من الخلق وإنما تريد أن تبين فقط أن الانسان مرت عليه مرحلة ولم يكن شيئاً مذكوراً.

أما الآية الاخرى في سورة الانسان **«هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يَكُنْ شيئاً مذكوراً»** اذا أخذنا القيد احترازيّا حينئذ يكون المعنى فيه إشارة لنفي هذا الاحتمال - لم يكن شيئاً مذكوراً - اي لم يكن شيئاً كإنسان ولكن قد يكون موادّ أولية موجودة باستثناء الروح، فذرات التراب والماء موجودة ولكن لم تكن إنسانا فلا تنفي هذه الآيات أن تكون نظرية الخلق عبارة عن تطوير لنشأة أخرى تؤخذ تلك النشأة وتتطور من قبل اللّه سبحانه وتعالى وبإرادة خاصّة أو ضمن قانون عام كما في قانون إنشاء النسل البشري فيتحول حينئذ من مادة الى مادة أخرى الى أن يصبح خلقاً آخر وهو الانسان، وهذا التحول الجديد لا يكون إلّا بإرادة اللّه سبحانه وتعالى.

تلك الطائفة من الآيات حاولت أن تثبت بأن الانسان مرّ عليه وقت ولم يكن شيئاً وأنه مسبوق بالعدم.

الطائفة الثانية: الآيات القرآنية التي تشير الى أن نشأة الانسان كانت من الارض وأن أصله ومادته الارض من قبيل قوله تعالى:

«هو اعلمُ بكم إذْ انشاكم من الارض...»[10].

«منها خلقناكم وفيها نعيدُكم ومنها نُخرجكم تارةً اخرى»[11].

«واللّه انبتكم من الارض نباتا»[12].

«هو انشاكم من الارض واستعمركم

فيها...»[١٣].

وفي هذه الآيات أدخل الله سبحانه وتعالى مفهوماً آخر غير مفهوم الخلقة من الارض وهو مفهوم الإنبات، على أن الانسان كالنبات يخرج من الارض كما يخرج النبات.

فالطعام والشراب في جسم الأب والأم يتحول الى مواد خاصة معينة ثم ينمو وتصبح قابلة للإخصاب والتوليد والتكاثر، هذه العملية هي نفس عمنية نمو النبات ولكنها تمر بمرحلة أكثر تطوراً وتعقيداً من النبات.

النظر الساذج السطحي يصور تحول التراب الى نبات دون خلق أو تحول بينما هناك عمليّة خلق وتحول من صورة نوعية أخرى والمادة بنفسها لا يمكن أن تتحول من دون محرك[١٤].

فالانسان ليس مخلوقا مباشراً بلا أيّ ارتباط بما قبله، فبعض وجود الانسان من الارض، وبهذا كان الانسان له جانب ارضي ومأخوذ من الارض وليس مقطوع الصلة بكائن ووجود قبله.

الطائفة الثالثة: وهي الآيات القرآنية التي تصرح أنّ الانسان خلق من تراب، من قبيل قوله تعالى:

١ـ «... **أكفرتَ بالذي خلقكَ من تراب ثُمَّ من نطفةٍ ثُمَّ سَوّاكَ رجلًا**»[١٥].

٢ـ «**فإنا خلقناكم من تراب...**»[١٦].

٣ـ «**ومن آياتِهِ أنْ خلقَكُم من تراب...**»[١٧].

٤ـ «**واللّه خلقكم من تراب...**»[١٨].

٥ـ «**هو الذي خلقكم من تراب...**»[١٩]

٦ـ «**إن مَثَلَ عيسى عندَ اللّه كمثل آدمَ خلقه مِن ترابٍ...**»[٢٠].

الطائفة الرابعة: وهي الآيات التي تصرح بأن الانسان خلق من طين او من صلصالٍ[٢١] او من حمأ[٢٢] مسنون من قبيل قوله تعالى:

١ـ «**ولقد خلقنا الانسان من صلصالٍ من حمأ مسنون**»[٢٣].

٢ـ «**و إذْ قالَ ربكَ للملائكةِ إني خالقٌ بشراً من صلصالٍ من حمأ مسنون**»[٢٤].

٣ـ «**خلق الانسان من صلصال كالفخار**»[٢٥].

٤ـ «**هو الذي خلقكم من طين...**»[٢٦].

٥ـ «... **خلق الانسان من طين**»[٢٧].

٦ـ «... انــا خلقــنــاهــم من طين لازب»[٢٨] [٢٩].

٧ـ «قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقتَهُ من طين»[٣٠].

٨ـ «قال ءأسجدُ لِمَنْ خلقتَ طيناً»[٣١].

الطائفـة الخـامسة: وهي الآيات التي تدل على أنّ الانسان خلق من ماء مهين من قبيل قوله تعالى:

١ـ «الم نخلقكم من ماءٍ مَهين»[٣١].

٢ـ «ثم جعل نسله من سُلالةٍ من ماءٍ مهين»[٣٢].

٣ـ «خلق من ماءٍ دافق»[٣٣].

الطائـفـة السـادسـة: تدل على أنّ الانسان خلق من نطفة من قبيل قوله تعالى:

١ـ «خلق الانسان من نطفةٍ...»[٣٤].

٢ـ «اولم ير الانسانُ انّا خلقناهُ من نطفةٍ...»[٣٥].

٣ـ «انا خلقنا الانسانَ من نطفةٍ...»[٣٦].

٤ـ «من نطفةٍ خَلَقَهُ فقدَّره...»[٣٧].

٥ـ «الم يَكُ نطفةً من منيّ يُمنىٰ»[٣٨].

٦ـ «وانــه خلقَ الزوجــين الذكــرَ والأنثى، من نطفةٍ إذا تُمنىٰ»[٣٩].

٧ـ «افرايتـم ما تُمنونَ...»[٤٠].

٨ـ «فإنا خلقناكمُ من تراب ثُمَّ من نطفةٍ...»[٤١].

٩ـ «واللّه خلقكُم من ترابٍ ثُمَّ من نطفة...»[٤٢].

١٠ـ «هو الذي خلقكم من ترابٍ ثُمَّ من نطفة...»[٤٣].

هذه ستُّ طوائفَ من الآيات تشيُر الى كيفيـة نشـأة الانسان وخلقته في جانبه المادّي. وهناك طائفة أخرى سابعة تشير الى كيفيــة نشــأتــه في جانبــة الروحي والإنساني تفرزها عن هذه الطوائف.

وهذه الطوائف تختلف حسب مدلولها المطابقي، إلّا أنها من حيث أصل الفكرة ليس فيهـا تنـافٍ وتناقض بل كلّ طائفة تحاول أن تكشف جانباً من جوانب خلقة الانسان في بعده المادي.

قلنا في البحث السابق إنّ هذه الطوائف من الآيــات تدل على حقـيقــة غير قابلة للإنكار وثابتة علمياً هي أنَّ خلقة الانسان في جانبه المادّي غير العضويّ مأخوذة من الارض (التراب) وهذا لا ينافي أن يصبح كائناً عضوياً وهذا الكائن العضوي يعيش على التراب بصورة غير مباشرة.

الايات تؤكد على حقيقة علمية ثابتة هي أن الانسان في جانبه غير العضوي وحتى في شكله التـدريجي يعيش في نمو وتوالد وتطـوّر على التـراب والأجـزاء المـاديـة المـوجـودة في الارض، ولهذا لو منع منه الغـذاء والماء المأخوذ بشكل أو آخر من الارض لا يستـطيع أن يستمر في حياته وينتهي مصيره الى الموت.

المسألة المهمة التي ينبغي أن نبحثها هي: هل هذه المنشأة التطورية التي تؤكد عليهـا الآيـات الخـاصـة التي تبدأ من التراب وتنتهي بالانسان الكامل كما جاء في سورة الحج (٤٤)تشمل حتىٰ الانسان الاول، وهو آدم، أم انها تختص بنسل آدم فقد ذهب بعض الكتّاب الى الأول فادّعـوا أن هنـاك نظريـة واحـدة تطرحها الآيات القرآنية حول خلقة الانسان ونشأته وهي صادقـة علىٰ كل انسـان، غاية الأمر أن أبـوي آدم لم يكوناَ قد بلغا هذه المرحلة التطورية، بل كانا يشكلان مرحلة اقل من الوعي والادراك، وان آدم (ع) اجتباه الله تعـالى واصـطفـاه وأدخله الجنّة وخاض تجربة خاصة أخذ يتكامل فيها حتى صار رأس هذه السلسلة البشرية وهذا الخلق الإلهي الخاص، وهذا يدل على أن نظرية النشأة التطورية من التراب هي النظرية القرآنية في خلق الانسان من آدم الى يومنا هذا، فهناك نظرية واحدة تطرحها الآيات القـرآنيـة حول نشأة الانسان وكما هي صادقـة على كل انسان صادقة على آدم (ع) ايضا.

نظريـة التطور عند علماء الطبيعة لها دوائر عديدة ـ بعض الدوائر ثابتة البطلان ـ وبعضها ثابتة علميّاً، ولا بد وأن نعرف أن أصـل نظريـة التـطور لا يتنـاف مع التـوحيـد لأنّ التطور بنفسه بحاجة الى الخـالق والمحرك والمطور، وانما استغلت هذه النظرية في الفكر الفلسفي في بعض الاتجاهات الفلسفيةغير الصحيحة . وعلى كل حال فقـد حاول بعض الكـتـاب ان يستنبـط المفهـوم القـرآني عن نشـأة الانسان على أساس نظرية التطور وحاولوا أن يستشهدوا بآيات قرآنية اتخذوها أدلة على صحة نظرياتهم.

نحن هنا قبل ان نتعرض الى دليل هذا الكاتب او ذاك نريد أن نحكم فهمنا الاولّي للآيـات التي استعـرضناها في الطوائف الست وهل يستفاد منها ما يكون دليلا على

خلاف نظرية التطور في خلقة آدم (ع)، وأنها كانت خلقة دفعية او أنها خلقة تطورية طبيعية تشبه التسلسل في نشأة الانسان اليوم ابتداء من التراب ثم النطفة ثم العلقة... الخ.

فنقول: توجد ثلاثة أنواع من الآيات يمكن أن يستفاد منها أنّ آدم كانت خلقته من تراب على اساس دفعي لا على اساس نظرية التطور.

النوع الاول: الآية التي وردت في سورة آل عمران: «**ان مثل عيسى عند اللّه كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**»[٤٥].

هذه الآية المباركة أرادت ان تقول لهؤلاء النصارى إن عيسى يختلف عن سائر البشر لم يخلق من أب وإنّما كان خلقه كخلق آدم فمثله سبحانه وتعالى بآدم، ومن هذا التمثيل نفهم أنّ آدم كانت خلقته من غير أب، اي دفعية وأيضاً لم تكن خلقة تطورية، اذ لو كانت خلقة آدم تطورية عندها يجب ان يكون له أب ولو في سلم أنزل منه من حيث درجة التطور والتكامل وعلى هذا الاساس وجب ان يكون لعيسى أب أيضاً تولد منه تولداً عضويا وهو خلاف ما تصّرح به وتريده الآية، لأنّ هذه الآية جاءت لتنفي شبهة الزنا والتهمة التي كان قد ادعاها اليهود كماتنفي شبهة كونه ابن اللّه (والعياذ باللّه).

وهكذا لا يصح هذا التشبيه إلّا اذا فرض أنّ آدم لم يكن له أب. وأما من حيث الأمّ فإنّ الآية لا تريد تشبيه آدم بعيسى بل عيسى بآدم، ولا كلام في أنّ آدم اذا لم يكن مخلوقاً من خلال نظرية التطور من حيث الأب لم يكن مخلوقاً كذلك من حيث الأمّ أيضاً لأنه لو كانت نظرية التطور صادقة في آدم عليه السلام لكانت صادقة أباً وأمّاً،لكنّ الآية لا تريد ان تشبّه آدم بعيسى سلام الله عليهما، بل تريد أن تشبّه عيسى بآدم،والسؤال كان عن اب عيسى لا عن امّه.

الهوامش:

(١) فصلت/٥٣.

(٢) الذاريات/٢١.

(٣) علل الشرائع.

(٤) يقسم الفلاسفة والحكماء الاسلاميون

المعرفة بالنفس التي تكون الطريق الى معرفة الله سبحانه الى قسمين، بلحاظ الاصطلاح المنطقي، الذي يقسم العلم الى حضوري وحصولي.

فالمعرفة الحضورية والشهودية بالنفس تنتهي الى المعرفة الحضورية والشهودية بالله تعالى. فباعتبار أن علم الانسان بنفسه حضوريّ فأنه يستحضر كل ما في نفسه من الأمور حضورياً، وهي حالة الاستبطان، والشهود، والاتصال المباشر بالمعلوم، دون أن تكون هناك صورة متوسطة بين المعلوم والذهن، ولا تأتي هذه الحالة من خلال التأمل فقط بل اضافة له لا بد من ممارسات، ومجاهدات، ورياضات نفسية خاصة، وزهد حقيقي، وتجنّب عن كثير من الامور تنتهي بالانسان الى ان تنكشف له حقائق عن نفسه، وأخرى متصلة بعالم الغيب، وما وراء النفس، توصله الى معرفة الله سبحانه، وهذا هو طريق العرفان لدى الحكماء.

اما المعرفة الحصولية، والاكتسابية، والنظرية بالنفس فانها تؤدي الى المعرفة الحصولية والاكتسابية والنظرية بالله سبحانه، وتحصيل هذه المعرفة يشبه تحصيل ايّة معرفه أخرى، وتأتي هذه المعرفة من خلال الاستدلالات العلمية بخصائص النفس، والتي تؤدي الى التصديق بالحقيقة العظمى المتمثلة بالله سبحانه.

(٥) الحشر/١٩.
(٦) المائدة/١٠٥.
(٧) سورة مريم/٩.
(٨) سورة مريم/٦٧.
(*) «مذكوراً» هنا ليس للاحتراز بان كان شيئاً لكن غير مذكور، وانما لمزيد التخفيف والاستهانة.
(٩) سورة الانسان/١.
(١٠) سورة النجم/٣٢.
(١١) سورة طه/٥٥.
(١٢) سورة نوح/١٧.
(١٣) سورة هود/٦١.
(١٤) للتوسع في هذا البحث الفلسفي يمكن مراجعة نظرية الوجود في كتاب فلسفتنا.
(١٥) سورة الكهف/٣٧.
(١٦) سورة الحج/٥.
(١٧) سورة الروم/٢٠.
(١٨) سورة فاطر/١١.
(١٩) سورة غافر/٦٧.
(٢٠) سورة آل عمران/٥٩.
(٢١) الصلصال: الطين الجاف.
(٢٢) حمأ مسنون: طين اسود منتن سائل.
(٢٣) سورة الحجر/٢٦.
(٢٤) سورة الحجر/٢٨.
(٢٥) سورة الرحمن/١٤.
(٢٦) سورة الانعام/٢.
(٢٧) سورة السجدة/٧.
(٢٨) اللازب: متلاصق الاجزاء، الثابت الشديد الثبوت.
(٢٩) سورة الصافات/١١.
(٣٠) سورة ص ـ ٧٦.

(٣١) سورة المرسلات/ ٢٠، (مهين: اي وضيع ومحتقر).
(٣٢) سورة السجدة/٨.
(٣٣) سورة الطارق/ ٦.
(٣٤) سورة النحل/ ٤.
(٣٥) سورة يس/ ٧٧.
(٣٦) سورة الانسان/ ٢.
(٣٧) سورة عبس/ ١٩.
(٣٨) سورة القيامة/ ٣٧.
(٣٩) سورة النجم/ ٤٥ ـ ٤٦
(٤٠) سورة الواقعة/ ٥٨.
(٤١) سورة الحج/ ٥.
(٤٢) سورة فاطر/ ١١.
(٤٣) سورة غافر/ ٦٧.
(٤٤) (... فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة. ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة...) سورة الحج/ ٥.
(٤٥) يقال: نزلت هذه الآية عندما جاء جمع من نصارى نجران الى النبيّ (ص) أرادوا ان يمتحنوه فسألوه عن اسمه واسم أبيه وأسماء الأنبياء وأسماءِ آبائهم وكان النبيّ (ص) يجيبهم على أسئلتهم بالنحو الذي كانوا يجدونه في كتبهم الى أن وصلوا الى عيسى وسألوه عن اسمه واسم أبيه ومن هو أبوه، وهنا نزلت هذه الآية المباركة.
سورة آل عمران/ ٥٩، وهي من الطائفة الثالثة من الطوائف الستّ المذكورة سابقاً.

* * *

.... بالرغم من ان الوصول إلى كل أعماق القرآن، وبطونه لا يتيسر إلّا لعدلاء القرآن (العترة الطاهرة المعصومة) ولكن يمكن ـ وبالاستعانة والاقتباس من المراجع والمنابع المعصومة الوصول الى مستويات من المعارف بشكل نسبي.

واستفادة الناس من القرآن تختلف باختلافهم، كل حسب مداركه وخلفياته، ومع هذا فالكل يجهلونه «وفوق كل ذي علم عليم».

آية الله العظمى السيّد الكلبايكاني دام ظله الوارف

المذهبُ الكَلاميّ

الشيخ محمد هادي معرفة



هو من ظريف البديع، أن يسترسل الشاعر في تغزّله، والخطيب في تفكّهه، فيستطرف في اسلوب بيانه: يقترب من مطلوبه شيئا، ويدنو اليه على طريقة اهل الاستدلال في خُطىً حثيثة متواصلة، بتمهيد مقدمات منتهية الى النتيجة المتوخّاة. فيأتي بشواهد ودلائل، ويقيس كما يقيس الفقيه المتكلف، ويبرهن على شاكلة الحكيم المتفلسف، وهكذا يقترب من مقصوده مليّا.. وهو فنّ من اساليب البيان، دقيق مسّه، رقيق رمسه. قلّ من يتوفق لمثله في قدرة الاستحواذ على مشاعر من سمع الخطاب. «ان من البيان لسحراً».

انشد ابن المعتزّ لنفسه:

أسرفتُ في الكتمان
وذاك منّى دهاني(1)

كتمتُ حبّك حتّى
كتمتُه كتماني

فلم يكن لي بدّ
من ذكره بلساني

قال ابن رشيق: وهذه الملاحةُ نفسُها، والظّرف بعينه.

وقال ابو نؤاس:

سخُنت من شدّة البرودة حتى
صـرت عندي كأنّك النـار

لايعجب السامعون من صفتيّ
كذلك الثلج بارد حـارّ

قال ابن رشيق: فهذا مذهب كلامي فلسفي..[٢].

قال ابن معصوم: وهذا النوع اول من ذكره الجاحظ: وهو عبارة عن ان يأتي البليغ بحجّة على ما يدعيه على طريقة المتكلمين، وهي أنْ تكون بعد تسليم المقدمات مستلزمة للمدّعىٰ[٣].

قال ابن ابي الاصبع: وزعم الجاحظ انه لا يوجد منه شيء في القرآن .. والكتابُ مشحون به[٤] ومنه محاجات ابراهيم ـ عليه السلام ـ مع قومه من قوله تعالى: «**وحاجّه قومه**..» الى قوله: «**وتلك حجّتنا آتيناها ابراهيم على قومه**..»[٥]. وذكروا أنّ من اول سورة الحج الى قوله: «**وان اللّه يبعث من في القبور**» خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات رتيبة.

وذكر ابو الحسن الرماني ـ في الضرب الخامس من باب المبالغة ـ: اخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل والمظاهرة في الاحتجاج. فمن ذلك قوله تعالى: «**وإنّا او إيّاكم لعلى هدى او في ضلال مبين**»[٦]. وقوله: «**قل ان كان للرحمان ولد فانا اوّل العابدين**»[٧] وعلى هذا النحو خرج مخرج قوله تعالى: «**اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرّا**»[٨] جاء على التسليم ان لهم مستقراً خيراً من جهة السلامة من الآلام، لانّهم (اي المشركون) ينكرون اعادة الارواح الى الاجساد، فقيل: على هذا اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا. ومنه قوله: «**وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه**»[٩] على التسليم ان احدهما اهون من الآخر فيما يسبق الى نفوس العقلاء[١٠].

سُطوع براهينه

قلت: دلائل القرآن لامعة، وبراهينه ساطعة.. لكن.. لا على الاساليب المعقّدة التي ينتهجها ارباب الكلام، بل على طريقة العقلاء في متعارفهم، في قوة منطق واناقة بيان.. فقد اخذ من المسلّمات (القضايا البديهية والمعترف بها) برهانا على النظريّات. ومن المشاهدات المحسوسة دليلا على حقائق راهنة لا محيص عنها.. كل ذلك على طريقة واضحة ومحجّة لائحة.. يستذيقها الطبع، ويستلذها الذوق، وتستسلم لها العقول. «**ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد**»[١١].

* منهـا قوله تعـالى: «**قـل ان كان للرحمان ولد، فانا اول العابدين**»[١٢].

هذا استدلال على الطريقة العقلائية: اذ لو كان وللّه ولد، كما يقوله هؤلاء البعداء عن ساحة قدسه تعالى، لكان اول معترف به هم الرسل الذين جاؤوا من عنده، وهم اقرب اليه ممن سواهم.

* وقوله: «**لو كان فيهما آلهة الاّ اللّه لفسدتا..**»[١٣]. وقد اوضحته آية اخرى: «**ما اتخذ اللّه من ولد. وما كان معه من الـه. اذن لذهب كل اله بما خلق، ولعلا بعضهم فوق بعض. سبحان اللّه عما يصفـون**»[١٤]. ايضـا طريقـة عقـلانيـة يتسلمها العقلاء عند المقايسة.

* وقوله: «**وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيـده، وهـو اهون عليه**»[١٥] اذ كان الخصم معتـرفـا بان اللّه هو الذي بدأ الخلق.. اذن فالاعادة اهون من البداءة، لانّها من شيء، وتلك لا من شيء

* وقوله تعالى: «**انكم وما تعبدون من دون اللّه حصب جهنّم انتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها. وكل فيها خالدون**»[١٦].

وكانت العرب تعترف بالمبدأ الاعلى وهو اللّه تعالى، وانما يعبدون الاوثان ليقربوهم الى اللّه زلفى[١٧] فكـانوا يعتبرونهم آلهة صغـارا، هم شفعاء ووسطاء بينهم وبين اللّه الكبير المتعال. تعاليم ورثوها من امم مجاورة: الفرس والروم واليونان.

فاذ قد سلّمـوا بربو بيته تعالى، وانه الحاكم على الخلائق اجمعين، فانه يحكم بهـؤلاء وما يعبدون انهم حصب جهنم.. ولايدخلها الا صاغر حقير، لايملك شفاعة ولا يستحق عبادة.

* وقوله: «**ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط**»[١٨]. فقد رتّب ـ دخولهم الجنة على ولوج الحبل الغليظ في خرم الأبرة. ولما كان ذلك امرا ممتنعا، كان ذاك ايضا مثله. فقد ابدى امتناع دخولهم الجنة بهذا الشكل القياسي كناية بديعة.

* وقوله: «**انا اعطيناك الكوثر فصلّ لربّـك وانحـر**»[١٩] فقد رتب النتيجة على صغـرى القـيـاس مع حذف الكبـرى لظهورها، وهي: ان من اعـطاه اللّه الكوثر ـ وهي مجمـوعة المكرمات ـ فينبغي له ان يؤدّي شكـره الواجب، بالابتهال الى اللّه والمثول لديه بكل الوجود.

* وقـوله: «**ولو شئنـا لرفعنـاه بها ولكـنــه اخـلد الى الأرض**»[٢٠] قيـاس

استثنائي مركّب من قضيّة شرطية مضمونها: «**ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا**»[٢١]. واخرى حملية استثنائية مضمونها: «**ومن اعرض عن ذكري فانّ له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى. قال ربّ لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا. قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**»[٢٢].

* وقوله: «**فلمّا افل قال لا احبّ الآفلين**»[٢٣]. الكبرى مطوية، اي وكل آفل غير مستحق للعبادة.

* وقوله تعالى: «**أم خُلقوا من غير شيء ام هم الخالقون؟**»[٢٤].. هذا شبه بقياس السبر والتقسيم.. لان الامر يدور بين ثلاثة: اما ان يكونوا قد خلقوا من عند انفسهم. ليس لهم خالق.. او يكونوا هم الذين خلقوا انفسهم.. او تنتهي خلقتهم الى خالق خارج من انفسهم.. ولا رابع لذلك.

اما الاول ـ ليكونوا قد خُلقوا لا من شيء، ولا خالق لهم، وانهم وجدوا لا من علّة وسبب.. فهذا مما يستحيله العقل، اذ لا معلول بلا علّة ولا موجود بلا موجد.. فلا تترجح كفّة الوجود على كفة العدم، في دائرة الممكنات، لسوى مرجّح خارجي.

وكذا الثاني ـ لأنه دور مستحيل، وتوقّف وجود الشيء على نفسه مما يمتنع في بديهة العقل..

اذن فالصحيح المعقول هو الفرض الثالث، انهم مخلوقون، وان لهم خالقاً، هو واجب الوجود لذاته، ويكون منتهى سلسلة الموجودات في دائرة الامكان.

* وقوله تعالى: «**كما بدأكم تعودون**»[٢٥]. وقوله: «**كما بدأنا اول خلق نعيده**»[٢٦]. وقوله: «**أفعيينا بالخلق الاول؟**»[٢٧].

وهذا من قياس النظير على النظير، فقد قيس امر الاعادة على امر البدء، قياساً معقولاً، لان الذي فعل شيئاً قادر على ان يفعل مثله، اذ حكم الامثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد..

بل المسألة هنا هي الاعادة، وهي اهون من الابداع.. كما سبق في قوله تعالى: «**وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه..**»[٢٨].

* ومن هذا القبيل قوله تعالى: «**قال من يحيي العظام وهي رميم. قل يحييها**

الذي انشاها اول مرّة. وهو بكل خلق عليم. الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً فاذا انتم منه توقدون. اوليس الذي خلق السماوات والارض بقادر على انْ يخلق مثلهم. بلى وهو الخلّاق العليم»[٢٩].

استدلال لطيف على امكان الإحياء.. قياساً على البدء اولاً، لان الاعادة اهون من الانشاء.. ثم القياس على المحسوس المشاهد.. وان الذي ينشيء من العود الرطب ناراً.. كيف يعجزه افاضة الحياة على العظام الرميم!؟ واخيراً فان خلق السماوات والارض أعظم من خلقهم، وهو القادر والخلّاق العليم بكفية الخلق والاعادة.

* وكذا جميع ما قيس من اعادة الحياة وحشر الاموات، على احياء الارض بعد موتها بالمطر والانبات.

* واجمل حجاج جاء إفحاماً للخصم ودحضاً لحجته، قوله تعالى: **«واقسموا باللّه جهد ايمانهم: لايبعث اللّه من يموت. بلى، وعداً عليه حقاً. ولكن اكثر الناس لايعلمون. ليبيّن لهم الذي يختلفون فيه. وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين. انما قولنا لشيء اذا اردناه: ان نقول له كن فيكون..»**[٣٠].

انظر الى هذه المحاججة اللطيفة والردّ الجميل.. كيف انهم اقسموا باللّه لانكار البعث.. فردّ عليهم بقوله «بلى»! وان الذي تقسمون به فانه يناقضكم صريحاً.!

ثم قرّر البعث ببيان سببه الموجب.. وأخيراً امكانه بعظيم قدرته.

ولابن السيّد هنا ـ في هذه الآية ـ بيان لطيف اورده السيوطي في الاتقان.. قال: وتقريرها، ان اختلاف الناس في الحق لايوجب انقلاب الحق في نفسه، وانما تختلف الطرق الموصلة اليه، والحق في نفسه واحد. فلما ثبت ان هاهنا حقيقة موجودة لا محالة، وكان لاسبيل لنا في حياتنا الى الوقوف عليها وقوفاً يوجب الائتلاف ويرفع عنا الاختلاف، اذ كان الاختلاف مركوزاً في فِطَرنا وكان لايمكن ارتفاعه وزواله الا بارتفاع هذه الجبلّة، ونقلها الى صورة غيرها، صحّ ـ ضرورةً ـ ان لنا حياةً اخرى غير هذه الحياة، فيها يرتفع الخلاف والعناد. وهذه هي الحالة التي وعد اللّه بالمصير اليها، فقال: **«ونزعنا ما في قلوبهم من غل»**[٣١] اي

حقـد. فقـد صار الخلاف الموجود ـ كما ترى ـ اوضح دليل على كون (اي ثبوت) الذي ينكره المنكرون»[٣٢].

الهوامش:

(١) دهى فلانا: اصابه بداهة.
(٢) العمدة: ج٢ ص ٩٧ ـ ٨٠.
(٣) انوار الربيع: ج٤ ص ٣٥٦.
(٤) بديع القرآن، ص ٣٧.
(٥) الأنعام / ٨٠ ـ ٨٣)
(٦) سبأ/ ٢٤.
(٧) الزخرف/ ٨١.
(٨) الفرقان/ ٢٥.
(٩) الروم/٢٧.
(١٠) النكت في اعجاز القرآن: ص ١٠٥.
(١١) ق/٣٧.
(١٢) الزخرف/ ٨١.
(١٣) الانبياء/ ٢٢.
(١٤) المؤمنون/ ٩١.
(١٥) الروم/٢٧.
(١٦) الانبياء/ ٩٩.
(١٧) الزمر/٣.
(١٨) الاعراف/ ٤٠.
(١٩) سورة الكوثر.
(٢٠) الاعراف/ ١٧٦.
(٢١)الاسراء/ ١٩.
(٢٢) طه/ ١٢٤ ـ ١٢٦.
(٢٣) الانعام/٧٦.
(٢٤) الطور/ ٣٥.
(٢٥) الاعراف/ ٢٩.
(٢٦) الانبياء/ ١٠٤.
(٢٧) سورة ق/ ١٥.
(٢٨) الروم/٢٧.
(٢٩) سورة يس/ ٧٨ ـ ٨١.
(٣٠) النحل/ ٣٨ ـ ٤٠.
(٣١) الاعراف/ ٤٣.
(٣٢) الاتقان: ج٤ ص ٥٤.

* * *

* «فضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه».

حديث شريف

الناس في الخطاب القرآني

* الدكتور عبد الوهاب الطالقاني
* تعريب علي جمال الحسيني



كلمة الناس - وتطلق على الجماهير - وقعت موضوعاً لكثيرمن الخطابات والتكاليف القرآنية، مما ينبئ عن اهمية بالغة تحويها هذه الكلمة بالذات.

ونحن اذ نستعرض الآيات التي وقعت فيها هذه الكلمة، نحاول القاء الضوء على نقاط ثلاث تبدو خطيرة في ذات نفسها، هي:

١- اهمية موضع الجماهير من تعاليم القرآن العامة الشاملة.

٢- انطباق التعاليم القرآنية على العادات والاعراف الجماهيرية في كل شؤون الحياة، بشكل سائد عام.

٣- توجيه اصحاب الاقلام وحملة الرسالة القرآنية، الى هذه الزاوية الخطيرة واستدعاء انتباههم نحو الجماهير في بدء البدء، كما فعله القرآن الكريم، فليقتربوا من العامة اكثر من اقترابهم الى الخواص .. لأن القرآن جاء لهدى الناس، وبُعث الرسول لكافة الناس ... فالأولوية حق ثابت للناس قبل كل شيء..

وكل ما في المجتمع من معضلات ومصائب إنما هو وليد هذا الفصام النكد بين الامة وبين تعاليم الكتاب العزيز، فلنعمل على اعطاء القرآن موقعه الحقيقي في حياة الأمة - معرفة وتطبيقاً - لتعيش الأمة مرفهة عزيزة تحمل سمات المجتمع الاسلامي القرآني.

الآن تعال واقرأ معنا هذه الايات لتتبين

*** تساوي «الناس» في الخلق:**

«**يا ايها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وانثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**»ـ الحجرات/١٣.

*** والتفاضل انما هو علىٰ اساس التقوىٰ:**

«**ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله خبير عليم**» ـ الحجرات/١٣.

*** دعوة الناس الىٰ العبادة والتقوىٰ:**

أـ «**يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتّقون**» البقرة/٢١.

ب ـ «**يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة**» ـ النساء/١.

*** اكرام الناس ببعث الانبياء (النبوة العامة):**

أـ «**يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم**» ـ النساء/١٧٠.

ب ـ «**يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبينا**» ـ النساء/١٧٤.

جـ ـ «**يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم**» ـ يونس/١٠٨.

دـ «**يا ايها الناس قد جائتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور**» ـ يونس/٧٥.

*** اكرام الناس ببعث النبي الاكرم (النبوة الخاصة):**

أـ «**قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً**» ـ الاعراف/١٥٨.

ب «**وارسلناك للناس رسولاً وكفىٰ بالله شهيدا**» ـ النساء/٧٩.

*** تذكير الناس بالقيامة والمعاد:**

أـ «**يا ايها الناس ان كنتم في ريبٍ من البعث فانا خلقناكم من تراب**» ـ الحج/٥.

ب ـ «**يا ايها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم**» ـ الحج/١.

جـ ـ «يـا ايهـا الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئا» ـ لقمان/ ٣٣.

* ان الله سبحـانه يباشر الناس بالخطاب ليهديهم الى سواء الصراط:

أـ «يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السمـاء والارض لا اله الا هو فأنّـى تؤفكـون» ـ فاطر/ ٣.

ب ـ «يا ايها الناس ان وعد الله حق فـلاتغـرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور» ـ فاطر/ ٥.

جـ ـ «ياايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد» ـ فاطر/ ١٥.

دـ «يـا ايهـا النـاس كلوا ممـا في الارض حلالا طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدوٌ مبـين» ـ البقرة/١٦٨.

* ان الله سبحانه يحذر الناس من الرذائـل والعمل السيء ويوجههم

القضايا المهمة:

أـ «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضـة والخيـل المسـوّمـة والانعـام والحـرث ذلك متـاعُ الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب» ـ آل عمران/ ١٤.

ب ـ «يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متـاع الحيـاة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون» ـ يونس/ ٢٣.

جـ ـ «اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون» ـ الانبياء/ ٢١.

دـ «احسب النـاس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون» ـ العنكبوت/ ٢.

هـ ـ «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس» ـ الروم/ ٤١.

* اعلان وجوب الحج بين الناس:

أـ «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا» ـ آل عمران/ ٩٧.

ب ـ «واذّن في النـاس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق» ـ الحج/ ٢٧.

*** وضع الله الكعبة والبيت الحرام للناس خاصة:**

أ- «ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىٰ للعالمين» - آل عمران/ ٩٦.

ب - «واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا» - البقرة/ ١٢٥.

ج - «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد..» المائدة/ ٩٧.

د- «والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد» - الحج/ ٢٥.

*** الحث على الالتزام بطريقة «الناس» في مناسك الحج:**

*** امتداح طريقة «الناس» في مناسك الحج:**

«ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم» - البقرة/ ١٩٩.

*** انزال القرآن لهداية الناس:**

«شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدىٰ والفرقان» - البقرة/ ١٨٥.

*** على الجميع ان يرشدوا «الناس» ويخدموهم:**

«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» - آل عمران/ ١١٠.

*** اشتراط العدل في الحكم بين الناس:**

أ- «ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل» - النساء/ ٥٨.

ب - «وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه» - البقرة/ ٢١٣.

*** على الجميع أن يحسنوا القول للناس:**

«.. وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» - البقرة/ ٣٨.

*** كل شيء من اجل منفعة الناس:**

«ان في خلق السماوات والارض

واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس..» - البقرة/١٧.

*** الدوام في الارض لما ينفع الناس:**

«...فاما الزبد فيذهب جفاءً واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض..» - الرعد/١٧.

*** التأكيد على حفظ اموال الناس:**

أ- «فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها..» - الأعراف/٨٥.

ب - «وياقوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين» - هود/٨٥.

ج - «ولاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لياكلوا فريقاً من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون»- البقرة/١٨٨.

د- «واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل» - النساء/١٦١.

*** النهي عن حسد الناس والبخل عليهم:**

أ- «ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله» - النساء/٥٤.

ب - «الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله..» - النساء/٣٧.

*** ذم تضليل الناس والتغرير بهم:**

«..ولكن الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر..» - البقرة/١٠٢.

*** ذم تصعير الخد للناس والتّكبّر عليهم:**

«ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحاً» -لقمان/١٨.

* * *

هناك نكتة قرآنية تربوية وبناءة نلفت لها انتباه القراء الاعزاء وهي ان الله تبارك وتعالى اكرم الناس واعزهم في كتابه - كما مر معنا فيما ذكرنا من آيات -، وانه

سبحـانه اشاد في القرآن بهم وبمقامهم وكرامتهم..لاحظ الآيات المباركة التالية:

« **اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**» ـ البقرة/١٦١.

فهم في عداد الله والملائكة...

« **ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لاتشكرون**» ـ البقرة/٢٤٣، يونس/٦٠، غافر/٦١.

ان الله تفـضـل على النـاس الا ان بعضهم لا يشكرون هذه النعم.

« **الـر. كتـاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور** » ـ ابراهيم/١.

والهدف من انـزال الكتاب والتعاليم الألهية انما هو هداية الناس.فالله تبارك وتعـالى وهب النـاس نعمـاً عظيمة وقيمة سامية وشملهم بلطفه واكرمهم بفضله غير ان بعض هؤلاء هم الذين تركوا الشكر لأنعم الله « **ولكن اكثر الناس لايشكرون**» ـ البقرة/٢٤٣.

« **وان كثـيراً من النـاس عن اياتنا لغافلون**». يونس/٩٢.

« **انه الحقّ من ربك ولكن اكثر الناس لايـؤمنـون**» هود/١٧.

ان الله تعالى منح الناس اعلى الرتب، وخلقهم اعـزاء شرفاء، وعليهم ان يوظفوا هذا المـوقـع العـظيم، ويحفظوا كرامتهم وفضيلتهم باتبـاع التعـاليم الربـانيـة، ويحـاسبـوا انفسهم ويلومـوهـا، ويعيدوا النـظر في مسيرتهم، اذا ما احسّوا أنهم انـخـرطوا في خط النفـاق والتملص عن الاوامر الالهية، وشوهوا وجوههم بالمعصية.

واليك طائفتين من الآيات ترسم الطائفة الاولى (أ) علامـات الانسان الذي عرف مقامه، واستفاد من مواهب الله، والطائفة الثانية (ب) ترسم علامات الانسان الذي توغل في طريق النفاق واتخذ سبيل الضلال والانحطاط الى الحضيض:

أـ « **ومن النـاس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد** » ـ البقرة/٢٠٧.

«**ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنـة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** »ـ البقرة/٢٠١.

ب ـ «**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين**» ـ البقرة/٨.

«ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً» ـ البقرة/ ١٦٥.

«فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق» ـ البقرة/ ٢٠٠.

«ومن النـاس من يعجبـك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألّد الخصام» ـ البقرة/ ٢٠٤.

«ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد» ـ الحج/ ٣.

«ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير» ـ الحج/ ٨.

«ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنـة انقلب على وجهـه خسر الدنيـا والآخرة ذلك هو الخسران المبين» ـ الحج/ ١١.

«ومن النـاس من يقـول آمنا فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله» ـ العنكبوت/ ١٠.

«ومن يشري لهـو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين» ـ لقمان/ ٦.

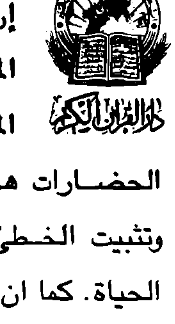
* * *

* «يـا ابناء الاسلام احملوا القرآن في يد، والسلاح في يد أخرى، وهاجموا الاعداء المتخاذلين، واعلموا بأن النصر سيكون حليفكم».

الامام الخميني «ره»

دور العدل في المجتمع الانساني

الشيخ علي الكرمي
تعريب علي جمال الحسيني



إن من اهم العوامل المؤثرة في تكامل المجتمعات وازدهار الحضارات هو الالتزام العملي بالعدالة وتثبيت الخطىٰ في طريقها في كل ميادين الحياة. كما ان الخروج عن جا دة العدل والانحياز الى الظلم والجوروالاستبداد من اهم عوامل سقوط الامم وانهيار الحضارات.

والقرآن الكريم يطرح قضية العدل بشكل منقطع النظير، ويقدم الا نموذج الأمثل والبرنامج العملي لكل جوانب الحياة الاجتماعية والحضارية، وينهىٰ عن الظلم الجور اشد النهي، ويكافح جرثومته المدمرة، التي تقود الى الانحطاط بكل الوسائل المناسبة، ويجاهد بكل وجوده في سبيل أنقاذ الامة من هذا المرض الوبيل واستئصال هذا الوباء الذي يديل المجتمعات يهدم الحضارات.

اهمية العدل

نظرة شاملة وسريعة الى تعاليم القرآن ومعارفه توضح لنا بجلاء أهمية العدالة حيث اعتبرها الاسلام كالتوحيد تماماً، تمد جذورها في كل فروع الدين وأصوله وكلياته وجزئياته «الاخلاقية والانسانية والسياسية والاجتماعية والحقوقية والقضائية ـ فردية كانت او عائلية او اجتماعية». فكما أن الدين كلّ الدين لا ينفك عن التوحيد فهو كذلك لا يحيىٰ الا

بروح العدل ولا ينفك عنه. فكل شيء يقيمه القرآن الكريم على اساس العدل والقسط ويمحوره حول قطبيهما.

فالعدل ركن المعاد والايمان بالآخرة..وهدف التشريع الالهيّ السامي..وفلسفة البعثات السماوية والرسالات الربانية..ومن شروط التصدّي للمسؤولية التنفيذية في المجتمع الموحّد..ومن مسؤوليات الفرد الاخلاقية والاجتماعية للانسان المؤمن الموحد الهادف الى بناء نفسه وبناء التاريخ وبناء المجتمع الحضاري الذي يتطلع الى الذرى.

القران والعدل

الكون كله قائم على اساس الحق ودائر حول محور العدل في القرآن الكريم.

العدل في نظام الخلقة.

والعدل في النظام التشريعي وتقنين الحياة.

والعدل في الجهاز التنفيذي والسياسي والاداري.

والعدل في النظام الاخلاقي.

والقرآن ينثر بذور العدل في قلوب المتعطشين له والمتطلعين الى الحق والرقي والكمال ويأمرهم بالقيام الجماعي به.

«**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط..**» ـ النساء/ ١٣٥.

«**إنَّ الله يأمركم أنْ تؤدوا الأمانات إلى اهلها واذا حكمتم بينَ الناس أنْ تحكموا بالعدلِ إنَّ اللهَ نِعِمّا يعظُكم به...**» ـ النساء/ ٥٨.

ويحذر من مغبة الانحراب عن جادة العدل:

«**يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قومٍ على الّا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتّقوا الله ان الله خبير بما تعملون**» ـ المائدة/ ٨.

«**يا ايها الذين آمنا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين الاقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى أنْ تعدلوا وان تلووآ أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا**»ـ النساء/ ١٣٥.

ويمدح الامم التي أقامت العدل في حياتها واستقامت عليه:

«**وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون**» ـ الاعراف/ ١٨١.

ويجعل عاقبة النجاح والفلاح والنجاة لهذه الامم ـ في المدى المنظور ـ للقلوب

الباحثة عن الحقيقة، على مرأى التاريخ، كما يرسم المصير المشؤوم للأمم الظالمة، التي كتب لها الهلاك والدمار، في آيات تهز السامع، ليعتبر بها كل ذي قلب حي نابض، يتطلع الى المعرفة والاتعاظ.

«**ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات..**»

وآيات أخر -- يونس/١٣.

ويضرب القرآن اروع الامثلة المحسوسة في صور متحركة واضحة رائعة تبين مفهومي العدل والظلم بشكل محسوس ملموس.

«**وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كلّ على مولاه اينما يوجهه لا يأتِ بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم**» - النحل/٧٦.

١- العدل في نظام الخلقة

ان الله - جل وعلا - مبدع الوجود وخالق الكون المدبر الحكيم..قائم بالعدل:

«**شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم**» - آل عمران/١٧.

والقرآن يدعو الموحدين لنبذ ميزان الطغيان واقامة ميزان العدل الذي هو ميزان الخالق في خلقه.

«**والسماءَ رفعها ووضع الميزان ألّا تطغَوا في الميزان واقيموا الوزنَ بالقسط ولا تُخسِروا الميزان**» - الرحمن/٧ - ٩

ويدعوهم الى التفكر في خلق السماوات والارض بالحق الملازم للعدل:

«**أولم يتفكروا في انفسهم؟ ما خلق الله السماوات الارض وما بينهما إلّا بالحق**» - الروم/٨.

وينفي الظلم بكل أشكاله ومستوياته عن ساحة القدس الرّباني وإنما هلكت الأمم ولحقها الدمار نتيجة ردّ فعل طبيعيّ لأفعالها وظلمها وفقاً لسنة الله التي لا تقبل التغيير وليس الله بظلام للعبيد.

«**فَكُلًا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من اغرقنا وما كان الله لِيظلمهم ولكن كانوا أنفسَهم يظلمون**» - العنكبوت/٤٠.

٢- العدل في التشريع

إنّ هدف القرآن الكريم في إقامة العدل والقسط، وهدّ أركان الظلم والجور لا يتحقق إلّا إذا كان العدل حاكماً في

التشريعات والقوانين، والقرآن ينص على هذه الكليّة في قوله تعالى:

«**قُلْ أمر ربّي بالقسط**» - الاعراف/ ٢٩.

ويعقب بعض تشريعاته الاقتصادية والاجتماعية والأسرية والحقوقية بقوله تعالى:

«**ذلكم أقسط عند الله**» - البقرة/ ٢٨٢.

ويقرر الهدف من بعثة الأنبياء القاعدة الاساسية في الحركة الاجتماعية التوحيدية في قوله تعالى:

«**لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**» - الحديد/ ٢٥.

٣- العدل في مرحلة التنفيذ وميدان العمل

إنّ وجود التشريع العادل لا يكفي وحده لبسط العدالة سياسياً وإدارياً وتنفيذياً ما لم ينبر له أئمة العدل المخلصون.

وما أسهل الادعاء ورفع الشعارات الخلّابة الخادعة في العدالة والمساواة والحرية! وما أصعب تطبيقها وانزالها الى الواقع!

وكثيرون هم الذين كتبوا عبر القرون عن العدل وسوّدوا مئات الصفحات ونشروا الصحف وتفنّنوا في وصف العدالة والحياة في ظلالها، في قصائد عصماء وشعارات براقة ثم انقلبوا رأساً على عقب حينما صارت إليهم مقاليد الأمور وتسلطوا على العرش وتبرأوا مما كتبوا وما قالوا، وكأنهم نسوا كل شيء، ولم يكونوا أولئك الثوريّين والفلاسفة والشعراء والفنانين الذين تغنّوا بالعدل والمساواة والحرية. فـ «الحق أوسع الأشياء في التواصف واضيقها في التناصف»، كما قال أمير المؤمنين (ع).

ولهذا يهتم القرآن أيّما اهتمام بالعدل والقسط في مرحلة التنفيذ. فالعدالة من شروط القائد والابوين النموذجيين وإمام الجماعة والعالم والامام - لأن الإمامة عهد الله «**لا ينال عهدي الظالمين**» - البقرة/ ١٢٤.

والشاهد والقاضي «**يحكم به ذَوا عدلٍ منكم**» - المائدة/ ٩٥.

«وأَشهدوا ذَوَيْ عدلٍ منكم» - الطلاق/ ٢.

العدل في الاخلاق

لكي يعيش الفرد والمجتمع ـ في كل أبعاده السياسية والقضائية والاقتصادية والاجتماعية والادارية ـ مفعماً بالسعادة نابضاً بالحركة، عليه أن يراعي العدل ميزاناً في كل شؤونه ويشيد صروحه في الحياة الفردية الاجتماعية، فإن العدل مقياس السلامة والرشد والدوام في المجتمع والحضارات.

العدل في القول:

«**واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذاقربىٰ**» ـ الانعام/١٥٢.

والعدل في الشهادة:

«**وأشهدوا ذَوَيْ عدلٍ منكم**» ـ الطلاق/٢.

والعدل في كتابة العهود والعقود:

«**فَليُملِل وليّه بالعَدْل**» ـ البقرة/٢٨٢.

العدل في الحكم والقضاء:

«**وإذا حكمتم بين الناس أنْ تحكموا بالعدل**» ـ النساء/٥٨.

والعدل في العلاقات بين الدول الاسلامية:

«**وأمرتُ لأعدل بينكم**» ـ الشورىٰ/١٥.

والعدل في الصلح بين الفئات الموحّدة المتنازعة

«**فأصلِحوا بينهما بالعدل**» ـ الحجرات/٩.

والعدل مع الاصدقاء والاقرباء:

«**كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو علىٰ انفسكم أو الوالدين الأقربين**» ـ النساء/١٣٥.

والعدل مع من يريدون أن يعيشوا في ظل السلام والعدل من اتباع المذاهب والأديان الأخرىٰ:

«**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديارِكم أنْ تَبَرُّوهم وتقسطوا إليهم..**» ـ الممتحنة/٨.

والعدل مع الأعداء والخصوم والمخالفين:

«**ولايجرمَنَّكُم شَنَآنُ قومٍ علىٰ ألّا تعدلو إعدلوا هو أقرب للتقوىٰ**» ـ المائدة/٨.

والعدل في البيت والأسرة والتربية:

والعدل والإحسان مع كل شيءٍ وكل شخص دائماً وفي كل ظرف في جميع

ميادين الحياة:

«**إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربىٰ وينهى عن الفحشاءِ والمنكر والبغي**» ـ النحل/ ٩٠.

وخلاصة القول: أن الفرد والمجتمع الحضارة التي يرضاها القرآن لا بد أن تتوفر على العناصر التالية:

١ـ العدل.

٢ـ الإحسان.

٣ـ الاهتمام بالرحم.

وتجتنب عناصر الهدموالانحطاط:

١ـ الذنوب ما ظهر منها وما بطن.

٢ـ الظلم والجور.

دور العدل في تكامل الانسان ورقيّه:

العدل يعني وضع الشيء في موضعه المناسب.

فالتفريط والإفراط والانحراف يعني محالفة العدل والقسطوالحق.

أرأيت كيف تكون أجهزة البدن متناسقة متناسبة تعمل بانتظام كما قدر لها دون إفراط ولا تفريط، فيكون الجسم حينئذٍ سليماً فعّالاً نشيطاً حيوياً، فإذا ما خرجت بعضها عن الاعتدال فسوف تبرز الآثار بسرعة وتجر الى المرض والاختلال، وقد تجر الى الموت احياناً ـ كذلك تماماً المجتمعات فإنها لاتستقيم ولا تسعدولا تترقىٰ ولا تدوم إلّا بالعدل، لأن جرثوم الظلم الفتاك سُمُّها الزعاف الذي يذهب بعزها واقتدارها وكرامتها وبالتالي يقضي علىٰ حضارتها ووجودها. فالمجتمع جزء من هذا العالم والقوانين تحكم الكون كلّه بما فيه المجتمعات و «**بالعدل قامت السماوات والارض**».

مثال قرآنيّ رائع:

«**وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر علىٰ شيء وهو كلّ على مولاه أينما يوجهْهُ لايأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو علىٰ صراط مستقيم**» ـ النحل/ ٧٦.

رجلان يمثلان حضارتين..رجل أبكم..أعمىٰ فكرياً..أسير في مخالب غروره وأماله وأنانيته..ظالم لمن دونه، راضخ لمن فوقه، يمثل الحضارة الظالمة والمجتمع الجائر الذي لا يزداد في المسير إلّا ضلالاً وذلة وخسراناً، ولا يذوق طعم الحرية والاستقلال والحياة الكريمة والسعادة والأمان..

ورجل منطيق..قوي البيان والحجة..صاحب نظرة عميقة ووعي نافذ وارادة حازمة..ينتظره مستقبل سعيد وحظ وافر ودوام مزدهر..وهذا يمثل أمة حضارة تسعىٰ الى العدل وتطبقه.

فالأبكم كَلٌّ على غيره..عاجز عن الإبداع والإقدام والاستقلال الفكري والعملي..لا ينفع ولا يعطي..ولا يقدر على البقاء وتلمس طريق السعادة تماماً كالأمّة الظالمة التي تتهاوىٰ وتسقط الى الحضيض في أوحال التاريخ. وهذه سنّة من سنن الله التي لا تقبل التغيير ولا التبديل.

العدل في الروايات

إنّ أهل البيت (ع) هم المفسرون الحقيقيون للقرآن الكريم. وقد وردت عنهم روايات كثيرة تضرب أروع الامثلة للعدل وتبين مدىٰ الارتباط الوثيق بين حاكمية العدل والقسط في المجتمع وبين نزول البركات والنعم والاستقامة في خط التكامل والرقيّ والرشد والازدهار واليك باقة منها كنماذج:

١ـ العدل ميزان الله:

«إنّ العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق ونصبه لاقامة الحق فلا تخالفه في ميزانه(*)

٢ـ العدل اهم ركن لدوام العالم وتحكيم قوامه.

«العدل اساس به قوام العالم».

٣ـ العدل قوام الحياة البشرية:

«جعل الله العدل قواماً للأنام».

٤ـ العدل قلعة حصينة وجُنّة خالدة لمن يحيى فيه.

«العدل جُنّة واقية وجنّة باقية».

٥ـ العدل حارس أمين يحمي الدول.

«العدل جنّة الدول».

٦ـ العدل يضاعف الخيرات والبركات.

«بالعدل تتضاعف البركات».

٧ـ والعدل كما تقيمه الروايات جمال الولادة وعمران البلاد وخير من عبادة سبعين سنة.

«العدل قوام الرعية وجمال الولاة».

«ما عمرت البلاد بمثل العدل».

«عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها. وجور ساعة في حكم اشد عند الله من معاصي سبعين سنة».

٨ـ قد وصفته الروايات بأن.

«العدل احلى من الشهد والين من الزبد وأطيب رائحة من المسك».

«العدل احلى من الماء يصيبه الظمآن».

٩ـ بالعدل تنتظم الأمور وتستقيم.

«للعدل نظام الامور».

١٠ـ وهو روح الأمم والحضارات والتشريعات.

«العدل حياة». «العدل حياة الاحكام».

١١ـ العمل بالعدل اقتداء بسنّة الله.

«في العدل الاقتداء بسنّة الله».

١٢ـ والعدل رأس الإيمان وأعلى مراتب التوحيد والتقوى ومجمع الفضائل:

«العدل رأس الإيمان وجماع الإحسان وأعلى مراتب الايمان».

١٣ـ العدل فضيلة الحكام:

«العدل فضيلة الحكام»:

١٤ـ واتضاف الحكام به افضل من خصب الزمان واخضر الارض.

«عدل السلطان خير من خصب الزمان».

١٥ ـ وبه يدوم الحكم ويتقوى السلطان ويطمأن في حكمه:

«إعدلْ تحكم» و«إعدل تملك».

والعدل روح..روح تحيى بها الأمم والحضارات..وبالتدبر والامعان في الآيات المباركة والروايات الشريفة نعلم مدى الترابط بين رقيّ الأمم وتقدمها وانحطاطها ودمارها فبالعدل تحيى وبالظلم تموت. وهذه سنة الله «**ولن تجد لسنة الله تحويلاً ولن تجد لسنة الله تبديلا**».

الهوامش:

(*) استقينا هذه الرواية وما بعدها من كتاب «ميزان الحكمة». الجزء الخامس، باب العدل.

* * *

* «**الله الله في القرآن لا يستبقنكم بالعمل به غيركم**».

الامام امير المؤمنين (ع)

في ظلال أمثال القرآن «١»

الريح .. والمواقد المطفأة

الاستاذ أحمد السالم

«مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون. صم بكم عمي فهم لا يرجعون».

(البقره ١٧ ـ ١٨).

الظلام مخيمٌ على كل شيءٍ..

والغيوم السوادء الكثيفة تحجبُ حتى ضوءَ القمر ..

والريح ترسل في الأسماع أنيناً كعزيف الجنّ..

والرذاذ الخفيف لازال يضربُ وجوههم مع هبوب الرياح..

مرسِلاً في عروقهم قشعريرةَ بردٍ مَقيت..

كانت أقدامهم لا تعرف أين تكون خطاها..

حتى إن عَثَرَ الدربِ .. كان يبدو كارهاً لهذهِ الاقدام الثقيلة..

يتلفّتون الى الوراء .. فإذا الظلام..

والأرقام ظلامٌ مطبقٌ كثيف..

أنين الصمتِ يخترقُ قلوبهم قبل آذانهم..

كان أحدهم ينهار الى الارض..

ثم ينهض مرعوباً ملتمساً طريقه البعيد البعيد..

حتىٰ الشجيراتُ الصغيرةكانت متلفّعةً بالسواد..

وتحتضنها رهبةُ الظلام..

فتبدو كأنها أشباحٌ مرعبة تهزأ بهم..

لا يعلم احدُهم، إذا عثرَ، أين يكون مصيرهُ..

في حفرةٍ موحلة؟

أم علىٰ أشواك (الصبير) المجنونة؟

وهي تلتهم جلدَهُ المجعّد المرتجف..

أتبعهم السيُر الذي لا يعرفون منتهاه..

توقفوا لأمرٍ ما..

قال أحدهم..

ـ ويحكم .. ألا تتحسّسونَ حصىٰ الأرض..

لَمْ يُجبهُ احدٌ بشيء..

كانوا متباطئين الىٰ حدِّ الإعياء..

ـ ويحكم .. اضربوا الحصىٰ ببعض..

وضعوا عليه بعضَ الأشواك..

لكي نواصل المسير .. أو نعلمَ أين نحن علىٰ الاقل..

ـ ماذا؟..

وامتدت أيديهم لجمع الاشواك اليابسة وهم يرتجفون..

وتناولوا الحصىٰ يضربونه ببعض..

تطاير الشرر من بين أيديهم .. وعظم معهُ الأمل ..

والرياح لا تسمحُ بالاشتعال..

واستمرَّ الصراع..

تحلّقواحول الأشواك..

منعوا الرياح من التسلُّك الى المكان..

واشتعلت النار..

وشاع الدفء في أجسادهم..

وتفتّحت عيونهم للنور..

ورأىٰ بعضهم بعضاً..

كان المشهدُ رهيباً جداً..

كان احدهم يخشىٰ النظر الى مُقابلهِ..

الوجوه غطاها التراب..

والعيون أرهقها التعب..

وأذبل الشفاهَ العطش الطويل..

وأضاءت النارُ ما حولهم..

وتحسسوا الأشياء الساكنة التي كانت ملفّعةً بالظلام
الصخور .. الأشجار .. الحفر العميقة .. أشواك الصبّير..
صاح أحدهم:

ـ اشعلوا النار في كل الأشجار لتستضيء الصحراء بأسرها..

وتَسارعوا يدفعهم حلم النور في كل مكان..

واستنارت الصحراء..

وفتحوا أعينهم الى أبعد حد..

ليملؤها من النورالذي فارقهامنذ زمن..

وشاع الدفء في الأجساد المقرورة..

وفرحت القلوب بالنصر الكبير..

وفي قمة النشوة .. نسَي القوم ما مرُّوا بهِ من قبل..

أو تناسَوا .. وهم لا يريدون ان يعكرّوا صفوفهم بالذكرىٰ.

وبدأت الرياح تزداد عصفاً وقوّة..

وبدأ القلق يدبُّ في قلوبهم..

فراحت الايدي تزيد من الاغصان اليابسة والأوراق المرميّة في النار لتزيد لهيبها..

والرياح تزدادعصفاً .. وقوةً..

والرذاذ أخذ يتحول الى امطار كثيفة..

وانطفأت اكثر المواقد .. ولم يبق إلّا القليل..

ويزداد قلقهم .. وحيرتهم مع زيادة المطر والرياح..

ولم يبقَ إلّا موقدٌ واحد .. وقد تحلّقوا عليه بعد أن أصبح المطر كثيفاً جداً..

واخيراً..

لقد انطفأ الموقد الأخير!

وعاد الظلام من جديد..

وخيم صمتٌ ثقيل..

ولا يدرون ماذا يعملون..

فهم صمٌ .. لا يسمعون شيئاً .. الا روايات الرياح التي تثقل الروح بالألم.

وهم بكمٌ .. لا يستطيعون الكلام، فقد عقدت الحيرة ألسنتهم وهم عميٌ .. لا يبصرون حتىٰ موضع أقدامهم .. ولا حتىٰ وجوه بعضهم والمطر يزداد غزراة..

وقطعُ الغيوم تتراكم بسذاجة . وبطء..

واصوات الرعود تزداد قوةً ووحشيةً..

والبرق يلمع بين فترةٍ واخرىٰ..

وكأنها فطورمتشعبة تملأ السماء..

كيف يصنعون؟..

ربما تسقط عليهم الصواعق فيهلكون جميعاً ـ وبعفوية الغريزة وضعوا أصابعهم في آذانهم .. كي لا يسمعوا وقع الصواعق ـ.

وهم يظُنُّون أن أصابعهم التي راحت تضغط بشدة علٰى آذانهم سوف تمنع عنهم الموت..

وتناسوا أنهم معرضون في أيّة لحظة لوقوع صاعقة..

تحولهم الٰى اشباح منالفحم المبلل.

ولازال الطريق طويلا..

والبرق لازال يومض بغضب..

فيخطف أبصارهم لشدّة لمعانه ..

عيونهم اعتادت الظلمة من قبل..

اما الآن فهي موزعة النظرات بين مواطن البرق.. والعودِ الٰى الظلام..

كانتأحداقهم تنفتح وتنغلق بعفوية ...

فالبرق يفتحها وتغلقها الظلمة الدامسة..

وهي مشدودةٌ الٰى البرق .. فكلما أضاء لهم مشوا..

وبعد ذلك توقفوا بانتظار ومضةٍ أخرىٰ تجود بها السماء الغضبىٰ..

ومازالوا لا يعرفون في أيّ اتجاه يسيرون..

والظلام مطبق من كل جانب .. كأنه ماردٌ زنجيّ..

وتستمر محاولاتهم لإشعال النار .. وبلا جدوىٰ..

ويشتعل في قلوبهم الندم..

ويتحول الٰى ركامٍ من العذابات..

تعصر الروح الٰى حدِّ التلاشي .

ويتحول جوف كلٍّ واحد منهم الٰى جهنمٌ صغيرة .. ملتهبة يتعذب فيها الٰى ما شاء الله..

* * *

المُسَافِر.. وَتجـرَبَة المَوت

بسم الله الرحمن الرحيم

« او كالذي مرَّ علىٰ قرية، وهي خاويةٌ علىٰ عروشها قال انّىٰ يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عامٍ ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الىٰ طعامك وشرابك لم يتسنَّهْ وانظر الىٰ حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الىٰ العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال اعلم ان الله علىٰ كل شيء قدير » البقره/ (٢٥٩).

كان الوقت ضحىً..

والشمس ترسل اشعتها اشرطةً ذهبيةً مغريه .. فتبدو الأشياء أو ضح ما تكون..

الطريق الترابيّ الذي اصطفت علىٰ جانبيه الأشجار.. تملؤه رائحة الطلع ممتزجةً برائحةِ قطعان الماشية..

ومع هبوب النسمات الرطبه..

كانت الأشجار تتمايل بتكاسل..

ملقيةً علىٰ الأرض ظلالاً كثيفاً رائعاً..

ويمرُّ راكباً حمارَهُ..

تبدو عليه علامات الوقار والسكينة..

يبدو أنه كان يقصد سفراً بعيداً..

فقد حمل معه طعامه .. وبعض الشراب وقد شدَّهما أمامهُ علىٰ رَحلِه..

في حين كان حماره يحرك رأسه صعوداً ونزولا حركةً آليّه علىٰ رنَّة، أجراس تدلت من رقبته..

وســار .. متجاوزاً آخر حائط من القرية .. ملتفتاً اليها بنظرة تحمل كل معاني الحنين..

انه الآن خارج القرية تماماً .. متبعاً طريقه القوافل ..

واولجَ في الصحراء..

ولازال يسير ببطء .. وقد ارتفع عمود النهار..

حيث لاحت له مع السراب اطلالٌ بعيدة..

كانت تتضح كلما اقترب بمسيره اليها..

حتىٰ تبينها جيداً وبوضوح تام..

انها احدىٰ القرىٰ..

وسلك الطريق المؤدي اليها..

كان طريقاً مهجوراً يبدو عليه القدم..

الحصٰى منتشِر بشكل مثير .. حتىٰ يتعثر عليه المسير..

والاشواك تتطلع بدهشه الىٰ هذا القادم الغريب..

فهي لم تألف احداً منذ زمنٍ طويل..

لقد هالهُ المشهد..

كانت القريه خاليةً تماماً من ايةٍ حركة..

الوجوم يرسم علىٰ جدرانها الطينية الف علامة استفهام..

حيطانها كانت تغالب الزمن أحياناً..

فربما انهدم نصفها وقام الآخر بتثاقل..

الابواب نخرتها الديدان الشرهة بحرية تامة..

حولتها الى اكوام من الحطب البالي ..

كانت السقوف والجذوع منهارةً تماماً في داخل الغرف..

مما حدا بالخفافيش ان تتخذها بيوتاً للنهار..

خيوط العناكب تغطي اكثر الأشياء .. جذوع النخل ..

الأبواب المتأكلة .. الجدران..

لقد دبَّ الخواء في كل شيء..

حتىٰ الأشجار كانت يابسة تماماً وقد تعرّت من الأوراق فهي في خريفٍ دائم..

وعروش الكروم تحولت الى ملاعب للجرذان والهوام..

كل هذا لم يكن مرعباً..

الشيء الذي كان مخيفاً هو بقايا الهياكل العظمية والجماجم التي انتشرت هنا وهناك .. وباحجام مختلفة..

بعضها كان اصغر من بعض .. مما يشير الى أنها كانت لطفلٍ او صبيةٍ صغيره..

في حين كان بعضها ملتصقاً بالارض الى حدِّ التلاشي..

علىٰ أن بعض هذه الهياكل العظمية كان مبتعداً قليلاً وربما كان اصحابها فرّوا بأنفسهم من العذاب .. فلم يُجدهم ذلك نفعاً أمام المصير المحتوم..

الصمت كان هو المتحدث الوحيد..

والسكون كان جواب كل سؤال حائر..

وتوقف صاحبنا امام هذا المشهد .. المأساة..

كان كل شيء امامه يشير الى النهاية الثقيلة المرعبة..

الموت ..

حدّق طويلاً .. كانت احدىٰ القرىٰ التي صبَّ عليها اللهُ العذاب..

وتأسّف لهؤلاء الذين كانوا يوماً ما سعداء..

في هذه الواحة الخضراء ..

لانهم لم يستطيعوا أن يوفقوا بين محورين..

لا ثالث لهما..

محورٌ يتجهُ الى الأرض .. وحضيضها وتفاهتها..

وآخر يتجهُ الى السماء .. بكل أبعادها القدسية العظيمة ..

فانحدروا باتجاه الأرض .. مبتعدين عن السماء..

ولو كانوا سيبقون هكذا الى الأبد.. لكان هيناً كيف وهم لم يزالوا في اول رحلتهم الاخروية..

وسيبعثون يوماً للحساب..

وهنا تصارعت في داخله هواجسُ عديده..

فهو لايستطيع ان يتصور عودة الحياة لهذه القرية الخاوية .. لكنهُ متأكد أن الله لو أراد أن يعيدها ورميمها الى الحياة لأعادها في طرفة عين..

وهو على يقين من ذلك..

ـ لكن يا الهي كيف تعود هذه الموتى بعد هذا الخواء الذي استمر زمناً طويلاً..

ـ لكن لا استطيع أن اتصور دبيب الحياة في هذه العظام النخرة .. لا استطيع ان أتصور ذلك..

وبعد ذلك بقليل..

شعر أن قدميه تخذلانه..

وان البرودة اخذت تسري في جسده حتى وصلت الى صدره ورأسه..

وسرى خدرٌ خفيف في كل أعصابه..

وشعر كأنه ينحدرُ في وادٍ عميق بارد..

يا ألهي .. ما هذا ؟

كان هذا آخر ما تلفظهُ .. حيث غطَّ في هدوءٍ ..

طويل .. طويل..

ومرت الأيام .. تسحبُ وراءها قرناً كاملاً..

نعم مرت عليه مأةُ عام .. بكل ما تحملهُ من أشياء مئة عام .. والشمس تمرُّ برحلتها اليومية برقابةٍ تامة..

مئة عام .. والنجوم لازالت منثورة بحضن الليل بتناسق ثابت بديع..

مئة عام .. وكل الأشياء كانت خاضعةً لقوانين الزمن ..

وآفاق .. نعم افاق وهو يتمطىٰ .. والوقت قبيل الغروب..

ـ يا الهي لا أدري ماذا حلَّ بي قبل قليل .. لا ادري..

ـ ربما كانت سنةٌ من الكرىٰ..

كان عليه ان يجيب سؤالا طُرِح عليه من الغيوب..

ـ كم لبثت ؟

واجاب وكلُّهُ ثقةٌ واطمئنان..

ـ يوماً .. أو بعض يوم..

وكان الردّ الغيبي مثيراً ومفاجئاً..

ـ بل لبثت مأةُ عام ..

ـ ماذا ـ وملأت شفتيه علامة استفهام كبيرةٌ ..

والتفتَ الى حمارهِ ..

فاذا الحقيقةُ تتأكد لديه بكلِّ أبعادها

كان الحمارُ كومةٌ من العظام البالية ..

ربضت امامها جمجمةٌ كبيرةٌ نخرة..

وازدادت الحقيقةُ وضوحاً .. عندما امتدت يده الى طعامه وشرابه .. فأذا هو كما كان..

لم يتغير .. ولم يتعفَّن .

وخرَّ ساجداً لله العظيم..

بعد ان تلاشت من امام عينيه كل الهواجس السابقة ولم يبق الا شيءُ واحد..

وهو أن الله علىٰ كل شيء قدير..

* * *

ليس في القرآن آية يخالفها العلم وليس في التوراة والانجيل شيء يقره العلم!

* «ودون أيّة فكرة مسبقة، وبموضوعيّة تامة أجدني اتوجه اولاً الى الوحي القرآني باحثاً عن درجة التوافق بين نص القرآن ومعطيات العلم الحديث. وقد كنت اعرف من بعض الترجمات أن القرآن يسوق كل انواع الظواهر الطبيعية. ولم اكن املك منها إلّا معرفة جزئية، ولكن بعد تدقيق النص العربي بامعان شديد قمت بجردة شاملة استبان لي منها أنه ليس في القرآن تأكيد يمكن أن ينتقد من الوجهة العلمية في هذا العصر الحديث.

وقد قمت بالتدقيق ذاته للعهد القديم والاناجيل بالموضوعية نفسها، فلم يكن ثمة بالنسبة للاول ما يحوج الانتقال الى أبعد من سفر التكوين للوقوف على تأكيدات مناقضة لمعطيات العلم المعترف بها في هذا العصر..».

الكاتب الفرنسي

موريس بوكاي

عن كتاب التوراة والانجيل والقرآن والعلم ص ١٢

وَقفة على شاطئ الذكر

الاستاذ هاشم الموسوي

القرآن معجز. وكلُّ ما فيه معجزة .. الفن التعبيري.. القدرة الفريدة على الاداء .. طريقة النظم والصياغة..

اسلوب الحوار .. استعمال الكلمة .. رسم الصورة .. إحداث الايقاع .. لون التأثير والانفعال في نفس المتلقي .. مخاطبة النفس البشرية .. إثارة الفكرة .. تشكيل الجو وصياغة الموضوع .. وتجسيد نمط الجمال ..انتقاء الالفاظ والكلمات وتحديد مواقعها..

تناغم الحروف والمعاني وصور المشاهد .. اطر العرض واجواء التلقي .. عرض الاحداث والشخصيات وتحريك المشاهد .. والتصرف في استخدام الزمان والمكان .. الخ.

لذا كان السبح في أجواء القرآن فناً .. وقراءة صوره وأفكاره .. واكتشاف مواطن الجمال، ومواقع الروعة والاتقان، والاثارة فيه تحتاج الى فنان يمتلك حساً جمالياً شفافاً .. وقدرة على التلقّي والتذوق والإنفعال والتفاعل مع معطيات الصور والمعاني والاجواء التي تصنعها الاية والمقطوعة والسورة.. والانطلاق بعيداً في الآفاق التي ترسمها ريشة الابداع والفن في هذا المعرض الجمالي الفريد.

إنّ قراءة الكلمة والآية والسورة هي غير قراءة المعنى وتشخيص الصورة

واستشعار الجو والاحساس المستهدف لصيغة البناء والتركيب والتلوين القرآني..

وان ادراك المعنىٰ القـامـوسي للكلمة هو غير التفاعل والتناغم واكتشاف العمق والبعد الادائي فيها..

واستخلاص الفكرة من شرح المفرادت هو غير التأمل في سر استعمال هذه المفردة دون غيرها من المرادفات وايقاعها في هذا الموقع دون سواها..

إن قراءة الاية والايات واستفادة معانيها هي غير الوقوف امام لوحة فنية من تشكيل قرآني يصوغ الاحداث والوقائع والمشاهد باسلوب حركي واداء جمالي يملك على المتلقي حسه ووجدانه .. حتى ينسى أنه يقرأ صفحات مكتوبة أو كلمات مدونه، حينما يندمج بالمعنى ويستجيب للتحسيس والاثارة .. ويتفاعل مع الصور ومفردات الابداع..

القـرآنيحتاج الى قراءات عديدة .. يحتاج الى تأمل واستغراق روحي .. واستبطانن عميق للمعاني والاهداف..

يحتاج الى فطرة نقية، وصفاء وجداني قابل للتلقي والانفعال..

يحتاج الى تذوق للكلمة والايقاع والنغم.

يحتاج الى روح مَكيٍّ يستعيد كل أجواء الكلمة ومداليلهاودقّة استعمالها في لسان الجيل الذي عايش الوحي وابداعه البلاغي ..

يحتاج الى فنان ينفعل بالجمال ويتفاعل مع المشهد الجميل..

ان القراءة الجامعه لكل عناصر القراءة القرآنية هي وحدها القراءة القادرة على تكوين التلقي الكامل لمعطيات اللفظ والصيغة وهيأة البناء الفني والتشكيل الحسي والانفعالي لهذا العالم الرحب.

ان القـرآن عندما يتعامل مع الانسان يتعامل مع أحاسيسه ومشاعره، ومواطن الاثارة والاستجابة في نفسه، كما يتعامل مع عقله وقوانين تفكيره.. فهو يدري متى يهجم بالانفعال والصخب والحرف المثير..

ويعرف كيف يخاطب برفق وحنان ونغم مرهف رقيق..

ويتقن فنَّ الانتقال من مشهد الى آخر ويدري كيف ينتقل بالمتلقي من وضع انفعالي الى وضع آخر دون ان يختل توازن السياق.. أو تتنافر الوان المشاهد واطر العرض وايقاعات الاداء..

يعـرف كيف يجـوب به آفاق القرون الخوالي ويقطع مساحات الزمن .. ويحسن الانتقــال المباشر الى لحظة الحضور الانية والواقع المعاش.. دون أن يشوه تلك الرحلة التاريخية السحيقة من عمق الزمن الغابر .. بعد أن يجعل من نفسه مركبة لتلك الرحلة البعيدة .. وموضوعاً للتطواف في ذلك العالم..

اذن لنتعلم كيف نقرأ...؟ وكيف نتلقى ..؟

انه يجمع أبعاد الزمن، ويلتقط مفردات الاحداث ورموز الوقائع وقوافل كافة المعاني ليحضرها على متن لوحة تعبيرية موجزة كان أصدق اسمائها «آية» هي اعمق من البحر .. وهي اوسـع من السماء .. وهي أقرب من المعنىٰ الى اللفظ. هي كذلك لأنها «آية»، آية تحكي عظمة المبدع، وريشة الفنان وأحدية الصانع لتلك الهيكلية الفريدة في عالم الكلمة..

اذن لنتعلم كيف نقرأ؟ وكيف نتلقى ..؟ وكيف ننفعل ونتفاعل مع الكلمة «الآية»..

لنقرأ الطبيعـة والانسان ورموز الحياة ومسيرة الزمن .. في ذلك الكون التعبيري المســاوق لعالم الوجود.

كتاب الله .. صورة الاعجاز .. هيأة التعبير.

* * *

*** «لو مات مَنْ بين المشرق والمغرب ما استوحشت بعد ان يكون القرآن معي».**

الامام زين العابدين (ع)

وَالذِّكرُ بَاقٍ عَلَى الأَحقَابِ وَالعُصُرِ

عبد الحسن محمد جاسم

قد أنزل الله فُرقاناً إلى البشرِ
وأوضح النهج في الآياتِ والسُّوَرِ

فيه المواعظُ والأحكامُ فصَّلها
ربٌّ بصيرٌ لذي سمع وذي بصرِ

لا ينقضي عجبٌ من حُسنِ جوهرِهِ
فقدْرُهُ قد علا قدراً على الدُّررِ

آياتُهُ الغرُّ أعيت في بلاغتها
وأعجزتَ كُلَّ أهل البدو والحضرِ

فيها الدواءُ واكسيرٌ يعلمنا
كيف النجاة من الآفات والخطرِ

فيها الكفايةُ تُغنينا بحكمتها
عن القوانين يُمليها ذوو الخورِ

كل المعاجز جاءت حقبةً ومضت
والذكر باقٍ على الأحقاب والعُصُر

بحرٌ خضمٌّ فما تفنىٰ غرائبُهُ
على الدهور بما يحوي من العبرِ

فقل لمن يدعي عجزاً به ويرى
لغيره الحكم: مَنْ أغراك بالضررِ؟!

هل يهتدي لنجاةٍ مُدلجٌ عشيت
عيناه في مهمهٍ عن طلعة القمرِ
وهل بما ابتدع الانسانُ قد سعدت
هذي البرايا أم انقادت إلى الخطرِ
لا تُخدعنَّ فقد زاد البلاءُ بما
أتى به قاصرٌ أو غيرُ مقتدر
فالمسلم الماجد المغوار واجبه
إقامةُ الشرع بالفرقان والنذرِ
ونشرُ أفكاره العظمى ليعرفها
أهلُ البسيطة والآفاق والجزرِ
فلو تسنى لهم بالذكر معرفة
لهللوا فرحاً من ذلك الأثرِ
ولاستفادوا به في كل آونةٍ
صفواً يجلّيهم عن منبع الكدرِ
فالعزُّ والنهضة الكبرى تُجلِّلُنا
إن نحن سرنا بنهج الدين والسّيرِ
فمذ نأنيا عن الذكر الحكيم طغت
واستعبدتنا جموع الشرك والكُفُرِ
حتى غدونا صغاراً ليس يرهبُنا
خلقٌ وليس لنا في الارض من وزرِ
من بعدما ساد أجدادٌ لنا ملكوا
شرقاً وغرباً ونالوا غاية الوطرِ
فيالها فجعةً أودت بطعنتها
معاقل العز من قيسٍ ومن مضرِ

ويـا ضيـاع العلا من بعدما خلفت

تلك الليـوث زرافــات من الهــرر

وانحــط بنيــان مجـد بعـد رفعتـه

حتـى اشـترينـا الهـوان المـر بالـكـبر

لو اعـتـصـمـنـا بقـرآنٍ يوحِّـدنـا

أو اتـبـعـنـا هدى آياتـه الـغُـررِ

لما تمـزق شمـل المـسلمـينَ ومـا

أذلنـا جمـعُ افـرنـج ولا تتـرِ

ولارتـقـيـنـا لنـيـل المـكـرمـات إلى

ذرُى المـعـالي ولم نهـوِ إلى الحـفـرِ

ولاغـتـديـنـا رؤوسـاً سادةً وغـدت

اعداؤنا بين مهـزوم ومـنـعـفـرِ

فيـادعـاة الهـدى جدوا جمـيـعـكـمُ

وجـددوا العـهـد للقـرآن والأثـرِ

قومـوا لكـي تغـرسـوا بذراً ننـالُ به

مجـداً به نغـتـنـي عن سائـر الثـمـر

واخـلـصـوا كي يكـون الله هاديـكـم

وتـربـحـوا الأجـر أضـعـافـاً على قدرِ

واسـتـنـهـضـوا همـم المـسـتـسلمـين ولا

يكُـن لليـأس فيـكـم صولُ مُعـتـبـرِ

ولا تقـولوا بأن الداء مزقـنـا

قد يبـرأُ الجـرح إذ يشـفـى على الخـطرِ

ويـرجـع العـود مخضراً وقـد ذبـلت

أوراقـه قبـل أن يزهـو كمـفـتـخـرِ

والماء يُحيي موات الارض يغمرها
فيبسم الروض جذلاناً مع الزَّهرِ

هيا فقد حان وقتُ للنهوض فما
قعودكم؟ لم يفز من نام بالظفرِ

بالجد نبني صروح المجد سامقةً
ونجتني الخير كي ننجو من الغِيَرِ

ويذعن العالمُ المغرور حين يرى
منها جنا رحمةٍ جاءت إلى البشرِ

لا رأسماليةٌ تُجدي مناهجها
ولا شيوعيةٌ ظلَّت على الدَّهَرِ

أفكارُ موضوعةٌ بانت تفاهتُها
للمهتدين بعين العقل والنَّظرِ

قد هدَّها عينُ بانيها ومبدعها
لما تبيَّنَ زيفُ الرأي والخبرِ

وفي غدٍ سنرى للغرب أنظمةً
منهارةً كهشيم ساخ بالمطرِ

لأنها لا ترى للدين منزلةً
أو ترعوي اليوم عن ظلمٍ وعن زَجرِ

والحق يبقى فلا يُمحى بما زعموا
لا يستر الشمس يوماً كفُّ ذي ختر

* * *

*** «انني اتوقع من اوربا الغد أن تتفق مع إيمان وعقيدة محمد (ص) ومع القرآن ايضاً».**

برناردشو

المذهبُ التاريخي في القرآن،،؟،،

الشيخ محمد مهدي الآصفي

تطرّقنا في العدد الماضي إلى قانون العليّة باعتباره الأساس الأول في حركة التاريخ. وهنا نواصل الحديث عن الاساسين الآخرين (حرية ارادة الانسان، الرعاية الالهية) وفيما يلي التفصيل، وبه نختتم البحث.

٢ـ حريّة الإرادة

العنصر الثاني من عناصر المذهب التاريخي في الاسلام حريّة ارادة الانسان.

والتاريخ وان كان يتحرك بموجب قانون العليّة حركة حتمية، لكن الانسان ـ بما آتاه اللّه من القدرة على الاختيار والارادة ـ يمسك بيده ناصية التاريخ، ويحرك التاريخ. فتخضع حركة التاريخ لاختيار الانسان وارادة الانسان.

من دون ان ينتقض قانون العلّيّة او تختل حتمية هذا القانون.

إنّ الطائرة تطير في الجو والباخرة تجري في البحر بموجب قوانين الميكانيك والفيزياء الحتمية وبموجب سلسلة من الاسباب والعلل التي تخضع لقانون العلّيّة واحوال هذا القانون بشكل دقيق.. ولكن الطيار والربّان يتحكّمان ايضاً وبصورة دقيقة في مسير وحركة الطائرة والباخرة... وليس معنى دلك ان يختل قانون العلّيّة او ليعطل اصل الحتمية في قانون العلّيّة، وإنّما الانسان يقع في سلسلة المصادر والأسباب التي تحرّك التاريخ، فيحرّك الانسان عجلة التاريخ ضمن قانون العلّيّة بالطريقة التي يريدها.

العلاقة بين حريّة الإرادة وحتمية القانون:

وهذه العلاقة بين حريّة ارادة الانسان وحتميّة قانون العلّيّة والتداخل الذي يقع فيما بين هذين الأمرين في الحضارة والمجتمع والتاريخ أدىّ في تاريخ الفكر الانساني الى تعقيدات فكرية وتصورية كثيرة، وظهور مذاهب متطرفة في الفلسفة.

والقرآن الكريم يصوّر هذه العلاقة بصورة دقيقة ويربط احدهما بالآخر ربطاً محكماً ولا ينفي أيّا منهما على حساب الآخر، فيقر بهذا وذاك، ويعطي المحصلة الناتجة منهما بشكل دقيق.

ففي الوقت الذي يعترف القرآن للانسان بحريّة ارادته واختياره، يربطه بنتائج اختياره ربطاً حتمياً ويحّمله مسؤولية ارادته واختياره. فهو عنصر حر وفاعل ومؤثر في مجرى التاريخ، إلّا أنه رغم ذلك كله لايستطيع أن ينفلت من قبضة الحتمية العلّيّة، وبالتالي لايستطيع ان ينفلت من نتائج وآثار فعله.

انه يستطيع ان يحقق مايريد، ولكن في دائرة الحتمية العلّيّة، ودون أن يستطيع أنّ يتخلص من نتائج اختياره وارادته.

إنّ للانسان حريّة كاملة في أن يختار السُمّ او الغذاء، ولكنه لايستطيع ان يتخلّص من النتائج الحتميّة المترتبّة على كل منهما، عندما يختار أيّا منهما... وبالتالي فهو، باعتبار النتائج التي ينتهي اليها، يخضع للحتمية العلّيّة وباعتبار المبادئ التي ينطلق منها ينطلق من ارادة حرّة، مستقلّة غير خاضعة لأيّة حتميّة

ولربّما نجد في الحديث التالي بعض الأضواء على هذه الحقيقة:ـ

روي أن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ عدل من عند حائط مائل الى مكان آخر، فقيل له: ياأمير المؤمنين! تفر من قضاء اللّه؟ فقال ـ عليه السلام ـ (أفّر من قضاء اللّه الى قدر اللّه)(1).

فإنّ للانسان أن يختار أيّاً منهما باختياره وارادته فيجلس تحت الحائط المائل او يغير مكانه الى نقطة أخرى بعيدة عن الخطر. ولكن اذا اختار الجلوس في النقطة الأولى فإن وقوعه تحت الخطر نتيجة حتمية لايمكن ان يتخلص منها.

فلله ـ تعالى ـ في الحقيقة قضاءان حتميان، للإنسان أن يختار أيّا منهما بارادته واختياره،الخطر والسلامة، فاذا اختار الاول كان الوقوع تحت الخطر نتيجة حتمية ل فعله وإذا اختار النقطة الثانية كان خلاصه من الخطر وسلامته نتيجة حتمية أيضاً، من دون ان تعارض هذه الحتمية قدرة الانسان على الاختيار. وهذا الأمر بالضبط مايجري في تعامل الانسان مع المجتمع والتاريخ.

حريّة الاختيار الى جانب حتمية النتائج:

والى هذه الحقيقة المزدوجة تشير آيات كتاب اللّه إشارات واضحة.

فمن ناحية يقرر القرآن الكريم حريّة ارادة الانسان بصورة قوية وواضحة ومن دون أي تحفّظ، ومن ناحية أخرى يقرر القرآن حتمية النتائج التي تترتب على اختيار الانسان وحريته، ومسؤولية الانسان عن افعاله واختياراته.

وفيما يلي نشير الى هذه الحقيقة القرآنية المزدوجة من طاذالتي من الآيات:

الطائفة الأولى، هي اتي تقرر حريّة ارادة الانسان والطائفة الثانية هي التي تقرر حتمية نتائج هذا الاختيار ومسؤولية الانسان عنها.

الطائفة الأولى

وهي طائفة واسعة من الآيات نذكر منها قوله تعالى:

«إنّا هديناه السّبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً»

(الانسان/ ٣)

«بِئْسَما اشتروا به انفسهم».

(البقرة/ ٩٠)

«إنَّ اللّهَ لايظلم الناس شيئاً ولكن الناسَ أنفُسَهُم يظلِمون». (يونس / ٤٤)

«قُل يا أيُّها الناسُ قد جاءكم الحقُّ من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، وَمَنْ ضَلَّ فإنما يضلُّ عليها».

(يونس / ١٠٨)

«وَمَنْ يُرِدْ ثوابَ الدُّنيا نُؤْتِه مِنها، وَمَنْ يُرِدْ ثوابَ الآخرةِ نُؤْتِه منها».

(آل عمران/ ١٤٥)

«مَنْ كانَ يُرِيدُ ثوابَ الدُّنيا فَعِنْدَ اللّه ثوابُ الدُّنيا والآخرة».

(النساء/ ١٣٤)

«قُلْ كُلٌّ يعملُ على شاكلتِهِ فربّكُم أعلمُ بمن هو أهدى سبيلاً».

(الاسراء/ ٨٤)

«فَمَنْ شاءَ اتَّخذَ الى رَبّهِ سبيلاً».

(الانسان/ ٢٩)

الطائفة الثانية:

وفي القرآن طائفة اخرى واسعة من الآيات تدل على أن اختيار الانسان هو أساس ومادة تاريخ الانسان، وأن هذا الاختيار إن كان خيراً أو شراً، يصنع بصورة حتميّة تاريخ الانسان، ولا يستطيع الانسان ان يتخلص من نتائج عمله وكسبه، ويقع اختيار الانسان وكسبه، واختيار الامة وكسبها في سلسلة علل واسباب التاريخ. وتعمل هذه العلل والاسباب عملها بصورة حتميّة في حياة الانسان وتاريخه وتستتبع النتائج المترتبة

عليها بصورة قطعية وحتمية... ولكن مبادىء هذه الحتمية التاريخية تقع في يد الانسان وتحت اختياره. ولْنقرأ شطراً من هذه الآيات من كتاب اللّه:

«كُلُّ نفسٍ بما كسبْت رهينة».

(المدثر/ ٣٨)

كل نفس رهينة بأعمالها لاتستطيع أن تتخلّص من النتائج الحتمية التي يستتبعها عملها وكسبها.

وكسب الانسان وعمله يقع تحت اختياره ولكن النتائج التي يستتبعها عمله وكسبه تقع بصورة حتمية ويكون هو رهيناً بها.

«وتلك القُرى أهلكناهم لمَّا ظَلَمُوا، وَجَعْلنا لِمَهْلِكِهم مَوعِداً».

(الكهف/ ٥٩)

وهلاك الأمم والأقوام ـ والحديث هنا على الأمم وليس عن الأفراد ـ نتيجة حتمية لظلم الأمم وفسادهم.

«فَلَمّا نَسُوا ماذُكِّرُوا به فَتَحْنا عليهم أبوابَ كُلِّ شيءٍ حتى أذا فَرِحُوا بما أُوتوا أخذْناهُم بَغتةً فإذا هُمْ مُبْلِسُون، فَقُطِعَ دابِرُ القومِ الَّذينَ ظَلَموا والحمدُ للّه ربِّ العالمين».

(الأنعام/ ٤٤ ـ ٤٥)

ويبدأ الأمر من هذه المسيرة الحضارية: الانسان حين يعرض عما ذكّره اللّه به وعن ذكر اللّه تأتيه سُنّة الاستدراج ويفتح اللّه عليهم أبواب كلّ شيء ثمّ يأتيهم بعد ذلك سُنّة المحق والهلاك بصورة حتميّة:

«ولو أنَّ أهلَ القرى آمنوا واتَّقَوْا لَفَتَحْنا عليهم بركاتٍ من السّماءِ والأرضِ، ولكِنْ كَذَّبُوا فأخذناهُم بما كانوا يكسِبون».

(الأعراف/ ٩٦)

«وأن ليس للانسان إلّا ماسعى، وأنّ سعيه سوف يُرى ثمّ يُجزاه الجزاء الأوفى»

(النجم/ ٣٩ ـ ٤١)

«وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ماعَمِلَتْ، وهو اعلم بما يفعلون».

(الزمر/ ٧٠)

«مَن عَملَ صالحا مِنْ ذَكَرٍ أو أُونثى وَهُوَ مؤمنٌ فَلَنُحْيينَّه حياةً طَيِّبةً وَلَنَجْزِيَنَّهُم اجرهم بأحسَنِ ماكانوا يعملون».

(النحل/ ٩٧)

«تلك أُمَّةٌ قد خَلَتْ لها ماكسبتْ ولكم ما كسبتُم ولاتُسألون عَمّا كانُوا يعملون».

(البقرة/ ١٣٤)

«لايُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها. لها ماكسبتْ وعليها ما اكتَسَبتْ».

(البقرة/ ٢٨٦)

«وَلَوْ أنَّهم أقَامُوا التوراةَ والإنجيلَ وما أُونزلَ إليهم من ربّهم لأكَلُوا مِنْ فوقهم وَمِنْ تَحتِ أرجُلِهم مِنهم أمَّةٌ مُقتصِدةٌ وكثيرٌ مِنهم ساءَ مايعملون».

(المائدة/ ٦٦ ـ ٦٥)

«وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماءَ عليكم مدراراً، ويزدكم قوةً الى قوتكم ولا تولّوا مجرمين».

(هود/ ٥٢)

«وَانْ لو استقاموا على الطريقةِ لأسقيناهُم ماءً غَدَقاً».

(الجنّ/ ١٦)

«وَالَّذينَ هاجَرُوا في اللهِ مِنْ بعد ماظُلِموا لَنُبوِّئَنَّهُم في الدنيا حسنَةً وَلأجرُ الآخرةِ اكبرُ لوَ كانُوا يعلمون».

«النحل/ ٤١»

أمر بين الأمرين:

وهذه الحالة التي يشرحها القرآن الكريم في هاتين الطائفتين من الآيات تقرر وتوضح معنى النص المعروف الوارد عن أهل البيت عليهم السلام من (الأمر بين الأمرين) في الصراع العقائدي الذي احتدم بين المسلمين في اثبات الحريّة لإرادة الانسان أو نفي الحريّة عن إرادته. فقد طرح أهل البيت عليهم السلام في هذه المعركة الفكرية مبدء (الأمر بين الأمرين) في مقابل النظريات الفكرية المتطرفة التي تبناها كل من طرفي الصراع في الحريّة المطلقة لإرادة الانسان أو نفي الحريّة عن ارادة الانسان بشكل مطلق.

ولعلّ الآيتين الكريمتين تشيران الى هذه الحقيقة.

«ذلك بأنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغيّراً نعمةً أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

(الأنفال/ ٥٣)

«إنَّ اللّهَ لايُغيّرُ مابقوم حتى يُغيّروا ما بأنفسِهم».

(الرّعد/ ١١)

وفي هاتين الآيتين يوجد تغييران اثنان:

١ـ تغيير الانسان لنفسه.

٢ـ تغيير اللّه تعالى للانسان، وهذا التغير الثاني يجري بموجب السُّنن والقوانين الالّهية الحتمية وينسبها القرآن الكريم الى اللّه تعالى بصورة مباشرة على طريقة القرآن التوحيدية من اسناد الكون الى اللّه عز شأنه.

والتغيير الثاني يتبع التغيير الاول، فكيفما يصنع الانسان بنفسه من تغيير يصنع الّه تعالى به بموجب القوانين والسنن الالهية الحتمية.

إن للإنسان ملء الحريّة أن يختار هذا الطريق أو ذاك، ولكنه اذا اختار أحدهما فلا يملك التخلص من النتائج الحتمية المترتبة عليه.

الخلاصة والنتيجة:

إن القرآن الكريم يقرر العلاقة بين هذه الحريّة وتلك الحتمية بصورة رائعة ودقيقة ومتينة ويأخذ بنظر الاعتبار كلاًّ من العاملين الاساسيين في حركة التاريخ ويربط بينهما ربطاً علمياً في غاية الدقة

والمتانة.

فليس التاريخ ـ وهنا النظرية ـ حركة منفلتة من قانون العلّيّة واصوله الذي ينظم الكون كله وليس التاريخ بدعاً من الأمور والأشياء، التي تخضع للحتميّة العلّيّة كما يقول أصحاب نظريّة (التاريخية) (Historicism).

وفي نفس الوقت لاتكاد تشبه قوانين التاريخ القوانين الفيزياوية، ولا الحتمية التاريخية الحتمية الفيزياوية. ونحن عندما نؤمن بالحتمية التاريخية لانريد ان نكرر مايقوله اصحاب نظريات الحتمية التاريخية في إلغاء دور الانسان الفاعل في تغيير مسار التاريخ، وإعطاء مسار دوري ثابت لتاريخ الانسان... إنّ النظريات التاريخية المعروفة بالاتجاه الجبري في التاريخ تكاد تلغي الدور التغييري الفاعل للانسان في حركة التاريخ، وتعتبر الانسان جزء صغيراً جامداً في عملية التاريخ الكبرى التي تتحرك بقانون العلّيّة والأمر ليس كذلك، وحركة التاريخ لاتشبه الحركة الفيزياوية الدائرية في الكون، واذا جاز لنا ان نرسم المسار الكلي لحركة التاريخ فلابد أن نقول إنّ حركة التاريخ حركة متعرجة صاعدة ونازلة وليست دائرية ولايمكن التنبّؤ الدقيق بها إلّا بموجب القانون الكلّي الذي يعطيه القرآن الكريم لهذه الحركة.

«إنَّ اللّه لايغير ما بقومٍ حتى يُغيّروا ما بأنفسهم».

(الرعد/ ١١)

كيف يخترق الانسان قهر البيئة؟

وقد يقال إنّ (ارادة الانسان) تقع مقهورة للمحيط وللمجتمع. عندما يكون ضغط المحيط قاهراً على الانسان فلا يستطيع أن يغير أو يبدل شيئاً من المجتمع، ولن يكون دوره دوراً تغيراً فاعلاً في المجتمع....

وعلى ذلك فإنّ الفرد لايكاد يملك حرية التحرك واتخاذ القرار بغير الاتجاه العام الذي يتحرك فيه المجتمع.

وتكون النتيجّة على كل حال حتمية حركة التاريخ، وحتمية التبعيّة للفرد تجاه المجتمع.

والقرآن الكريم يوضح هذه النقطة بدقة واهتمام، ويبيّن أن اللّه ـ تعالى ـ قد زوّد الانسان، الى جانب الارادة والقدرة على اتخاذ القرار، بالعقل والبصيرة والفطرة التي تمكنه من التشخيص السليم والتمييز الدقيق.

وتبعية الفرد للمجتمع الفاسد تقع نتيـجة فقدان الوعي والقدرة على التشخيص عند الفرد... أما حينما يمتلك الفرد الوعي الكافي والقدرة الكافية على التشخيص فإن إرادة الانسان تكون قادرة على التخلص من الظروف

الاجتماعية مهما كان سلطانها وقوتها.

ويشير القرآن الى منابع الوعي والفطرة والهداية الالهية للإنسان في داخل نفسه وفي الخارج.

«فأقِم وَجْهَك لِلدينِ حنيفاً، فِطرَةَ اللّهِ التي فطر النـاسَ عليهـا، لاتبـديل لخلقِ اللّه، ذلك الدينُ القيّمُ، ولكنَّ اكثر الناسِ لايعلمون».

(الروم/ ٣٠)

«إنّا هَديناهُ السَّبيلَ إمّا شاكِراً وإمّا كَفورا».

(الانسان/ ٣)

«وَهَدَيناهُ النَّجْدَين».

(البلد/ ١٠)

«لا إكراهَ في الدين قد تبيَّنَ الرشدُ من الغَيّ».

(البقرة/ ٢٥٦)

وعليه فإنَّ اللّهَ تعالى قد خلق للإنسان نوراً يمكّنه من التشخيص والتمييز. وخلق له ارادة تمكّنه من اتخاذ القرار، فلا يكون الفرد عنصراً جامداً ومقهوراً للمحيط الاجتماعي في حركة التاريخ.

٣ـ الرعاية الإلهية... وهو العامل الثالث لحركة التاريخ

لاتحسبنّ عجلة التاريخ قادرة على الاستمرار في العمل لولا الرعاية الالهية. ولا يمكن أن يستقر التاريخ على أساس (الحتمية العلّيّة) و (العنصر الانساني) فقط.... وما اكثر ما أشرفت الحضارة الانسانية على السقوط والإنهيار الكامل لولا أنْ تتداركه (الرعاية الالهية) في الوقت. المناسب.

والرعاية الإلهية هنا شيء آخر غير السُّنن الإلهية في التاريخ... إنها شيء مافوق هذه السنن الحتمية، ولها أيضاً أصول وقوانين، ولا تحصل اعتباطاً، إلّا أنّها من دائرة أخرى غير دائرة السُّنن المعروفة.

ولولا هذه الرعاية الإلهية التي تواكب حركة التاريخ لسقطت الحضارة البشرية منذ عهد طويل... ونحن عندما نتابع حركة التاريخ نشهد يد اللّه ـ تعالى ـ ورعايته للإنسان تواكب هذه المسيرة التاريخية ولم تتخلّ عن رعاية الانسان والمحافظة عليه وحمايته من السقوط طرفة عين.... وكم من مرة شهد التاريخ سقوطاً حتمياً لحضارة الانسان على يد طغاة مجرمين من امثال جنكيز وهولاكو وهتلر ـ على صعيد واسع جداً ـ لولا ان تدرك الرعاية الالهية الانسانية في الوقت المناسب وتنقذها من السقوط الحتمي، وكم من مرة يجرف الهوى والفساد والفوضى البشرية الى حضيض السقوط لولا ان تدرك الرعاية الالهية الانسانية في اللحظة الاخيرة وتنقذها من السقوط والهلاك، من

دون ان تكون السنن الحتمية للتاريخ ووعي الانسان وارادته وحرية قراره كافية في خلاص الانسان وانقاذه.

إنّ الحقيقة التي تكمن وراء ذلك كله أن حضارة الانسان لايمكن ان تقوم على دعامتين فقط: (الانسان * قوانين التاريخ)، ومن دون وجود هذه الدعامة الثالثة (الرعاية الالهية) تبقى الحضارة الانسانية متارجحة وقلقة ومعرضة للسقوط والانهيار.

ولو لم تكن لدينا شواهد وأمثلة ونماذج من خلال استعراض التاريخ الانساني للرعاية الالهية لكنّا نحكم بحتمية وجود هذه الدعامة الثالثة للحضارة والمجتمع نظراً لاستمرار الحضارة البشرية وخروجها من المآزق والمهالك الكثيرة التي تعرضت لها هذه الحضارة في تاريخها الطويل... ولانحتاج الى دليل اكثر من ذلك لاكتشاف هذا العنصر الثالث في تقويم الحضارة والتأريخ.

ومن عجب أن هذا العنصر الثالث البالغ الاهمية يختفي بشكل عجيب في الدراسات العلمية التي تتناول تفسير التاريخ والحضارة الانسانية، ويغيب عن عيون الكثيرين من الباحثين والعلماء، في هذا الحقل الحساس من حقول الدراسات الانسانية.

ولايحتاج الانسان الى كثير من العناء ليكتشف هذا الاصل الكبير والعامل الأساس في تقويم الحضارة والتاريخ.

وبقليل من التأمل و (التبصرة) يستطيع الانسان أن يلمس هذا الأصل في التاريخ والحضارة بشكل واضح.

رعاية اللّه في حياة الانسان الشخصيّة:

ولنبدأ من التماس هذه الرعاية الالهية في حياة الناس الشخصية حيث يلمس كل واحد منا تدخل الرعاية الالهية في حياته الشخصية خارج دائرة الحتميات العلية وارادته وعقله وتجاربه، ويلمس عن قرب أنه لولا ان تتدخل الرعاية الالهية في حياته الشخصية لما نهض به عقله وارادته وتجاربه وقوانين الطبيعة والمجتمع، ولو ان اللّه تعالى يكل الانسان الى نفسه لسقط في لحظة واحدة أمام أول مزلق من مزالق الحياة الكثيرة... ولكن رعاية اللّه تتابع الانسان في حياته خطوة فخطوة، وتحفه بالحفظ والتوفيق والتسديد والتأييد - بصورة غيبية - منها مايشعر بها بصورة محسوسة وملموسة، ومنها مالا يشعر بها بصورة محسوسة وهي الألطاف الخفية لله تعالى التي ترعى الانسان من دون ان يحس بها، وهي كثيرة ومتنوعة، اذا كانت تخفى واحدة واحدة فلا تخفى على الانسان في اجمالها وكليتها.

وهذه الرعاية الالهية تواكب الانسان في مسيرة حياته عند كل مزلق من مزالق الحياة، وعلى كل شفير يشرف الانسان عنده على السقوط، وكلما تتشابك امامه الطرق ويلتبس عليه الحق والباطل... ولو أنّ اللّه - تعالى - يكل الانسان الى نفسه وعقله وارادته وتجاوبه لما نهض به عقله وتجاربه بالتأكيد.

ولذلك ورد في الأدعية كثيراً هذه الفقرة: (ولاتكلني الى نفسي طرفة عين).

وورد في الصحيفة السجادية (ولو تكلني الى حولي... لكان الحول عني معتزلاً) *

إنّ حول الانسان وطوله وعقله وارادته - وكل ذلك مما آتاه اللّه تعالى وكل قوانين الطبيعة والمجتمع، وكله من خلق اللّه - لاينهض بالإنسان اذا تخلت عنه رعاية اللّه الخاصة، وأوكلته الى نفسه.

ستر اللّه:

وليس ذلك فقط على الصعيد المعنوي.... بل يصح ايضا على الصعيد المادي والمحسوس، فما اكثر مايتعرض الانسان لأخطار مادية في جسمه فتدركه رعاية الله تعالى وتنقذه. وما اكثر ما يدرأ اللّه تعالى عن الانسان الأخطار الحقيقية من حيث يشعر الانسان او لايشعر.

وهذه الشواهد الملموسة كلها تدعونا الى الايمان بوجود عنصر ثالث من حياة الانسان غير القوانين الطبيعية والاجتماعية والعقل والارادة والتجربة وهذا العنصر الثالث هو رعاية اللّه تعالى الخاصة بعباده.

التوفيق الإلهي:

وقد ورد التعبير عن هذا العنصر الثالث في النصوص الاسلامية و (التوفيق)، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام **التوفيق عنايه**[٢] **والتوفيق عناية الرحمن**[٣]

والتوفيق لايأتي بمعنى تعطيل دور قانون العلّيّة في الحياة في الطبيعة والمجتمع ولا استحداث قوانين جديدة في الطبيعة والمجتمع لخدمة الانسان، وانما يأتي بمعنى (توجيه الاسباب للانسان نحو الخير)[٤] فإن قوانين الطبيعة والمجتمع تبقى فاعلة وحتمية ومنها ما يقود الانسان نحو الخير ومنها مايقود الانسان نحو الشر، وعلى الانسان ان يختار منها هذا او ذاك. وعليه يتقرر مصيره في السعادة والشقاء كما ذكرنا. ولكن ليس دائماً تتهيأ للانسان الفرصة الكاملة لأسباب الخير في الطبيعة والمجتمع. فقد لاتكون هذه الاسباب في متناوله وفي مقدوره. وقد تغيب عنه، ولا يهتدي

اليـه... وفي مثـل هذه الحالات فإنّ اللّه ـ عز وجـل ـ يأخـذ بيد عبده الى هذه الأسباب التـي تقوده الى السعادة والخير.

ورد عن ابي عبـد اللّه الصادق(ع): إذا اراد اللّه بعبد خيراً أخذ بعنقه فأدخله في هذا الأمر (الولاء والهداية) إدخالاً[٥].

وعنه (ع) أيضاً: (إنَّ اللّه تبارك وتعالى إذا أراد بعبـد خيراً وكـل به ملكاً فأخذ بعضده فادخله في هذا الامر)[٦].

وتعبـيرات الامــام أمـير المؤمنين عليه السـلام عن التـوفيق كما في غرر الحكم للآمـدي دقيقة ومعبّرة عن هذه الحقيقة ومنهــا: (التـوفيق قائـد الصــلاح)[٧] و (التـوفيق رأس النجاح)[٨] و (التوفيق رأس السعـادة)[٩] و (بـالتـوفيق تكـون السعـادة)[١٠] و (لاقـائـد كالتوفيق)[١١] والسبب في ذلك كله واضـح فان التوفيق الإلهي يقود الانسان الى أسباب الصلاح والنجاح والسعادة.

ومالم يوفق اللّه تعالى عبداً ويرد به خيراً فإنه لاينال من أسباب الخير بجهده وعقله إلّا القليل (لاينفع اجتهاد بغير توفيق)[١٢] فاذا اراد اللّه تعالى به خيراً ووفقه وضع جهـده في موضعـه من اسبـاب النجاح والفلاح فيكون جهده مثمراً، يقول الامام عليـه السـلام (خـير الاجتهـاد ماقارنه التــوفيق)[١٣] وقــد ورد في الحـديث أنّ (التـوفيق أشرف الحظّين)[١٤] ويقصد به خط الانسان من أسباب السعادة والخير التي ينالها بجهده وعقله وامكاناته التي اعـطاها اللّه تعالى إياه وهو أحد الحظّين واقلّهما شأناً، والحظّ الآخر هو أن يهدي اللّه تعالى عبده لما يغيب عنه من أسباب الخير أولما لاتناله يده من أسباب الخير، ويضعه في موضع أسباب السعادة والخير، وهذا هو الحظ اثاني وهو استر فهما كما في الحديث.

ولا شكّ في أنّ (التـوفيق) عامل غيبيّ من الخـارج يضـع الانسان في مواضع الخــير واسبــابــه، وهـو شيء آخـر غير الامكـانات العقلية والفطرية والقوة التي اودعها اللّه تعالى في نفس الانسان. فإن هذه الامكانات التي اودعها اللّه تعالى في الانســان لاتستـطيع لوحدها أن تنهض بالانسان وتقوده الى اسباب الخير وتجنبه أسبـاب الشر، فاذا أراد اللّه تعالى بعبد خيراً أعانه على صرف جهده وامكاناته في مواضعها من اسباب الخير. وفي الحديث التالي إيضاح كاف لهذه الحقيقة:

روي أن رجـلاً سأل الصــادق عليـه السلام فقال: ياابن رسول اللّه! ألست أنا مستطيعاً لما كلِّفت؟

فقال له عليه السلام: ما الاستطاعة عندك؟

قال: القوة على العمل.

قال له عليه السلام: قد اعطيت القوة،

إن أُعطيت (المعونة).

قال له الرجل:فما المعونة؟

قال: التوفيق.

قال (الرجل): فلم إعطاء التوفيق؟

قال (الامام): لوكنتَ موفقاً لَكنت عاملاً وقد يكون الكافر اقوى منك ولايعطى التوفيق، فلايكون عاملاً.

ثم قال عليه السلام: أخبرني عمن خلق فيك القوة؟

قال الرجل: اللّه تبارك وتعالى.

قال الصادق: هل تستطيع بتلك القوة دفع الضرر عن نفسك، وأخذ النفع اليها بغير العون من اللّه تبارك وتعالى؟

قال: لا.

قال: فلم تنتحل مالاتقدر عليه؟

ثم قال: أين أنت من قول العبد الصالح: وما توفيقي إلّا باللّه)[١٥].

وهذه الرواية تصنف القوى العاملة والمؤثرة من حياة الانسان الى ثلاثة:

١ـ القوانين الطبيعية والاجتماعية (سنن اللّه) التي تقود الانسان الى الخير او الى الشر.

٢ـ القوى التي اودعها اللّه تعالى في الانسان والتي يستعملها الانسان للوصول الى هذه اوتلك من أسباب الخير او الشر في الطبيعة والمجتمع.

٣ـ التوفيق والعون الآلهي الذي يهدي به اللّه تعالى عباده الى اسباب الخير ويعينهم عليها ويأخذ بأيديهم اليها لينالوا منها ماكان يغيب عنهم او ماكان تقصر ايديهم عنه.

ومن دون هذا الأخير لاينال شيئاً يذكر من الخير.

روى الكراجكي عن الكنز: قال: قال الصادق عليه السلام: ماكلّ من نوى شيئاً قدر عليه، ولا كلّ من قدر على شيء وفق له، ولا كلّ من وفّق لشيء أصاب له، فإذا اجتمعت النيّة والقدرة والتوفيق والإصابة فهنالك تمّت السعادة[١٦].

النتائج التربوية للاحساس بالتوفيق الإلهي:

وعندما يعي الانسان هذه الحقيقة الكبرى في الحياة، في أهمية عامل التوفيق الالهي في بناء حياة الانسان وتقرير مصيره وهدايته وسداده ونجاحه وفلاحه، ويعي عجزه كإنسان عن أن يحقق في حياته شيئاً من ذلك بقواه وامكاناته الذاتية التي اودعها اللّه تعالى فيه..... ينفعه الاحساس من الناحية التربوية في أمرين أساسيين.

١ـ يكفكف في نفسه غلواء الغرور والزهو عندما يفتح اللّه ـ تعالى ـ له أبواب الرحمة، فلا يناله الغرور ولا يصدّه الزهو الباطل.

وقد روى عن الامام الرضا (ع) أن

أيّوب عليه السلام: قال: يارب ما سألتك شيئاً من الدنيا قط، وداخله شيء (من الغرور والزهو الروحي بالزهد والإستغناء عن متاع الحياة الدنيا).

فاقبلت اليه سحابة حتى نادته: ياأيّوب من وفقّك لذلك؟

قال: انت يارب[١٧].

وما أجمل جواب العبد الصالح شعيب ـ عليه السلام ـ لقومه عندما أنكروا عليه دعوته وقالوا له: «**ياشُعيبُ أصلاتُكَ تأمرُكَ أنْ نتركَ مايعبدُ آباؤنا أو أنْ نفعل في اموالنا مانشاءُ إنّك لأنت الحليمُ الرّشيد**».

(هود / ٨٧)

إنّك لتقرأ هذا الحوار من القرآن فتشعر بظل الأنانية الثقيلة في كلام قوم شعيب «**مايعبد آباؤنا**» «**ان نفعلَ في اَموالِنا مانشاء**» ثمّ الاستخفاف والاستهزاء «**أصلاتك تامرك**» «**إنّك لانت الحليم الرّشيد**»!!

ونقرأ الآن جواب شعيب:

«**قال ياقوم ارايتُم إنْ كنتُ على بَيّنَةٍ من ربّي ورزقني منهُ رزقاً حسناً، وما اريدُ انْ أُخالفكم الى ما انهاكمُ عنه. إنْ أُريدُ إلاّ الإصلاحَ ما استطعت، وما توفيقي إلاّ باللّه عليه توكلّت وإليه أُنيب**».

(هود / ٨٨)

ونقرأ هذا الجواب فلا تكاد تحس لهذا العبد الصالح بظل من هذا الحوار.

«**بيّنة من ربّي**»: (بيّنة) وليس تعصُّباً لما يعبد الآباء. و (من ربيّ)، وليس من صنعي ولا مما انتهيت اليه بفكري وجهدي «**ورزقني منه رزقاً حسناً**»: رزقني اللّه من لدنه ومن عنده رزقاً حسناً مباركاً... نقرأ هذا الكلاّم فلا نحسّ بشعيب ولابظل له. ثم نلتقي بشعيب فجأة: «**إن أُريدُ إلاّ الاصلاحَ**».

ولكن في إطار الاصلاح والهدى... ومع ذلك يسرع فيتدارك هذه (الأنا) مباشرة بـ (ما استطعت) بحدود قدرته واستطاعته وهي محدودة... وكأنه لايجد في هذا التحديد والتحجيم (للأنا) مايبغي من اظهار شأن اللّه عز شأنه ونكران الذات، فيتدارك الأمر مرة ثانية ومباشرة «**وما توفيقي إلاّ باللّه**»: فما يصنعه من فعل ويقدم عليه من أمر في اصلاح لايتم منه شيء إلاّ بتوفيق من اللّه وليس له في ذلك أيّ شأن، والجملة ـ كما يقول اهل العربية ـ تفيد الحصر ونفي أي شيء له في هذا الأمر وحصر الامركلّه في اللّه تعالى. ثم يكرس مرّة أحرى هذا الاحساس بقوله «**عليه توكّلت، واليه أنيب**»).

ولايتأتّى للأنا أن تختفي تماماً عن المسرح ويتأكد عند صاحبها الاحساس بحضور اللّه ومعية اللّه وحول اللّه وسلطانه، وان ليس له من حول وقوة إلاّ باللّه. إلاّ عندما يستشعر معية اللّه تعالى

له وتوفيقه إياه ممثل من البصيرة والرؤية.

٢ـ وهذا الاحساس ينفع الانسان ثانياً في حصر ثقته في الله ـ تعالى ـ وفي أن يضع كل ثقته ورجائه في الله، ويقطع كل أملّ ورجاء من عند غير الله.

روى الشيخ الكليني رحمه الله في الكافي عن ابن جميلة قال: سمعت أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام يقول: كن لما لاترجو ارجى منك لما ترجو، فإن موسى عليه السلام ذهب يقتبس ناراً، فانصرف اليهم وهو نبي مرسل[١٨].

ومهما يكن من أمر فإن ظاهره التوفيق في حياة الانسان ظاهرة واسعة وممتدة. وأيّ انسان إذا أنعم الله عليه بالبصيرة وأنعم النظر فلا يكاد يخفى عليه لمساتَ يد الله ـ تعالى ـ في حياته في سّرائه وضرائه ومن الشدّة والرخاء، لاتغيب عنه رعاية الله، ولا يتخلى عنه التوفيق الالهي، في حياته المادية وحياته المعنويّة وفي حركته وعمله.

مقارنة بين ما يطمح اليه الانسان وبين توفيق الله للانسان:

مقارنة بسيطة بين ماكان يطمح إليه الانسان في تفكيره وتخطيطه لحياته وما آل اليه امر حياته بتوفيق الله وتأييده والفارق بين ماكان يريد. وما أراد الله ـ تعالى ـ له يكشف لنا ضخامة دور التوفيق في حياة الانسان وتذكرنا بما كان يريد المسلمون من غنيمة باردة عندما خرجوا الى بدر ليرجعوا بأموال قريش وما أراد الله ـ تعالى ـ لهم من طريق ذات الشدّة: فلقد كان اكبر هم المسلمين أن يرجعوا بتجارة قريش موفورين وكانوا يكرهون أشد الكره لقاء قريش والقتال معهم، واراد الله ـ تعالى ـ لهم أن يلاقوا قريشا في معركة حاسمة يعودون منها أشداء اقوياء سادة قوامين للحق يرفعون كلمة الله على وجه الأرض في مشارقها ومغاربها.

«وإذْ يعدكم اللّهُ إحدى الطائفتين أنَّها لكم وَتَـودُّونَ انَّ غَيْرَ ذات الشوكةِ تكونَ لكم، ويريدُ اللّهُ أنْ يُحقَّ الحقَّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين».

(الأنفال/ ٧)

إنّ الانسان قد يريد الوصول الى شيء من معصية الله فيخرج اليه فيسلك الله تعالى به طريقاً الى الجنة.

وإنّ الانسان قد يسلك طريقاً الى الراحة والعافية وإيثار الحياة الدنيا، فيسلك الله تعالى به طريقاً الى ذات الشدة والى الجنة.

وإنّ الانسان قد يسلك طريقاً الى متاع قريب من متاع الدنيا، فيسلك الله تعالى به طريقاً الى رضوانه وقربه.

وإنّ الانسان قد يخرج من بيته في مهمة، ولا يعلم ماذا يصنع واين يذهب،

وأي باب يطرق، ومن أي وجه يطلب حاجته، فيأخذ اللّه تعالى بيده ويسلك به الطريق الى حاجته خطوة خطوة.

التوفيقات الرّبانيّة في حياة الدّعاة:

إنّ الانسان يجد أمامه في الدعوة الى اللّه طريقاً صعباً وعراً وعقبات صعبة، واعداءً جبابرة فيحار ماذا يصنع ويكاد يركن في لحظة من لحظات الضعف الى الخوف والتقاعس، فيأخذ اللّه بيده ويجتاز به هذه العقبات عقبة عقبة، ويمر به على مراحل الطريق الصعبة مرحلة مرحلة، ولا يفارقه من في مواجهة الأخطار وفي معاناة العمل الطويلة، وعند منعطفات الطريق الصعبة، وفي اجتياز العقبات. يلمس خلالها يد اللّه تعالى ترافقه وترعاه وعين اللّه ـ تعالى ـ تبصره، وتعطف عليه.

وقد كان يقع أحدنا ـ من حملة الدعوة الى اللّه ـ في قبضة جلاوزة الطاغوت في حقدهم ووحشيتهم المعروفة فتضعف نفسه عندما يجد نفسه وحيداً في قبضة السفاكين يعملون فيه مايشاؤون لينتزعوا منه ما يشاؤون، ويخشى أن تضعف مقاومته أمام التعذيب ويبوح بما يحرم عليه ان يبوح فيخسر دينه ودنياه، فيملأ اللّه ـ تعالى ـ نفسه ثقة، ويهب جسده قوة، ويجعل في نفس أعدائه الضعف والجبن، ويجتاز به الزنزانات وحفلات التعذيب والتحقيق ومراحل السجن والعذاب، ويؤنس وحشته في وحشة الزنزانات، ويملأ دنياه الصغيرة بين جدران الزنزانة الموحشة بما لاحد له من اليقين والايمان والثقة باللّه والصبر وابتغاء رضوان اللّه ورحمته.

وإنّ الدّاعية ليفرّ بدينه فيخاف على اسرته وعائلته أن تصيبهم ضّراء الجوع والخوف فيهيء اللّه تعالى لهم من المؤمنين من يقاسمونهم لقمة خبزهم ويؤثرونهم على أهلهم.

لمسات التوفيق الإلهي للدّعاة من القرآن:

ولنرجع الى القرآن لنلمس مواضع توفيق اللّه وتأييده لعباده الصالحين ولحملة دعوته ورسالته وكيف تواكب هذه الرعاية الالهية المؤمنين في مراحل الحياة الصعبة، وامام بطش الجبابرة والطغاة. فها هي ام موسى تضع وليدها عليه السلام فتخاف أن يقتله جلاوزة فرعون فيضعف فؤادها لذلك فيأمرها اللّه تعالى ان تقذف به في البحر وسط امواجه العاتية الغاضبة ليرده اليها من داخل قصر فرعون. ومن قبضة الطاغية فتمتثل الأم خائفة وجلة:

«وأوحينا الى أُم موسى أن أرضِعيه فإذا خفتِ عليه فالقيه في اليَمّ ولا تخافي ولاتحزني إنّا رادُّوهُ إليك وجاعلُوهُ مَن المرسلين. فالتَقطهُ آلُ فِرعَونَ ليكونَ لهم

عدواً وحـزَناً، إنَّ فرعونَ وهامانَ وجنودَهما كانــوا خاطئـين، وقالتِ امرأةُ فرعون قُرَّةُ عيـن لي ولك لا تقتلوهُ عســى أن ينفعَنا أو نتّخـذهُ ولَدَاً وهم لايشـعـرون. وأصبحَ فؤادُ أمِّ موســى فارغاً إنْ كادت لَتبدي به لولا أن ربـطـنـا على قلبهـا لتكـونَ من المؤمنين. وقالت لاختِه قُصّيه فبَصُرَتْ به عن جُنُبٍ وَهم لايشعـرون. وحرَّمْنا عليه المراضعَ من قبلُ فقالَتْ هَل أدُلّكم على أهلِ بيـتٍ يكفلونَــهُ لكم وهم لـه ناصِـحــون. فَرَدَدْناه إلى أُمِّه كي تقـرَّ عينُها ولاتحزنَ، ولتعلم أنَّ وعـدَ اللّه حقٌّ، ولكنَّ أكثـرهم لايعلمون ولـمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ واستوى آتيناهُ حُكماً وعِلماً وكذلك نجزي المُحسنين».

(القصص/ ٨ ـ ١٥)

سبحـانك اللّهمّ! من رب قادر متعال، رؤوف رحيم تنقذ هذا الوليد الرضيع من بطش فرعون الذي آلى على نفسه أن يقتل كل وليـد لبني إسرائيل، ومن وسط عباب أمـواج البحـر ترافقه رعايتك عبر امواج البحر وقصر الطاغية وبطشه ويعود الطفل الرضيع الى أمه كي تقر به عينها ولتعلم أن وعد اللّه حق، وتواكبه رعايتك حتى يبلغ أشـده، ويستـوي وتؤتيه من لدنك حكماً وعلمـاً. وتـؤتيـه الحكم والنبوة في جانب الطّـور وهو يبحث عن قبس من النار لأهله في ليلة ظلماء باردة:

«فلمـا قضى موسى الأجـلَ وسار بأهله أنَسَ من جانب الطور ناراً قال لأهله امكُثُوا إنّي آنست ناراً لعـلّيَ آتيكم منها بخبرٍ أو جذوة من النّار لعلكم تصطلون. فلما أَتيها نودي من شاطيء الوادِ الايمن في البقعةِ المباركة من الشجرة أن ياموسى إنّي أنا اللّه ربّ العالمين». (القصص/ ٢٩ ـ ٣٠)

يبحث عن جذوة من النار لأهله في ليلة ظلمـاء بادرة ومـوحشـة فاذا يأتيـه هذا النداء المبارك الذي يملأ قلبه شوقاً وخوفاً وايماناً ويقيناً «**إنّي أنا اللّه ربُّ العالمين**».

ويضعف فؤاد موسى عليه السلام ان يضطلع بهـذه الدعـوة الكبيرة (النبوة) فيؤتيه اللّه تعالى برهانين كبيرين:

«وَأنْ ألقِ عصاكَ فلـمّا رَآها تهتزُّ كأنَّها جانٌّ ولّى مدبـراً ولم يُعقّبَ يامـوسى أقبلْ ولاتَخَفْ إنَّــكَ من الآمنــين أُسلُك يَدَكَ في جيبِكَ تخرُجْ بيضاءَ من غيرِ سوءٍ واضمُم إليكَ جناحَكَ من الرهبِ فذانِكَ برهانان من ربِّكَ الى فرعونَ وملائه إنَّهم كانوا قوماً فاسقين».

(القصص/ ٣١ ـ ٣٢)

إنّ حياة رسول اللّه وكليمه موسى عليه السـلام من ولادتـه الى رسـالته والى أن نصـره اللّه تعـالى على فرعــون وجنــده وانجاه من اليم وغرق فرعون وجنده فيه الى نهاية حياته سلسلة متوالية ومتعاقبة من تأييد اللّه تعالى وتوفيقه ورعايته ويشعر الانسان بيد اللّه تعالى تواكب هذا العبد الصالح وترافقه في مختلف مراحل حياته الصعبة.

وليس موسى عليه السلام بدعاً من الرسل، ولايختلف الأمر في الأنبياء، والرسل في سائر الناس من حملة الدعوة والرسالة.

(ما أمر اللّه بشيء إلّا وأعانَ عليه). كما يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام يقول تعالى **«ان تنصروا اللّه ينصركم ويثبت أقدامكم».**

(محمد / ٧)

ويقول تعالى **«إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدّنيا».**

(غافر/ ٥١)

الذين يلمسون يد اللّه فيما ينالهم من التوفيق:

وما أكثر ما يلتقي الناس وسيّما الدعاة العاملون منهم بيد اللّه تعالى في حياتهم وتوفيقه وتسديده لهم دون أن يعرفوها.

إنّ التوفيق الالهي سنة الاهيّة عامّة مع كل الناس بدرجات مختلفة، إلّا الذين يسلهم اللّه التوفيق ومن دون هذا الاصل لايمكن ان تستقيم حياة الناس... ولكنْ قليلون من الناس من يلمسون يد اللّه في حياتهم ويحسون بها ويعرفونها وهم ذوو البصائر من عباد اللّه. وتلك خسارة حقيقية في عالم (المعرفة). ان ينعم اللّه على عبد بالتوفيق في حياته .في السّراء والضّراء وعند كل خطر ومزلق من مزالق الحياة، وفي المعاناة والراحة والرخاء والشدّة ثم لايعرف يد اللّه في حياته ولايعرف رعايته له لايشعر بمعية اللّه تعالى له في حياته، وان يفتح اللّه تعالى عليه باباً واسعاً من ابواب رحمته ومعرفته، فيقف الانسان دون هذا الباب ولايهتدي الى اليد الرحيمة التي ترافقه وتعطف عليه وتشده، وتعضده، وتفتح عليه مغاليق ابواب الحياة، وتيسر له ما اغلق عليه من مسائل الحياة، وتؤدبه وتهذبه.

التوفيق باب من ابواب التوحيد:

و (التوفيق) من الأبواب الواسعة لمعرفة اللّه والانسان يهتدي الى اللّه من أبواب ثلاثة: ١ـ الفطرة ٢ـ والعقل (الأدلّة العقليّة) ٣ـ والتعامل مع اللّه تعالى.

والأخير (التعامل مع اللّه) باب واسع للمعرفة يلجه ذوو البصائر من الناس، ويهب الانسان من الايمان والثقة والطمأنينة والاشكال ملاتهبه الفطرة ولا العقل.

فإنّ الانسان من خلال التعامل مع اللّه (الأخذ والعطاء) أو التجارة مع اللّه، كما يقول القرآن الكريم، يشعر شعوراً قوياً برحمة اللّه وعطائه وبقرب اللّه تعالى منه ومعيته له... ومن خلال مراقبة مواقع تأييد اللّه تعالى وتوفيقه له ومعيته له في السّراء والضّراء وحفظه إيّاه من المهالك والمزالق

وتسديده له، وهي كثيرة يشعر بصورة قويّة وعميقة بمعيّة اللّه.

سنن اللّه من التوفيق:

وقبل ان نفارق الحديث عن (التوفيق) أحب أن اختم الحديث عن اسباب التوفيق وقوانينه في حياة الانسان... فقد لانعود الى هذه النقطة بعد هذا الموضع خلال هذه التأمّلات:

إنّ للتوفيق الإلهي في حياة الانسان سبباً وقوانين واصولاً، وليس امراً عفوياً في حياة الناس، فمن أنعم اللّه تعالى عليه بالتوفيق لابد أن يكون أهلاً وموضعاً لهذه الرحمة الالهية، ومن سلب اللّه تعالى عنه التوفيق ووكله الى نفسه لا بدّ أن يكون هو ممّن أضاع هذه الفرصة على نفسه وفقد الأهلية لنزول رحمة اللّه تعالى ـ فلم يعد بعد موضعاً لنزول رحمة اللّه.

فليس في رحمة اللّه تعالى شح أو بخل، ولا نفاد لخزائن رحمته، وإنما ينعم من الناس من ينعم بالتوفيق الالهي، ويحرم من يحرم من الناس من توفيق الله وتختلف درجات الناس وحظوظهم من توفيق اللّه على قدر استحقاقهم واهليتهم وسعة انائهم.

والتوفيق من رحمة اللّه تعالى تنزل على عباده من غير حساب ويحرم الذين خسروا انفسهم من هذه الرحمة الالهية رأسا وينال المؤمنون بعد ذلك من هذه الرحمة الربانية على قدر مايتسع لها إناء نفوسهم.

أرأيت المطر ينزل من السماء على الأرض غزيراً فلا تنال منه الصخرة المرتفعة شيئاً ولا تنال منه الارض الصلبة إلّا القليل، ويمتص من الارض الهشة الكثير. وتحتفظ بكميات كبيرة منه في جوفها، ثم تعطي ثماراً طيبة وشهية، إن هذا الاختلاف ليس اختلافاً في حجم المطر النازل من السماء وانما ينبع من اختلاف الأراضي في قبول المطر وفي الخصوبة.

وكذلك اناء النفوس تختلف في رفض وقبول رحمة اللّه النازلة كما تختلف في درجة قبولها لرحمة اللّه تعالى.

وهذا الاختلاف يتم بفعل الانسان وارادته.

وليس في أصل الخلقة حالة انغلاق على رحمة اللّه تعالى فاذا اعرض عن اللّه هبطت درجة استعداده لاستقبال رحمة اللّه، وإذا أصر على هذا الاعراض يتضاءل استعداده لاستقبال رحمة اللّه تعالى، أكثر فأكثر، فإذا استمرّ على هذه الحالة تنعدم قابليته لاستقبال رحمة اللّه بصورة نهائية. وبالعكس كلما يقبل على اللّه تعالى يتّسع إناء نفسه لإستقبال رحمة اللّه حتى يبلغ مرحلة الصدّيقين والأولياء من عباد اللّه.

و (التوفيق) من هذه الرحمة الإلهية الهابطة على العباد ويتّبع هذه السنّة الإلهية. فكلّما ازداد الانسان إقبالاً على اللّه تعالى زاد حظّه من توفيق اللّه تعالى ورعايته.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في بيان هذه السنّة الالهية في علاقة التوفيق بالإقبال على اللّه والدين:

(كما أنّ الجسم والظلّ لايفترقان كذلك التوفيق والدّين لايفترقان)[19] والمعادلة القائمة بين علاقة اللّه تعالى بعبده وعلاقة العبد بربّه يحدّده قوله تعالى:

«**فاذكروني اذكركم**». (البقرة/ ١٥٢)

وفي مقابل (التوفيق) الخذلان وهو أن يتخلى اللّه تعالى عن عبده ويكله الى نفسه والى أهوائه وشهواته فيستفرد به الشيطان والهوى والطاغوت في ساحة الصراع الداخلي والخارجي، وليس ثَمَّة من ينصره أمام العدوّ من داخل نفسه وفي الخارج:

«**إن ينصركم اللّه فلا غالبَ لكم، و إنْ يخذلْكم فمن الذي ينصركم من بعده**»؟

(آل عمران/ ١٦٠)

إنّ الانسان ليقف في ساحة الصراع الملتهبة في مواجهة أعدائه من داخل نفسه (الهوى) وفي الخارج (الطاغوت) يتمتع بمعية اللّه تعالى وتأييده وتوفيقه فلن يغلب الشيطان ولا الهوى ولا الطاغوت، ماكان اللّه معه، وما كانت يد اللّه تؤيّده وتسدّده فإذا تخلّى عنه اللّه عزّ وجلّ وأحاله الى نفسه وأوكله اليها، استفرد به أعداؤه ولم يجد ناصراً ينصره وبان عجزه وضعفه عن المواجهة.

«**إنْ يخذُلْكُم فمن ذا الذي ينصُركُم مِن بعده**»؟

الهوامش:

(١) بحار الأنوار ٥/ ٩٧ و ١١٤ من نفس الجزء.
(٢)، (٣) غرر الحكم للآمدي.
* راجع سفينة البحار ٢/ ٦٧٥ مادة وفق والتعبير قريب ممّا ذكرناه.
(٤) الصحيفة السجادية الدعاء ٣٢ ص ١٧٢ النسخة المكتوبة بخط المرحوم الحاج أحمد الزنجاني.
(٥) بحار الأنوار ٥/ ١٩٨ الحديث رقم ١٧.
(٦) نفس المصدر ٥/ ١٩٨ الحديث رقم ١٨.
(٧) ـ (١٤): غرر الحكم للآمدي.
(١٥) بحار الأنوار ٥/ ٤٢ والآية الكريمة «وما توفيقي إلاّ باللّه عليه توكّلت واليه أُنيب» في سورة هود/ ٨٨.
(١٦) بحار الأنوار ٥/ ٢٠٩ ـ ٢١٠.
(١٧) بحار الأنوار ١٢/ ٣٥٣.
(١٨) بحار الأنوار ١٣/ ٣١ ـ ٣٢ وفروع الكافي ١/ ٣٥١ وفيه فإنّ موسى ذهب ليقتبس لأهله ناراً.
(١٩) غرر الحكم.

المدخل الى شخصيّة رسول الله «ص» وسيرته في القرآن «١»

الشيخ جعفر سبحاني

دار القرآن الكريم

كانت حياة النبي الأكرم(ص) منذ ولادته ونعومة أظفاره، وحتى ساعة رحلته ولقائه ربّه، طافحة بالحوادث زاخرة بالوقائع .

وقد لفتت تلك الحوادث والوقائع، أنظار المفكرين والباحثين ودفعتهم إلى ضبط كلّ جليل ودقيق منها، وهم بين مؤمنٍ بدينه ورسالته، وشريعته وكتابه، ومنكرٍ لصلته بالله سبحانه وبعثته من جانبه، ولكن مذعن لشخصيته الفذّة، وحياته المثالية، فلا تجد شخصية في التاريخ وقعت محطّاً للبحث والدراسة، ولفتت نظر الباحثين كشخصية رسول الاسلام(ص).

ولو أتيح لإنسان أن يقوم باستقصاء ما أُلّف حول حياته طيلة هذه القرون، او ماجادت به القرائح من القصائد والاراجيز لعثر على مكتبة ضخمة حافلة بآلاف الكتب والرسائل، والدواوين، ولأذعن ـ عندئذ ـ كلّ قريب وبعيد، وكلّ صديق ومناوىء، واعترف بأن رسول اللّه(ص) نسيج وحده، لم تسمع أذن الدنيا بأحد مثله، ولم تر عين الدهر نظيراً له.

وقد خدم المؤرخون، الأمة الاسلاميّة، بل البشرية جمعاء، بتآليفهم وتصانيفهم حول حياته ونفسيّته وجهوده ومساعيه، في سبيل إنقاذ البشرية من أغلال الوثنية والجنوح الى كلّ معبود سوى اللّه تعالى. غير أن نظر كلّ مؤلف كان إلى زاوية خاصة من زوايا حياته.

فمن باحثٍ عن أخلاقه المثالية، ورأفته وعبادته. وتهجّده وحسن سلوكه مع الناس، وامانته الممتازة التي أقرّ بها العدو

والصديق.

الى آخريتهم ببيان كيفية نزول الوحي عليـه، وقيـامـه ـ بمفرده ـ بنشر دعوته، والإجهـار برسـالتـه، والصمود في سبيل عقيدته، وتحمّل المشقّة، كالجبل الراسخ لاتحركه العواصف.

إلى ثالث يلقي الضـوء على الجـانب السياسّي من حياته فيجمع رسائله الموجَهة إلى الملوك والسـاسـة، ورؤسـاء القبائل، فألّف وثائقه السياسية ومكاتيبه ومواثيقه مع رؤساء القبائل.

إلى رابـع أعجبـه ذكـر مغازيه وبعثه للسرايـا وجهـاده المشركـين والمنـافقـين والخونة من أهل الكتاب.

إلى خامس ركـز اهتمامه على الجليل والدقيق من حيـاتـه من دون أن يجنـح لجانب دون جانب، فيكتب ماعثر عليه في هذه المجالات.

شكر اللّه مساعي الجميع حيث خدموا الشخصيّـة العـاليـة الوحيدة، والحلقة الأخيرة من سلسلة الأنبياء والمرسلين التي خصّها اللّه سبحانه بكتابه الخاتم ودينه الخالد، وشريعته الأبدية.

لقـد استنـد هؤلاء ـ في تصوير حياة النبيّ(ص) ووصف ماجـرى عليـه قبـل البعثية، وبعدها، أوما واجهه من الأحداث والوقـائـع ـ إلى الروايـات المـرويّـة عن الصحـابـة والتابعين الذين شاهدوا نور الرسالة، كما شاهدوا القضايا والحوادث بأم أعينهم.

ولكنّ هناك طريقاً آخر أمثل من الطريق الأول، لم يهتمّ به الباحثون اهتماماً كافياً ولازماً، وإن التفتوا اليه في بعض الأحايين، وهو الاستضاءة ـ في تدوين معالم حياته ـ بكتاب اللّه الكريم، المنزل على قلبه، ففيه تصريحات بمعالم حياته، وإشارات إلى خصوصياتها.

والكتـاب العـزيـز وإن لم يكن كتاب تاريـخ، بل هو كمـا يقول «هدىً للناس» كتـابُ هدىً لجميـع الناس إلى أن تقوم السـاعـة، ولكنـه ربما يتعرض في بعض المنـاسبات لخصوصيات حياته وأفعاله، وجـهـوده ومسـاعيـه، ومن خلال ذلك يستـطيـع الإنسان المتتبّع ان يستخرج صورةً وضّـاءةً لحيـاتـه، بالتدبّر في هذا القسم من الآيات ويقف على خلقه وسلوكه وسائر شؤونه. وبالتالي تتجلى لنا حياته من أوثق المصـادر وأمتنهـا فيرى القـارىء صورته في مرآة القرآن كما ترى سيرته في ثنايا الكتب والسير، مع الفارق الكبير بين الصورتين، والمرآتين.

وهذا ما نقوم به في هذه المقالات وننشره على صفحـات مجلة «رسالة القرآن» وأن نحن نعتـرف بأن هذا عبء لايقوم به إلا لجنـة تحقيقية تفسيريّة صالحة، تتناول الموضوع بصورة شاملة وموسّعة ومعمّقة،

غير أن الميسور لايسقط بالمعسور، وما نقوم به عمل فرديٌّ ليس له من المزايا ما للعمل الجَماعي، ولكن «ماكل مايتمنّى المرء يدركه».

نسأله سبحانه أن يوفقنا في هذا السبيل ويصوننا عن الزلل والخطأ في فهم كتابه، إنه مجيب الدعاء.

الشرائع السماوية موحَّدة جوهراً، مختلفة شكلاً

لقد تعلّقت مشيئة اللّه الحكيمة ببعث رجال صالحين لانقاذ البشريّة من الضلالة وسوقهم الى مراقى السعادة، وأنزل عليهم شرائع فيها أحكامه وتعاليمه، وهذه الشرائع وإن كانت يختلف بعضها عن بعض لكنها تحّد جوهراً وحقيقة، وتفترق صورةً وشكلاً كما يشير إليه قوله سبحانه: «**إنّ الدين عند اللّه الإسلام**» (آل عمران/ ١٩)، وقوله: «**ماكان إبراهيم يهوديّاً ولا نصرانيّاً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين**» (آل عمران/ ٦٧).

فالدين النازل من اللّه سبحانه إلى عامة البشر في جميع الأجيال والقرون أمر واحد، وهو الإسلام وقد أُمِر بتبليغه جميع رسله وأنبيائه من غير فرق بين السالفين واللاحقين.

هذا وقد يتفنّن القرآن الكريم في التعبير عن وحدة الشرائع من حيث الأصول والمبادىء، واختلافها شكلياً بتصوير الدين نهراً كبيراً يجري فيه ماء الحياة المعنوية، والأمم كلّها قاطنة على ضفَّة هذا النهر يردونه ويصدون عنه، آخذين منه حسب حاجاتهم واقتضاء ظروفهم. قال سبحانه: «**كلٍّ جعلنا منكم شِرعة ومنهاجاً، ولو شاء اللّه لجعلكم أمة واحدة**» (المائدة/ ٤٨).

فالحقيقة ماء عذب، والاختلاف في المشرعة والمنهل والطريق والمنهاج.

إن وحدة الشرائع جوهراً، واختلافها شكلاً وعَرَضاً لاتعني مايلوكه بعض الملاحدة من جواز التديّن بكل شريعة نازلة من اللّه سبحانه إلى أُمّة من الأمم في الأعصرِ السابقة حتى إنه يسوغ التدين بشريعة إبراهيم في زمن بعثة الكليم، أو التمسك بشريعة اليهود في عهد المسيح، أو التدين بالشرائع السابقة في عهد بعثة النبيّ الخاتم(ص)، بل المفروض على كلّ أمّة أن تتمسك بالشريعة التي جاء بها نبيّها، فلا يجوز لليهود سوى تطبيق التوراة، ولا للنصارى سوى العمل بما جاء به المسيح، ولا للأمة المتأخرة عنهما إلّا العمل بالقرآن والسنّة النبويّة، وذلك لأن للشكل والعرض سهماً وافراً في إسعاد الأمّة ورقيّها، فلكل أُمة قابليات ومواهب، فلا تسعدها إلّا الشريعة التي تناسبها وتتجاوب معها.

فرب أُمة متحضرة تناسبها سنن

وانـظمة خاصّة لاتناسب أُمة أُخرى، لم تبلغ شأوها في التكامل والتحضّر.

وهـذا هو السبب في اختلاف الشرائع السـمـاويـة في برامـجهـا العبـاديّـة والاجتمـاعيـة والسياسية والاقتصادية، فكانت كل شريعة كاملة بالنسبة إلى الأمّة التي نزلت لهـدايتهـا وإسعادها، ولكنها لاتتجـاوب مع حاجات الأمم المتأخرة ولا تكفي لإحيـاء قابلياتها وترشيد مواهبها، فكأن الأُمم التى خُصّت بالشرائع الإلهية تلاميذ صفوف مدرسة واحدة، وكلّ شريعة برنـامج لصفّ خاص، فما زالت البشرية ترتقي من صفٍّ إلى صفٍ، وتتلقّى شريعة بعد شريعة حتى تنتهي إلى الصفّ النهائيّ والشريعة الأخيرة التي لاشريعة بعدها، وقد اوضحنا حقيقة ذلك الأمر عند البحث عن الخاتمية[1].

النبيّ الخـاتم وأخـذ الميثـاق من النبيّين على الإيمان به ونصره

إن وحدة الشرائع في الجوهر والحقيقة أدّت إلى أخـذ الميثـاق من النبيّـين بأنه سبحـانـه مهمـا آتاهم الكتاب والحكمة، وجـاءهم رسـول مصـدّق لما معهم يجب عليهم الإيمان به ونصره، بل أخذ الأصر من أُممهم على ذلك فكان من وظائف كلّ رسول تصديق النبيّ اللاحق والإيمان به، ونصره، عن طريق التبشـير به وأمر أُمّته بتلبية دعوته ـ اذا أدركوه ـ فعلى ذلك أخذ سبحـانه من إبراهيم الخليل ذلك العهد بالنسبـة الى الكليم، ومن الكليم بالنسبة إلى المسيح، ومنه على النبيّ الخاتم، وعلى وجهٍ أخذ الميثاق من الجميع على الإيمان بنبـوّة النبيّ الخـاتم ونصره والتبشير به ودعوة أُممهم إلى تصديق دعوته والإقرار بها.

والمعاصرون للأنبياء السابقين وإن لم يدركـوا عصر النبيّ الأكـرم غير أن ذلك الهتـاف العـالمي وصـل إلى أخـلافهم وأولادهم فوجب عليهم تلبية النبيّ بإيصاءٍ من أنبيـائهم وهـذا هو المتبادر من قوله سبحـانـه: **«واذ اخذ اللّه ميثاق النبيّين لما آتيتكم من كتـاب وحكمـة ثم جاءكم رسـول مصـدّق لما معكم لتـؤمنُنّ به ولتنصرنّـه قال اأقررتم واخذتم على ذلكم إصري. قالوا اقررنا. قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين»** (آل عمران/ ٨١).

وظهـور الآيـة فيمـا ذكرناه من أخذ الميثـاق من كلّ متقـدّم للمتـأخـر، ومن الجميع للمتأخر يتوقف على تفسير الآية وتحليلها جملة بعد جملة:

١ ـ قوله: **«وإذْ اخذ اللّه ميثاق النبيّين»**.

إن المراد من النبيّين هم المأخوذ منهم الميثـاق، ويـدلّ على ذلك قوله: **«اأقـررتم وأخذتم على ذلك إصري؟ قالوا أقررنا. قال**

فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين».

غير أنّ النبيّ الواقع في أول السلسلة يتمحّض في أنه مَن أُخِذَ منه الميثاق كنوح عليه السلام فإنه ضمن بُدِيء به نزول الشريعة، وهداية الناس وتعريفهم بوظائفهم وتكاليفهم السماوية كما أن النبيّ الواقع في آخر السلسلة يتمحّض في أنه ممن أُخِذَ له الميثاق؛ لأنّ المفروض أنه لا نبيّ بعده.

وأما الأنبياء الواقعون في ثنايا السلسلة فهم على وجهٍ أَخذ منهم الميثاق وعلى وجه آخر مأخوذ لهم الميثاق.

فالكليم مأخوذ منه الميثاق للمسيح ومأخوذ له الميثاق من الخليل. وهكذا.

٢ـ قوله: «**لما آتيتكم من كتاب وحكمة... لتؤمنن به ولتنصرنّه**».

إن «ما» في هذه الجملة اشبه بالشرطية من الموصولة لوجود «اللام» في جزائها والمعنى: مهما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدِّق لما معكم لتؤمننَّ به ولتنصرنّه.

والآية تهدف إلى أن اللّه سبحانه أخذ من الأنبياء الميثاق بأنه لو جاء رسول اليهم مصدّق لدعوتهم إلى التَوحيد ورفض الوثنية والإقرار بعبودية الكل للّه تعالى يلزم عليهم أمران:

الأول: الإيمان بهذا الرسول القادم.

الثاني: نصره.

فكأنّ إيتاء الكتاب والحكمة يلازم ـ عند تطابق الدعوتين ـ الإيمان بالداعي اللاحق ونصرته، وعلى ذلك فالضميران المجرور والمنصوب في قوله «لتومننّ به ولتنصرنّه» عائدان إلى الرسول الجائي.

٣ـ قوله: «**أأقررتم وأخذتم على ذلك إصري**».

يعرب هذا عن أنه سبحانه لم يأخذ الميثاق من النبيّين وحدهم بل فرض عليهم أخذ الميثاق من أممهم على ذلك ولأجل ذلك يخاطبهم بقوله: أأقررتم أنتم يامعشر النبيّين، وهل أخذتم على ذلك عهدي؟، فأجابوا بالإقرار.

وإنما اقتصر في الجواب بإقرار الانبياء فقط ولم يذكر أخذ الإصر من أُممهم للاكتفاء بقوله «**فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين**» عن ذكر أخذ الإصر من أُممهم، لظهور الشهادة في أنها على الغير، فاذا كان اللّه سبحانه، مع أنبيائه، شهوداً فيجب أن يكون هناك مشهود عليهم وهو أُممُهم.

فظهر أن الآية تهدف إلى أخذ العهد والإصر من الأنبياء، وأُممِهم على الإيمان والنصرة.

فاذا راجعنا القرآن الكريم نرى أن المسيح قام بمسؤوليته الكبيرة حيث بشّر بالنبيّ وقال ـ كما حكي عنه سبحانه ـ: «**وإذْ قال عيسى بن مريم يابني إسرائيل إني رسول اللّه اليكم مصدّقا لما بين يديّ**

من التوراة. ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين» (الصف/ ٦).

وليس المسيح نسيج وحده في هذا المجال بل الأنبياء السابقون قاموا بنفس هذه الوظيفة، يقول سبحانه: «**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحقّ وهم يعلمون**» (البقرة/ ١٤٦) والضمير في «يعرفونه» يرجع إلى النبيّ الاكرم وهو المفهوم من سياق الآية بشهادة تشبيه عرفانهم إياه بعرفان أبنائهم.

وما زعمه بعض المفسرين من أن الضمير راجع إلى الكتاب الوارد في الآية لايناسب هذا التشبيه، والآية بصدد بيان أنهم يعرفون النبيّ بما في كتبهم من البشارة به ومن نعوته وأوصافه وصفاته التي لاتنطبق على غيره، وبما ظهر من آياته وآثار هدايته كما يعرفون أبناءهم الذين يتولّون تربيتهم وحياطتهم حتى لايفوتهم من أمرهم شيء. قال عبد اللّه بن سلام، وكان من علماء اليهود واحبارهم. أنا أعلم به منيّ بابني[٢].

فالمراد من أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وكانت الأغلبية في المدينة لليهود، والآية تعرب عن أن الكليم قام بنفس ماقام به المسيح من التعريف بالنبيّ الخاتم حتى عرّفهم النبي الخاتم بوجه واضح عرفته به أُمته عرفانها بأبنائها.

وعلى ضوء ذلك فالدين السماويّ دين مُوحَّد، والمبلّغون له رجال صالحون، متلاحقون، موحَّدون في الهدف والغاية، مختلفون في الشريعة والمنهل، والجميع يبشرون بالحلقات التالية بأمانة وصدق، وإخلاص.

وهذه الآية وإن كانت تركّز على أخذ الميثاق من السابقين على اللاحقين، ولكن الآية التالية تعرب عن فحوى الكلام، على أن المتأخر أيضاً كان مأموراً بتصديق السابق، ولأجل ذلك قال المسيح عند بعثته: «**مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة**» (الصف/ ٦) وقد أمر النبيّ وأمته بالإيمان بما أُنزل على من سبقه من الأنبياء، وقال سبحانه: «**قل آمنّا باللّه وما أُنزل علينا وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربّهم لانفرّق بين احد منهم ونحن له مسلمون**» (آل عمران/ ٨٤).

ثم إن القرآن الكريم يذكر ذلك الميثاق، في آية أُخرى على وجه الاختصار، ويقول: «**وإذْ اخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك[٣] ومن نوح و إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً**» (الأحزاب/ ٧).

إنّ إضافة الميثاق إلى النبيّين

(ميثاقهم) يعرب عن كون المراد من الميثاق هو الميثاق الخاصّ بهم، كما أن ذكرهم بوصف النبوّة مشعر بذلك، فهناك ميثاقان:

ميثاق مأخوذ من عامّة البشر وهو الذي يشير إليه قوله: «**وإذْ أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم وذريتَهم وأشهدهم على أنفسِهم ألستُ بربِّكم قالوا بلى**» (الأعراف/ ١٧٢).

وميثاق مأخوذ من النبيّين خاصة بما أنهم أنبياء وهو الذي تدل عليه هذه الآية، وهي وإن كانت ساكتة عن متعلّق الميثاق لكن تبيّنه الآية السابقة وهو أخذ الميثاق من النبيّين عامة على أنه إذا جاءهم رسول مصدّق لما معهم يفرض عليهم الإيمان به والنصرة له.

هذا وإن الهدف الأسمى من فرض الإيمان والنصرة هو تأييد بعضهم ببعض حتى تستقرّ في ظلّ وحدة الكلمة، كلمة التوحيد في المجتمع البشريّ ويكون الدين كلّه للّه سبحانه كما قال: «**وإنَّ هذه أُمتُكم أُمّةً واحدةً وأنا ربُّكم فاعبدونِ**» (الأنبياء/ ٩٢).

وقال: «**شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً وما أوحينا اليك. وما وصَّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**...» (الشورى/ ١٣).

ولأجل اتفاق الأنبياء في الهدف والغرض يعدُّ سبحانه قوم نوح مكذبين للمرسلين قال: «**كَذّبت قوم نوح المرسلين إذْ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون**» (الشعراء/ ١٠٥ ـ ١٠٦). مع أنهم لم يُكذِّبوا إلّا واحداً منهم وهو نوح عليه السلام، وذلك لأجل أن دعوتهم واحدة وكلمتهم متفقة على التوحيد فيكون المكذّب للواحد منهم مكذّباً للجميع، ولذا عدّ اللّه سبحانه الإيمان ببعض رسله دون بعض كفراً بالجميع قال تعالى: «**إن الذين يكفرون باللّه ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين اللّه ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلاً أُولئك هم الكافرون حقا**» (النساء/ ١٥١)[٤].

وبما أن رسالة النبيّ الخاتم(ص) رسالة عالميّة خاتمة لجميع الرسالات، أخذ عن جميع الأنبياء الميثاق على الإيمان به ونصرته والتبشير به ليسدّ باب العذر على جميع الأمم حتى يتذلّل الكلّ تحت لواء رسالته، ويسير البشر عامّة تحت قيادته إلى السعادة.

ويشهد على ماذكرنا ما روي عن الإمام أمير المؤمنين(ع) قال: إن اللّه أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبيّنا أن يخبروا أُممهم بمبعثه ورفعته ويبشروهم به ويأمروهم بتصديقه[٥].

وروى الطبريّ والسيوطي عن عليّ(ع)

أنه قال: لم يبعث اللّه نبيّاً، آدم فمن، بعده، إلّا أخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حيّ ليؤمنَنَّ به ولينصَرنّه، وأمره بأن يأخذ العهد على قومه ثم تلا هذه الآية: «**وإذْ أخذ اللّه ميثاق النبيّينَ لَما آتيتُكم من كتاب وحكمة...**»[٦].

ويظهر من بعض الروايات أنه أخذ الميثاق عنهم علّي وصّي النبيّ الخاتم.

روى المحدّث البحرانّي عن الصادق(ع) أنه قال: لم يبعث اللّه نبيّاً ولا رسولاً إلّا وأخذ عليه الميثاق لمحمّد بالنبوّة ولعلّي بالإمامة[٧].

وتخصيص الميثاق في هذه الروايات بالإيمان بالنبيّ الخاتم لاينافي ماذكرنا من عمومية مفاد الآية، وأنها تعمّ جميع الأنبياء فالمتقدّم منهم كان مفروضاً عليه التبشير بالمتأخّر عن طريق الإيمان به ودعوة أُمّته إلى نصرته، واقتفائه كائناً من كان، لكنّ وجه التخصيص في تلك الروايات بالنبيّ الخاتم، لأجل وقوعه آخر السلسلة وبه ختم باب وحي السماء إلى الأرض، فكأنّ الكلّ بعثوا للتبشير به والدعوة إلى الإيمان به ونصرته.

بشائر النبيّ الأكرم في الكتب السّماويّة

لاتجد انساناً سالماً في نفسه وفكره يقبل دعاوى الآخرين بلا دليل يثبتها، وهذا أمر بديهيّ فطريّ جبل الانسان عليه، يقول الشيخ الرئيس: «مَنْ قبل دعوى المدّعي بلا بيّنة وبرهان فقد خرج من الفطرة الاسلاميّة»[٨].

وعلى هذا فيجب أن تقترن دعوى النبوّة بدليل يثبت صحتها وإلّا كانت دعوى فارغة غير قابلة للإذعان والقبول، لكن طرق التعرف على صدق الدعوى ثلاثة:

١ـ التحدي بالأمر الخارق للعادة على الشرائط المقرّرة في محله (الإعجاز).

٢ـ تصديق النبيّ السابق بنبوّة النبيّ اللاحق.

٣ـ جمع القرائن والشواهد من حالات المدّعي، والمؤمنين به ومنهجه والأداة التي استعان بها في نشر رسالته، إلى غير ذلك من القرائن التي تفيد العلم بكيفية دعوى المدّعي صدقاً وكذباً.

وقد استدل القرآن على صدق النبيّ الخاتم بتنصيص أنبياء الأمم على نبوته، وقد عرفت تنصيص المسيح عليه بالاسم والتبشير به[٩]، كما عرفت أن سماته الواردة في العهدين كانت من الكثرة والوفور الى درجة كانت الأُمم تعرفه على وجه دقيق كما تعرف ابناءها[١٠].

وقد صّرحَ القرآنُ بأنّ أهل الكتاب يجدون اسم النبيّ الأكرم مكتوباً في التوراة والإنجيل، قال عزّ من قائل: «الذين

يتَّبعون الرسول النبيَّ الاميَّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإِنْجيل يأمرُهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر» (الأعراف/ ١٥٨).

وقد آمن كثير من اليهود والنصارى بنبوّة النبيّ الخاتم في حياته ومماته لصراحة البشائر الواردة في التوراة والإنجيل، بل لم يقتصر سبحانه على ذكر اسمه. وسماته في العهدين، بل ذكر سمات أصحابه وقال: «**محمّد رسول اللّه والذين معه أشدّاء على الكفار رحماءُ بينهم تراهم رُكَّعاً سُجَّداً يبتغون فضلاً من اللّه ورضواناً سيماهم في وجوههم من اثر السُّجودِ ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار. وعد اللّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما**»

كما لم يقتصر على أخذ العهد من النبيّين ببيان البشائر به، بل أخذ الميثاق من أهل الكتاب على تبيين بشائره للناس وعدم كتمانها. قال سبحانه «**وإذْ أخذ اللّه ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننُّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون**» (آل عمران/ ١٨٧).

وهذه الآية تؤيد ما استظهرناه من قوله سبحانه «**وإذا أخذ اللّه ميثاق النبيّين لما آتيتُكم من كتاب وحكمة... وأخذتم على ذلك إصري...**»، وأنَّ أخذ الميثاق لم يكن مختصّاً بالأنبياء، بل أخذ سبحانه الميثاق من أُممهم بواسطتهم، ومما أخذ منهم الميثاق عليه هو تبيين سمات الرسول الخاتم وعدم كتمانها.

وقد كان ظهور النبيّ الأكرم بين الأميّين على وجه كان اليهود يستفتحون به على مشركي الأوس والخزرج وكانوا يقولون لمن ينابذهم: هذا نَبيّ قد أطلّ زمانه ينصرنا عليكم قال سبحانه: «**ولما جاءهم كتاب من عند اللّه مصدّق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا، كفروا به فلعنة اللّه على الكافرين**» (البقرة/ ٨٩).

روى الطبرسّي عن معاذ بن جبل وبشر بن البراء أنهما خاطبا معشر اليهود وقالا لهم: إتقوا اللّه وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل الشرك وتصفونه وتذكرون أنه مبعوث، فقال سلام بن مسلم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه وماهو بالذي كنّا نذكر لكم، فنزلت هذه الآية[١١].

وعن الإمام جعفر الصادق(ع) أنه لما كثر الحيّان (الأوس والخزرج) بالمدينة، كانوا يتناولون أموال اليهود، فكانت اليهود تقول لهم: أما لو بعث محمد لنخرجنكم من

ديارنا وأموالنا، فلما بعث اللّه محمداً صلّى اللّه عليه وآله آمنت به الأنصار، وكفرت به اليهود، وهو قوله تعالى: «**وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا**»[12].

وبالرغم من أخذ الميثاق من الأمم، وبالرغم من تعرف تلك الأمم على النبيّ الخاتم، عمد أصحاب الأهواء منهم إلى كتمان البشائر به، وإخفاء علائمه، وسماته الواردة في كتبهم كما يقول سبحانه: «**إنَّ الذين يكتمون ما أنزل اللّه من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك مايأكلون في بطونهم إلّا النار ولايكلّمهم اللّه يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**» (البقرة/ ١٧٤).

وقال سبحانه: «**إنَّ الذين يكتمون ما انزلنا من البيّنات والهدى من بعدما بيّنّاه للناس في الكتاب، أولئك يلعنهم اللّه ويلعنهم اللّاعنون**» (البقرة/ ١٥٩).

والمعنيّ بالآية نظراء كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وابن صوريا وغيرهم من علماء الهيود والنصارى الذين كتموا أمر محمد ونبوته وهم يجدونه مكتوباً في التوراة والإنجيل مثبتاً فيهما[3].

قال العلامة الطباطبائيّ: المراد بالكتمان وهو ـ الإخفاء ـ أعم من كتمان أصل الآية وعدم إظهارها للناس أو كتمان دلالتها بالتأويل أو صرف الدلالة بالتوجيه كما كانت اليهود تصنع ببشارات النبوة ذلك. فما يجهله الناس لايظهرونه، وما يعلم به الناس يؤوّلونه بصرفه عنه (ص)[14].

وقال سبحانه: «**وقد أخذ اللّه ميثاق الذين أُوتوا الكتاب لتبيّنُنَّهُ للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون**» (آل عمران/ ١٨٧).

والضمير في «لتبيّنَنَّه» إما عائد الى النبيّ الخاتم المفهوم من سياق الآية، او إلى الكتاب المذكور قبله، وعلى كل تقدير يدخل في الآية بيان أمر النبيّ لآنه في الكتاب، والظاهر أن الآية مطلقة تعمُّ كلَّ ما يكتمونه من بيان الدين والأحكام والفتاوى والشهادات.

النبيّ الأكرم ودعاء الخليل:

أمر سبحانه إبراهيم الخليل بتعمير بيته، وقد قام الخليل بما أمر، بمساهمة فعليّة من ابنه «إسماعيل»، وقد حكى سبحانه دعاءه عند قيامه بهذا العمل وقال: «**وإذْ يرفع إبراهيم القواعدَ من البيتْ وإسماعيل رَبَّنا تقبّلْ منّا إنَّك أنت السميعُ العليم. رَبَّنا واجعلْنا مسلمَيْنِ لك ومن ذُرّيَّتنا أمةً مسلمةً لك وأرنا مناسكَنا وتُبْ علَينا إنَّك أنتَ التوّابُ الرحيم. رَبَّنا وابعث فيهم رسولاً منهم يلتوعليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك**

أنت العزيز الحكيم» (البقرة/ ١٢٩).

فقد دعا إبراهيم لذريته من نسل إسماعيل القاطنين في مكة وحواليها، ولم يبعث سبحانه من تتوفّر هذه الأوصاف الواردة في الآية من تلاوة الآيات وتعليم الكتاب والحكمة والتزكية سوى النبيّ الأكرم محمدّ (صلّى اللّه عليه وآله).

والآية تدل على أنَّ إبراهيم وإسماعيل دعوا لنبيّنا بجميع شرائط النبوَّة لأنَّ تحت التلاوة الاداءَ، وتحت التعليم البيانَ، وتحت الحكمة السنّة، ودعوا لأمَّتة باللطف الذي لأجله تمسكوا بكتابه وشرعه فصاروا ازكياء. وبما أنَّ المرافق والمشارك في الدعاء مع إبراهيم هو ابنه فيجب أن يكون النبيُّ من نسل إبراهيم من طريق ابنه، ولم يكن في ولد إسماعيل نبيٌّ غيرُ نبيّنا (ص) سيّد الأنبياء[1].

وقد استجاب اللّه سبحانه دعاء الخليل وابنه إذْ بعث في ذرّيته رسولاً وقال: **«لقد مَنّ اللّه على المؤمنين إذْ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإنْ كانوا من قبل لفي ضلال مبين»** (آل عمران/ ١٦٤).

وقال تعالى: **«هو الذي بعث في الأُمّيّين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإنْ كانوا من قبل لفي ضلالٍ مُبين»** (الجمعة/ ٢).

ولقد نقَّبَ علماءُ الاسلام في العهدين (التوراة والانجيل) وجمعوا البشارات الواردة فيهما على وجه التفصيل ومن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى الكتب المعدّة لذلك[١٥]، ونحن نعرض عن نقل تلكم البشائر في هذه الصحائف لأنّ نقلها يوجب الإسهاب في الكلام والخروج عن وضع المقال.

ثقافة قومه وحضارة بيئته

إنّ الانسان مهما بلغ من الكمال لايستطيع أن يجرّد نفسه وفكره، ومنهجه الإصلاحيّ عن معطيات بيئته، فهو يتأثر عن لاشعور بثقافة قومه، وحضارة موطنه، ولكن إذا راجعنا تفكير إنسان وعقليته فوجدناها منقطعة عن تأثيرات الظروف التي نشأ فيها، ومباينة لمقتضياتها، بل كانت على النقيض منها، نكتشف أنّ لما جاء به من التشريع والتقنين ولما قدمه إلى أُمّته من مبادىء الاصلاح جذوراً سماويّة غير خاضعة لثقافة قومه، وتقاليد قبيلته.

وهذا هو ما نجده في ما حَمله رسول الاسلام إلى قومه وإلى البشرية جمعاء من عقائد وأخلاق وتشريعات.

وللوقوف على هذه الحقيقة نقدّم عرضاً خاطفاً عن حياة العرب في عصره قبل ميلاده وبعده، ومن المعلوم أن الإسهاب في ذلك يتوقف على الغور في التاريخ والسيرة

وهو خارج عن هدفنا، بل نقدّم موجزاً مما يذكره القرآن عن حياتهم المنحطّة البعيدة عن الحضارة، وستقف، أيها القارىء الكريم، من خلال ذلك على أنّ الذي جاء به رسول الإسلام الكريم من عقائد وأخلاق وسنن تضادُّ مقتضيات ظروفه، فهو بَدَلَ أن يؤكّد تفكير قومه وطقوس قبيلته وتقاليد وسطه، الذي كان يعيش فيه، بدأ يكافحها ويفنّدها بالأسلوب المنطقي.

لقد نشأ رسول اللّه(ص) بين قومه وقد كانوا منقطعين عن الأنبياء، وبرامجهم حيث لم يبعث فيهم نبي قال سبحانه في هذا الصدد: «**ولكن رحمة من ربك. لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلّهم يتذكرون**» (القصص / ٤٦) ويقول تعالى: «**أم يقولون افتراه بل هو الحقّ من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلّهم يهتدون**» (السجدة/ ٣) وقال سبحانه: «**لتنذر قوماً ما أُنذِرَ آباؤهم فهم غافلون**» (يس/ ٦).

وهذه الآيات تعرب عن أن أمّ القرى وما حولها لم يُبعَث فيها أيّ بشير أو نذير، والآيات تعني هذه المناطق والقاطنين فيها، ولا تعني العرب البائدة التي بعث فيها أنبياء عظام كهود وصالح، وشعيب، ولاعامة المناطق في الجزيرة العربية ولا عامة القبائل من القحطانيّين والعدنانيّين، وقد كان فيهم بَشير ونذير كخالد بن سنان العبسي وحنظلة على مافي بعض الروايات والأخبار.

ومن المعلوم أنّ الأمة البعيدة عن تعاليم السماء خصوصاً في العصور البعيدة التي كانت المواصلات فيها ضعيفة بين الأمم، وكانت عقلية البشرية في غالب المناطق قاصرة عن تنظيم برنامج ناجح للحياة الإنسانيّة، فحياتهم لاتتعدّى حياة الحيوانات، بل الوحوش في الغابات. ولا يكون لهم من الانسانية شيء إلّا صورتها، ولا من الحضارة إلّا رسمها.

وهذا هو القرآن يصفهم بأنهم كانوا على شفا حفرة من النار، ولم يكن بين سقوطهم واقتحامهم فيها الا خطوات ودقائق بل لحظات لولا أن النبيَّ الأكرم أنقذهم من النار. قال تعالى: «**واعتصموا بحبل اللّه جميعاً ولاتفرقوا واذكروا نعمة اللّه عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حُفرة من النار فأنقذكم منها**»(آل عمران/ ١٣٠).

وقد تضمّنَ قوله سبحانه: «**واعتصموا بحبل اللّه**» استعارة بليغة حيث صُوّر قوم النبيّ كالساقطين في قعر هوّة سحيقة لايقدرون على الخروج، وفي يد النبيّ حبل ألقاه في قعر تلك الهُوَّة يدعوهم إلى التمسّك به حتى يستنقذهم من الهلكة.

هذا مايصف به القرآن الكريم بيئة

النبيّ وعقلية عشيرته على الوجه الكليّ، ولكنه يصفهم في الآيات الأخر بالانحطاط والانهيار بشكل مفصّل.

وإليك بيان ذلك في ضوء الآيات القرآنية:

١ـ الشرك أو الدين السائد

كان الدين السائد على العرب في الجزيرة العربية عامة، ومنطقة أمّ القرى خاصّة، هو الشرك باللّه سبحانه، فهم وان كانوا موحِّدين في مسألة الخالقية، وكان شعارهم هو أنّ اللّه هو الخالق للسماوات والأرض، ولكنهم كانوا مشركين في المراحل الأخر للتوحيد.

أما كونهم موحِّدين في مجال الخالقيّة فلقوله سبحانه «**ولئن سألتهم مَن خلق السماوات والأرض ليقولنّ اللّه**» (لقمان/ ٢٥)[١٦].

وأما كونهم مشركين في المراتب الأخرى للتوحيد فيكفي في ذلك كونهم مشركين في أمر الربوبيّة وتدبير العالم وهو أنّ الوثنية دخلت مكة وضواحيها، بهذا اللون من الشرك (الشرك في الربوبيّة).

روى ابن هشام عن بعض أهل العلم أنه قال: كان عمرو بن لحي أوّل من أدخل الوثنيّة إلى مكة ونواحيها فقد رأى في سفره إلى البلقاء من أراضي الشام أناساً يعبدون الأوثان وعندما سألهم عما يفعلون قالوا: هذه أصنامنا نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم أفلاتعطونني منها فأسير بها إلى أرض العرب فيعبدوه فاستصحب معه إلى مكة صنماً باسم «هُبَل» ووضعه على سطح الكعبة المشّرفة ودعى الناس الى عبادتها[١٧].

وأما الشرك في العبادة فقد كان يعمّهم قاطبة إلاّ أُناساً لايتجاوز عددهم عدد الأصابع فالاغلبية الساحقة كانوا يعبدون الأصنام مكان عبادته سبحانه زاعمين أن عبادتهم تقرّبهم إلى اللّه. قال سبحانه: «**والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبد هم إلاّ ليقربونا إلى اللّه زلفى إنّ اللّه يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون**» (الزمر/ ٣) والقرآن شدّد النكير على فكرة الشرك اكثر من كل شيء، وفنّدها بأساليب علميّة وعقلية وربّما يصوّر واقع الشرك ووضع المشرك ببعض التشبيهاتِ البليغة التي تقع في النفوس بأحسن الوجوه. قال سبحانه: «**مثل الذين اتخذوا من دون اللّه أولياء كمثل العنكبوت اتخذ بيتاً وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون**» (العنكبوت/ ٤١) وقال تعالى: «**ومن يشرك باللّه فكانما خرّ من السماء فتخطّفه الطَير او تهوي به الريح في مكان سحيق**» (الحج/ ٣١).

فالمعتمد على الحجر والخشب الذي

لايبصر ولا يسمع ولا ينفع ولا يضر كالمعتمد على بيت العنكبوت الذي تخرقه قطرة ماء وتحرقه شعلة نار وتكسحه هبّة ريح.

٢ـ إنكار الحياة بعد الموت

الاعتقاد بالحياة بعد الموت هو الرصيد الكامل للتديّن وتطبيق العمل على الشريعة، ولكن العرب كانت تنزعج من نداء الدعوة الى الإيمان، لأن الإيمان بالحياة المستجدّة يستدعي كبح جماح الشهوات، ووضع السدود والعوائق دون المطامح والمطامع، واين هذا من نزعة الأمة المتطرفة التي لاتهمها إلا غرائزها الطاغية ورغباتها الجامحة.

وبما ان ذكر الموت والحياة بعده يلازمان الحساب والجزاء، ولهذا، كان العرب يقابلون النبيّ بالسبّ والشتم واتهامه بالجنون، لأجل إنبائه عن أمر غير مقبول وحادث غير معقول لديهم، قال سبحانه: **«وقال الذين كفروا هل ندلّكم على رجل ينبئكم اذا مزّقتم كُلَّ ممزَّق اِنّكم لفي خلق جديد. افترى على اللّه كذباً ام به جنّة بل الذين لايؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد»** (سبأ/ ٧ ـ ٨).

٣ـ عقيدتهم في الملائكة والجنّ

ومن عقائدهم أنّ الملائكة بنات اللّه سبحانه وفي الوقت نفسه كانوا يكرهون البنات لأنفسهم، يقول سبحانه: **«ألرّبك البنات ولهم البنون. أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد اللّه. وإنهم لكاذبون. أصطفى البنات على البنين. مالكم كيف تحكمون»** (الصافات/ ١٤٩ ـ ١٥٤).

والآية تردّ عليهم وتفنّد عقيدتهم بوجوه:

١ـ أن تصوير الملائكة بناتٍ للّه سبحانه يستلزم تفضيلهم عليه سبحانه ـ حسب عقيدتهم ـ لأنهم يفضّلون البنين على البنات ويشمئزون منهن ويئدونهن فكيف تجعلون البنات للّه؟ وإليه اشارة بقوله: **«ألربّك البنات ولهم البنون»**؟

٢ـ إنهم يقولون شيئاً لم يشاهدوه فمتى شاهدوا الأنوثة للملائكة وإليه يشير بقوله: **«أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون»**.

٣ـ إن توصيف الملائكة بناتٍ للّه يستدعي أنه سبحانه ولدهنّ وهو منزه عن الإيلاد والاستيلاد واليه يشير قوله **«ليقولون ولد اللّه وإنّهم لكاذبون»**.

ثم إنهم كانوا يتخيّلون وجود نسب بين اللّه والجنّ. والوحي يحكي ذلك على وجه الإجمال قوله سبحانه: **«وجعلوا بينه وبين الجنّة نسباً ولقد علمت الجنّة إنهم لمحضرون»** (الصافات/ ١٥٩) وقد ذكر

المفسرون وجوهاً مختلفة لتبيين ذلك النّسب أظهرها بالاعتبار أنهم قالوا: صاهر اللّه الجنَّ فوجدت الملائكة. تعالى اللّه عن قولهم[١٨].

٤ـ سيادة الخرافات

إنَّ الأمّة البعيدة عن تعاليم السماء وهداية الأنبياء يعيشون ـ غالباً ـ في خضّم الخرافة، ويستريحون في مجال العقيدة إلى الأساطير والقصص الخرافية، وكذلك كانت الأُمّة العربية عصر نزول القرآن، فقد كانت غارقة في الخرافات، والأساطير، وقد جمع «الآلوسي» تقاليدهم الاجتماعية وطقوسهم الدينية في كتابه **«بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب»** حيث يجد القارىء فيها تلّا من الأوهام، والخرافات، وقد ذكر القرآن الكريم نماذج من عقائدهم، ونحن نشير إلى بعض ما وقفنا عليه في القرآن:

أـ كانت العرب في عصر حياة النبيّ قبل البعثة تحكم على بعض الأصناف من الانعام بأحكام خاصة تنشأ عن نيّة التكريم وقصد التحرير لها، غير أنَّ تلك الأحكام كانت تؤدّي الى الإضرار بالحيوان، وتدميره وموته عن جوع وعطش. وقد حكى سبحانه تلك الأحكام عنهم وقال: **«ما جعل اللّه من بَحيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وصيلةٍ ولا حامٍ ولكن الذين كفروا يفترون على اللّه الكذبَ واكثرهُم لايعقلون»** (المائدة/ ١٠٣).

والآية تعرب عن أنهم كانوا ينسبون أحكامهم في هذه الحيوانات والأنعام الأربعة إلى اللّه سبحانه، ولأجل ذلك وصف سبحانه تلك النسبة بالافتراء عليه، وثلاثة منها أعني «البحَيرة» و «السائبة» و «الحامي» من الإبل والأخيرة من الشاة، وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الكلمات، ولكن الجميع يشتركون في أنّ الأحكامَ المترتبة عليها كانت مبنيّة على تحريرها والعطف عليها ونحن نذكر تفسيراً واحداً لهذه الكلمات ومن أراد التبسّط والتوسّع فليرجع إلى كتب التفسير.

١ـ **«البَحِيرة»**: هي الناقة إذا نَتَجت خمسة أبطُن، وكان آخرها ذكراً شقّوا أُذُنها شقاً واسعاً وامتنعوا من ركوبها ونحرها، ولا تُطرد عن ماء، ولاتُمنع عن مرعى فاذا لقيها المُعيي لم يركبها.

٢ـ **«السائبة»**: وهي ماكانوا يسيّبونه من الإبل فاذا نذر الرجل للقدوم من السفر او للبراء من علة او ما أشبه ذلك قال. ناقتي سائبة، فكانت كالبحَيرة في أنّها لاينتفع بها، ولا تطردَ عن ماء ولا تمنَع عن مرعى.

٣ـ **«الحامي»**: وهو الذكر من الإبل. كانت العرب إذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يحمل

عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى.

٤ـ «**الوَصيلة**»: وهي في الغنم كانت الشاة اذا ولدت أُنثى فهي لهم وإذا ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم[١٩]

وقد اشار القرآن إلى أن الدافع لاتباع هذه الأحكام حتى بعد نزول الوحي هو تقليد الآباء، وقد اشار إليه بقوله: «**وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما انزل اللّه وإلى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا. اولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون**» ؟ (المائدة/ ٤).

ثم إنَّ هذه الأحكام وإنّ كانت لغاية تسريحها وإظهار العطف عليها لكنها كانت تؤدّي بالمآل إلى موتها وهلاكها عن جوع وعطش لِأنّ تسريحها في البوادي والصحاري من دون حماية راع ولا رائد كان ينقلب إلى هلاكها.

ب ـ إن القرآن الكريم يحكي عن العرب المعاصرين لنزول الوحي خرافة أُخرى في مجال الأطعمة إذْ قال سبحانه: «**وجعلوا للّه مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا: هذا للّه بزعمهم وهذا لشركائنا، فما لشركائهم فلا يصل إلى اللّه وما كان للّه فهو يصل إلى شركائهم، ساء مايحكمون**» (الأنعام/ ١٣٦).

والآية تحكي عن أنّ المشركين كانوا يُخرجون من الزرع والمواشي نصيباً للّه ونصيباً للأوثان فما كان للأصنام: لايصل إلى اللّه، وما كان للّه فهو يصل إلى الأصنام.

وقد اختلف المفسرون في كيفية هذا التقسيم الجائر، فنذكر تفسيراً واحداً:ـ

قالوا: إنهم كانوا يزرعون للّه زرعاً، وللأصنام زرعاً وكان إذا زكى الزرعُ الذي زرعوه للّه ولم يزكُ الزرع الذي زرعوه للأصنام جعلوا بعضه للأصنام وصرفَوه إليها ويقولون إنَّ اللّه غنيّ، والأصنام أحوج، وإن زكى الزرعُ الذي جعلوه للأصنام ولم يزكُ الزرع الذي زرعوه للّه، لم يجعلوا منه شيئاً للّه وقالوا هو غنيّ وكانوا يقسمون النَّعَمَ فيجعلون بعضه للّه وبعضه للأصنام فما كان للّه اطعموه الضيفان وما كان للصنم أنفقوه على الصنم[٢٠].

ج ـ ومن تقاليدهم أنه إذا ولدت الأنعام حيّاً يجعلونه للذكور ويحرمون النساء منه، وإذا ولد ميتاً أشركوا النساء والرجال، وإليه يشير قوله سبحانه: «**وقالوا مافي بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرّم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء. سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم**» (الانعام/ ١٣٩).

وعلى ضوء الآية فأجنّة البحائر والسِيب كانت مختصة بالرجال اذا وُلِدت

حيّة واذا وُلدت ميتة أكله الرجال والنساء فما وجه هذا التقسيم غير التفكير الخرافي؟

د ـ كانوا يقسمون الأنعام إلى طوائف، فطائفة يجعلونها لآلهتهم وأوثانهم، وطائفة يحرّمون الركوب عليها، وهي السائبة والبحيرة والحامي، وطائفة لايذكرون اسم اللّه عليها.

كل ذلك تقاليد باطلة ردّها الوحي الالهي بقوله: «**وقالوا هذه انعام وحرث حِجرٌ لايطعمها إلا مَن نشاء بزعمهم وانعام حُرِّمت ظهورُها وأنعامٌ لايذكرون اسم اللّه عليها افتراءً عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون**» (المائدة/ ١٣٨).

والحِجر بمعنى الحرام وهو ما خصّوه بآلهتهم، ولا يطعمونه إلاّ مَن شاؤوا.

هذا بعض ما وقفنا عليه من تقاليد العرب الخرافية الباطلة قبل الإسلام وحين ظهوره مما جاء ذكره في القرآن الكريم.

٥ـ ثقافة قومه

يصف القرآن الكريم قوم النبيّ(ص)، بل القاطنين في أُمّ القرى ومن حولها، بالأُميّة ويقول: «**هو الذي بَعث في الأُمّيّين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة...**» (الجمعة/ ٢). وقال: «**...وقل للذين أُوتوا الكتاب والأُمّيّين أأسلمتم؟ فإن اسلموا فقد اهتدوا..**» (آل عمران/ ٢٠).

وقد بلغت الأُمّيّة عند العرب إلى حدّ اشتهروا بذلك حتى وصفهم أهل الكتاب بها كما يحكي عنه سبحانه بقوله: «**...ومنهم مَن إن تَأمنه بدينار لايؤدّه اليك إلاّ مادمتَ عليه قائماً ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الأُمّيّين سبيل...**» (آل عمران/ ٧٥).

والأُمّيّون جمع الأُمّيّ وهو المنسوب الى الأُمّ. قال الزّجاج: الأُمّيّ: الذي هو على صفة أُمّة العرب. قال عليه الصلاة والسلام: إنا أُمّةٌ أُمّيّة لانكتب ولانحسب[٢١].

فالعرب اكثرهم ماكانوا يكتبون ولا يقرؤن، والنبيّ(ص) كان كذلك، فلهذا السبب وصفه بكونه أُمّيّاً[٢٢].

وقال البيضاوي: الأُمّي من لايكتب ولا يقرأ.

قال ابن فارس: الأُمّي في اللغة، المنسوب إلى ماعليه جِبلّة الناس لايكتب فهو في أنه لايكتب على ما ولد عليه[٢٣].

والزمخشري يفسّر قوله تعالى: «**ومنهم أُمّيون لايعلمون الكتاب إلا امانيّ وإنْ هم إلاّ يظنون**» (البقرة/ ٧٨). بأنهم لايحسنون الكتاب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ممّا فيها.

هذا هو معنى الأُمّيّ وقد اصفقت عليه أئمة اللغة في جميع الأعصار إلى أن جاء الدكتور عبد اللطيف الهندي فزعم للأُمّيّ

معاني أُخرى لاتوافق ما اتفقت عليه أئمة اللغـة، وسنذكر آراءه الساقطة في معنى «الأُمّيّ» عند البحث عن أوصاف النبيّ، ومنها أنه «أُمّيّ» فانتظرْ.

والعـرب في أُمّ القرى وما حولها كانت أُميّة لاتقرأ ولا تكتب وقد نشأ النبيّ بينهم، ويـؤيـد ذلك ماذكـره الإمام البلاذري في «فتوح البلدان» حيث أتى باسماء الذين كانوا عارفين بالقرائة والكتابة في مكة، فما تجـاوزت سبعـة عشر رجلاً في مكة وأحد عشر نفـراً في يثـرب[٢٤].

وعلى ضوء ذلك فالسائد على تلك المنطقة كان هو الأُمّيّة المطلقة إلّا من شذّ.

نعم ماذكـرنـا من سيـادة الأُمّية على العـرب لاينـافي وجـود الحضارة في عرب اليمن حيث كانوا على أحسن مايكون من المدنيّـة، فقـد بنـوا القصور المشهورة، وشيّـدوا الحصـون. وكـانت لهم مدن عظيمـة. قال تعالى في كتابه الكريم: **«لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربّكم واشكروا له بلدة طيّبة وربّ غفور»** (سبأ/ ١٥).

وكـان لهم ملوك وأقيـال دوّخوا البلاد واستولوا على كثير من أقطار الأرض، ولكن تلك الحضـارة زالت وبادت بسيل العرم قال سبحـانه: **«فاعرضوا فارسلنا عليهم سيـل العـرم وبـدّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أُكُـلٍ خَمْـطٍ وأَثْـلٍ وشَيءٍ من سدرٍ قليل. ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلّا الكفور»** ؟ (سبأ/ ١٥ ـ ١٦).

وأما بنو عدنان ومن جاورهم من عرب اليمن فقد اختلّ أمرهم وتغيّر حالهم بَعد أن فرّقهم حادث سيـل العـرم، فمن ذلك اليوم فشَى الجهل بينهم، وقلّ العِلم فيهم، وأضاعوا صنائعهم، وتشتتوا في الأطراف والأكنـاف، ووقـع التنازع والتشاجر بين القبائل، وتكاثرت البغضاء بينهم، فلم يبق عنـدهم عِلمٌ منـزَّل ولاشريعة موروثة من نبيّ. ولا علوم كالحساب والطبّ، وانحصر علمهم بما سمحت به قرائحهم من الشعر والخـطب، أو ماحفـظوه من أنسـابهم وأيامهم أو ما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنواء والنجوم وصنع آلات الحرب وغير ذلك[٢٥].

فالمثقف عنـدهم من جادت قريحتـه بالشعر أو قدر على إلقاء الخطب والوصايا ارتجالاً أو من عرف أنساب الناس أو عرف أخبار الأمم وبالأخص أيّام العـرب.

نعم كان عند بعض العرب علم الفراسة والكهـانـة والعـرافة ويراد من الأول من يستـدل بهيئـة الإنسان وأشكاله والوانَه واقـواله على أخـلاقه وسجاياه وفضائله ورذائله ولعلّه إليـه يشـير قوله سبحانه: **«تعـرفهم بسيمـاهم»** (البقـرة/ ٢٧٣) **«ولتعرفنّهم في لحن القـول»** (محمد/ ٣٠).

ويراد من الثاني من يتنبأ بها سيقع من الأحداث في الأرض.

والعَـرافةُ هو قسم من الكهانة، لكنها تختص بالأمـور المـاضية وكأنه يستدل ببعض الحوادث الغابرة على الحوادث القادمة.

هذا عرض خاطف عن ثقافة قوم النبيّ عصَر نزول القـرآن أتينا به ليكون دليلاً واضحـاً على انقـطاع شريعـة النبيّ عن تعاليم بيئته وتقاليدها.

والقـرآن الكريم يصف ذلك العصر في غير واحدة من الآيات بالجاهلية، فيقول: «**افحُكمَ الجاهليةِ يبغُون**» (المائدة/ ٥٠). ويقــول: «**يـظنّــون باللّه غير الحق ظنّ الجـاهليــة**» (آل عمران/ ١٥٤). ويقول سبحـانـه: «**ولاتبـرّجْنَ تبـرُّجَ الجـاهليّةِ الأولى**» (الأحزاب/ ٣٣) ويقول تعالى: «**إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميّة حمِيّة الجاهلية**» (الفتح/ ٢٦).

واغلب المفسرين يفسّرون الجـاهليـة بفساد العقيدة في جانب الدين فقط، ولكنه تحصيص بلا جهـة فكان القوم يفقدون العلم الناجع كما يفقدون الدين الصحيح.

٦ـ الإنهيار الخُلُقي

طبيعة العيش في الصحراء تفرض على الانسان نزاهو خاصة في الخلق، تصون نفســه عن الانهيار الخُلقي، ولأجل ذلك نرى أن الفساد في المناطق المتحضرة اكثر منها في البدو وسكان الصحارى.

وقــد كان من المتـرقب من سكنـة أُم القـرى ومـا حولهـا النزاهة عن المجون والفساد، غير أن في الآيات القرآنية إخباراً عن شيوع العبث الخلقي بينهم.

فهذا القرآن الكريم يركّز على النهي عن الفحشـاء ظاهرةً وباطنةً، والفحشاء وإنْ فسّر بما عظم قبحه من الأفعال والأقوال الذميمة، ولكنها منصرفة إلى الزنا وكناية عنها، قال سبحانه: «**إلا ان ياتين بفاحشة مبيّنة...**» (النساء/ ١٩) وقال: «**واللاتي ياتـين بالفـاحـشــة من نســائـكـم...**» (النســاء/ ١٥) وقــال سبحــانــه: «**ولا يخرجن إلّا ان ياتين بفاحشة مبيّنة**» (الطلاق/ ١).

وكل هذا يعرب عن شيوع هذا العمل الشنيع المنكر بينهم.

فإننا نرى أنَّ اللّه سبحانه ينهى عن اتخاذ الخِـدن ويقول: «**وآتوهنّ اجورهن بالمعـروف محصنـات غيْر مسافِحات ولا متخذات أخدان...**» (النساء/ ٢٥) ويقرب منها قوله في سورة المائدة الآية ٥.

و «الأخدان» جمع «خِدن» وهو يطلق على الصاحب والصاحبة بأن يكون للمرأة صاحب او خليل يزني بها سّراً، وهكذا في جانب الرجـل، فالخـدن يُطلق على الذكر والأنثى، وكان الزنا في الجاهلية قسمين:

سر وعلانية، عامّ وخاصّ.

فالخاصّ السّريّ هو أن يكون للمرأة خِدن يزني بها سّراً، ولا تبذل نفسها لكل أحد.

والعام الجهري هو المراد بالسّفاح كما قال ابن عباس وهو البغاء.

وكان البغاء من الإماء وكنَّ ينصبن الرايات الحمر لتُعرَف منازلهن وبيوتهن.

روى ابن عباس أن أهل الجاهلية كانوا يحرّمون ما ظهر من الزنا، ويقولون إنه لوم، ويستحلّون ماخفي ويقولون لابأس به، ولتحريم القسمين يشير قوله سبحانه: «**ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن**...»[٢٦].

ومما يعرب عن رسوخ الانحلال الخلقي فيهم ما نقله تميم بن جراشة وهو ثقفيّ، قال: قدمت على النبيّ(ص) في وفد ثقيف فاسلمنا وسألناه أن يكتب لنا كتاباً فيه شروط فقال: اكتبوا مابدا لكم، ثم أتوني به، فسألناه في كتابه أن يحلّ لنا الربا والزنا، فأبى عليّ ـ رضي اللّه عنه ـ أن يكتب لنا، فسألنا خالد بن سعيد بن العاص فقال له عليّ: تدري ماتكتب؟ قال: اكتب ماقالوا ورسول اللّه أولى بأمره فذهبنا بالكتاب إلى رسول اللّه فقال للقارئ: إقرأ، فلما انتهى الى الربا، قال ضع يدي عليها في الكتاب فوضع يده، فقال: «**يأيها الذين آمنو اتقوا اللّه وذروا مابقي من الرّبا**...» الآية (البقرة/ ٢٧٨). ثمّ محاها، وألقيت عليها السكينة فما راجعناه فلما بلغ الزنا، وضع يده عليها وقال: «**لاتقربوا الزنا إنّه كان فاحشة وساء سبيلًا**» (الاسراء/ ٣٢) ثمّ محاها، وأمر بكتابنا أن ينسخ لنا[٢٧].

وممّا يدلّ على الانحلال الأخلاقي في أمر النساء قوله سبحانه: «**ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن إردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدّنيا**...» (النور/ ٣٣).

فالآية تعرب عن الانهيار الخلقي الذي كان يعاني منه بعضهم حتى بعد هجرة النبيّ(ص) إلى المدينة، وقد رووا أنّ عبد اللّه بن أبي كان له ستّ جوار كان يكرههنّ على الكسب عن طريق الزنا، فلما نزل تحريم أتين رسول اللّه(ص) فشكَين إليه، فنزلت الآية[٢٨]

٧ـ معاقرة الخمور وارتياد نواديها

كان الاستهتار بمعاقرة الخمور رائجاً بين العرب منذ زمن بعيد وقد بلغ شغفهم بها حتى إنهم جعلوها أحد الأطيبين، مع أنه كان المعروف من النبيّ الأكرم أنه يحرّم الخمر حتى قبل هجرته إلى المدينة، ولكنه لم يتحقق ما أمر به إلّا بعد مضّي سنوات من هجرته، ونزول آيات مختلفة الأسلوب متنوعة البيان واليك بيان هذا

التدرّج:

١ـ قال سبحانه: «**ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً. إنّ في ذلك لآيــة قوم يعــقــلون**» (النحل/ ٦٧) والآية مكّية نزلت في ظروف قاسية لاتتحمل إنذاراً اكثر وأشدّ من هذا ولهـذا اكتفى فيه بعدّ اتخذ السُّكر ضدّ الرزق الحسن.

٢ـ قال سبحانه: «**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس و إثمهما أكبر من نفعهما**» (البقرة/ ٢٨٨) فالآية تشير إلى أنه كان هناك لذة وطرب لشارب الخمر أو مال للاعب الميسر حيث يفوز به من غير كدّ ولا مشقة، ولكن إثمهما اكبر من نفعهما.

فلأجل ذلك يجب ترك النفع القليل في مقابل الضرر الكبير. والآية مدنية كافية في التحريم، وذلك لأنها تصّرح بوجود الاِثم في الخمــر والميسر، وقــد حرّم الوحي الالهي الآثم على وجــه القطع واليقين قبل هجرة النبيّ. قال سبحــانــه: «**إنمــا حرّم ربّي الفــواحشَ ماظهــر منهــا ومابطن، والإثم وَالبغي**» (الأعراف/ ٣٣).

وأي بيــان أوضــح لتحريم الخمر إذا قرنت الآيتان الواحِدة الى الأُخرى؟ فالآية الأُولى تحقق الصغرى وهو أن الخمر إثم والآية الثانية تصرح بالكبرى وهي أن اللّه سبحانه حرّم الإثم فيستنتج أنّه سبحانه حرّم الخمر.

والعجب أن القوم مع أن الآية الثانية التي تحــرم الإثم على وجــه الحتم والبتّ نزلت بمكــة، لم يتنــزهــوا من هذا العمل المزيل للعقل، المضاد للكرامة الإنسانية، فكــانــوا يشربون الخمر في نواديهم حتى و فاهم الوحي الآلهي بتحريم الصلاة وهم في حال السكر إذْ قال: «**ياايها الذين آمنوا لاتقــربــوا الصــلاة وانتم سكــارى حتى تعلموا ماتقولون**» (النساء/ ٤١).

وهذه الآيات الثلاث التي تعرّفت عليها تلقّاها بعض الصحابة بأنها ليست بياناً وافياً، فظلّ يترصد البيان الأوفى حتى وافى الوحي الآلهي وقال سبحانه: «**إنّما الخمرُ والميسرُ والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيــطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنّما يريــد الشيــطان ان يوقــع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر اللّه وعن الصلاة فهل انتم منتهون**» ؟ (المائدة/ ٩٠ ـ ٩١).

ولما أخبر النبيّ عن نزول الوحي وتلا الآيتين ارتفعت اصواتهم بقولهم: إنتهينا! إنتهينا!

وكل هذا يعرب عن رسوخ هذه العادة الشنيعــة وهذا العمل القبيح في المجتمع العربي آنذاك إلى درجة أن النبيّ(ص) لم يستــطــع ـ تحت ضغــط الظروف ـ أن يقــطع ، دة الفســاد منــذ هبــوطه أرض

المـدينة دفعةً واحدة بل تدرّج في تحقيق التحريم، وترسيخه في أذهانهم ونفوسهم.

روى أصحاب السنن والمسانيد أنّه لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللّهم بيّنْ لنا في الخمـر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في البقـرة: **«يسألونك عن الخمر والميسر»** . قال فدعي عمر فقرئت عليه، فقال: اللّهم بيّنْ لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التـي في النســاء: **ياايهـا الذين آمنــوا لاتقـربـوا الصـلاة وانتم سكارى»** فكان منادي الرسول(ص) إذا أُقيمت الصلاة ينادي ألا لايقربنَّ الصلاة سكران. فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللّهمَّ بيّنْ لنا بياناً شافياً فنزلت: «**انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصـدّكم عن ذكر اللّه وعن الصلاة فهل انتم منتهون»** ؟ قال عمر: انتهينا! انتهينا![٢٩].

ويظهر مما رواه ابن هشام عن بعض أهل العلم أنّ نهي الرسول عن الخمر كان مشهـوراً عنـدمـا كان مقيمـاً بمكة بين ظهراني قريش وخرج الأعشى إلى رسول اللّه يريد الإسلام ومعه قصيدته المعروفة في مدح النبيّ التي مستهلّها:

ألم تغـتـمض عينـاكَ ليلة أرمــدا
وبـتَّ كمــا بات السـليـمُ مسهَّــدا

ومــا ذاك من عشق النســاء وانمـا
تنـاسيت قبـل اليوم صحبة مهدَدا

إلى أن قال:

فإيّــاكَ والمـيـتــات لاتـقــربـنّهــا
ولا تأخـذنْ سهمـاً حديداً لتفصدا

ولا تقـربـنْ حرَّة كان سرّهــا
عليـك حرامـاً فانكحنَّ أو تأبّدا[٣٠]

فلمّا كان بمكّة أو قريباً منها اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فأخبـره أنّه يريد رسول اللّه(ص) ليُسلم فقال له: يا ابا بصير إنه يحرِّم الزنا فقال الاعشى واللّه إن ذلك لأمر مالي فيه من أرب فقـال له يا ابـا بصير: فإنه يحرّم الخمر فقال الأعشى: أما هذه فواللّه إنّ في النَفس منها لعلالات، ولكنّي منصرف فأتروىّ منها عامي هذا، ثم آتيه فأسلِم، فانصرف فمات في عامه هذا ولم يعد إلى رسول اللّه[٣١].

وببالي أنه جاء في بعض المصادر أنه قيـل له: إنه يحرّم الاطيبين والمراد بهما الخمر والزنا، وقد عرفت أنّه مع ما رأى من نور النبوّة ودخل عليه من بصيص الإيمان لم يتحمل ترك الخمر، فعاد ليتروىّ منها، ليعـود بعـد عام إلى المـدينة، ولكن وافاه الآجل قبل أن يسلم.

وهــذا مَثَل آخر يعربُ عن ترسخ هذه العادة القبيحة في ذلك المجتمع.

٨ـ وأد البنــات

أول من لطخ يده بدم البنات البريئات هم العـرب الجـاهليون فقد كانوا يئدون

بنـاتهم لأعذار مختلفـة واهيـة، فتـارة يتـذرعـون بخشيـة الإمـلاق، ولأخـرى يتجنّـون محتجـين بحجة الاجتناب عن العار، وقد حكى سبحانه عقيدة العرب في بناتهم ووأدهنّ في آيات نذكر مايلي:

«وإذا بُشِّر أحـدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم. يتوارى من الغيظ من سوء ما بُشِّر به أيمسكه على هُون ام يدسّه في التراب ألا ساء مايحكمون» ـ (النحل/٥٨ ـ ٥٩)

والآية تصوّر إحساس القوم وانفعالهم عندما كان أحدهم يبَشَّر بولادة أنثىً له، فكـان يتجهم وجهـه ويتغير إلى السواد، ويـظهـر فيه أثر الحزن والكراهة، والقوم يكـرهــون الأنثى مع أنهم جعلوهـا للّه سبحـانـه[٢٢] ثم لم يزل الحـزن يتزايد فيـمتـلىء الشخص غيـظاً، وعنـد ذلك يستخفى من القوم الذين يستخبرونه عمّا وُلِدَ له، استنكافاً منه، وخجلا مما بُشّر به من الانثى، ثم هو يُفكِّـر في أمـر البنت المـولودة له أيحفظها على ذلٍ وهوان، أم يخفيها في التراب، ويدفنها حيّةً. وهذا هو الوأد (ألا ساء مايحكمـون) أي في قتـل البنات البريئات المظلومات.

ثم إنَّـه سبحـانـه يحارب بشدة هذا العمل الإجرامي في بعض الآيات ويقول: **«لاتـقـتلوا أولادكم خشيـة إمـلاق نحن نرزقهم وإياكم انّ قتلهم كان خِطئاً كبيراً»** (الإسراء/ ٣١).

فاللّه سبحانه هو المتكفل برزقهم ورزق أولادهم وقتلهم خطأ عظيم عند اللّه.

وقال سبحانه: **«ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم»** (الأنعام/ ١٥٠).

ويـؤكـد القـرآن على تحريم قتل هذه البنات المظلومات بأن الموؤدة يُسأل عنها يوم القيامة. قال سبحانه: **«واذا الموؤدة سئِلَت»** (التكوير/ ٨).

وقد ذكر أصحابُ السير بعض الدوافع التي دفعت العـرب إلى اتخـاذ مثل هذا الموقف الظالم بشأن تلك البريئات لايسع المجـال لنقلهـا، ولكن يظهـر ممـا نقله صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق أن ذلك العمل الإجرامي كان شائعاً ورائجاً في غير واحدة من القبائل آنذاك، واليك البيان:

إنّ صعصعة بن ناجية بن عقال كان يفـدّي الموؤدة من القتل، ولما أتى رسولَ اللّه(ص) قال: يارســول اللّه! إني كنت أعمـل عمـلاً في الجاهلية أفينفعني ذلك اليـوم؟ قال: وما عملك؟ فقال: إنّه حصر ولادة امرأة من العرب بنتاً، فاراد أبوها أن يئـدها، قال فقلت له: أتبيعها؟ قال: وهل تبيـع العـرب أولادَهـا؟ قال: قلت: إنمـا اشتـرى حيـاتهـا ولا اشتـرى رقّهـا، فاشتـريتها منه بناقتين عشراوين وجمل، وقــد صارت لي سنّـة في العـرب على أن

أشتري مايئدونه بذلك فعندي إلى هذه الغاية ثمانون وميتا موؤدة وقد انقذتها. فقال رسول اللّه(ص) لك أجره إذْ مَنَّ اللّهُ عليك بالاسلام.

وقد ذكر الفرزدق إحياء جدّه للموؤدات في كثير من شعره كما قال:

ومـنّـا الذي منـع الوائـدات
واحـنـي الوئـيـد فلم يوأدِ[٣٣]

ويعرب عن شيوع هذه العادة الوحشية المروعة قوله سبحانه: «**وكذلك زَيَّن لكثير من المشركين قتلَ أولادِهم شركاؤهم ليردوهم وليَلبِسوا عليهم دينهم ولو شاء اللّه مافعلوه فذرهم وما يفترون**» (الأنعام/ ١٣٧).

وكذا قوله: «**قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفهاً بغير علم وحرّموا مارزقهم اللّه افتراءً على اللّه، قد ضلُّوا وما كانوا مهتدين**» (الأنعام/ ١٤٠).

٩ـ أكل الخبائثِ من الدّماء والحشرات

كانت العرب تأكل لحوم الأنعام وغيرها من الحيوانات كالفأر والضبّ والوزغ وتأكل من الأنعام ماقتلته بذبح ونحوه وتأكل الميتة بجميع أقسامها أعني المنخنقة، والموقوذة، والمترديّة والنطيحة، وما أكل السبع، وكانوا يملأون الأمعاء من الدم ويشوونه ويطعمونه الضيف وكانوا اذا أجدبوا جرحوا ابلهم بالنصال وشربوا مايسيل منها من الدماء.

هذا ورغم أنه مضى على ظهور التشريع الاسلامي الى الآن أربعة عشر قرناً فإن كثيراً من الأمم غير المسلمة تأكل أصناف الحيوانات حتى الكلب والهرّ، بل والديدان والاصداف، وقد أتخذ الإسلام بين هذا وذاك طريقاً وسطاً، فأباح من اللحوم ما تستطيبه الطباع المعتدلة من بني الإنسان، فحلّل من البهائم الضأن والمعز والبقر والإبل، وكره أكل لحوم الفرس والحمار، وحلّل من الطيور غير ذات الجوارح مما له حوصلة ودفيف ولا مخلب له كما حلّل من لحوم البحر بعض أنواع السّمك، واشترط في كلّ واحد من هذه اللحوم نوعاً من التذكية.

والتمعّن في الآية التالية يقودنا الى أنَّ العرب كانت تفقد نظام التغذية، أو كانت تتغذى من كلّ ما وقعت عليه يدها من اللحوم. كما أنها كانت تفقد الطريق الصحيحة لذبح الحيوان. فكانوا يقتلونه بالتعذيب بدل ذبحه وإليه يشير قوله سبحانه: «**حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير اللّه به، والمختنقة والموقوذة، والمتردية والنطيحة وما اكل السبع إلّا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق**» (المائدة/ ٣).

فقد كانوا ينتفعون من الميتة والدم

ولحم الخنزير والمذبوح باسم الأصنام والأوثان.

كما كانوا يستفيدون من المنخنقة (وهي التي تدخل رأسها بين شعبتين من شجرة فتختنق فتموت، أو تُخنق بحبل الصائد) و«الموقوذة» وهي التي تضرب حتى تموت و«المتردّية» وهي التي تقع من جبل أو مكان عال أو تقع في بئر، و«النطيحة» وهي التي ينطحها غيرها فتموتَ.

١٠ـ التقسيم بالأزلام

كان التقسيم بالأزلام مَيْسِراً رائجاً بينهم، وكان لهذا العمل صبغة الدين، وقد اختلفوا في تفسيره على قولين:

١ـ قالوا: المراد طلب قسم الأرزاق بالقِداح التي كانوا يتفاءلون بها في اسفارهم، وابتداء امورهم، وهي سهام كانت في الجاهلية مكتوب على بعضها: أمرني ربّي، وعلى بعضها نهاني ربّي، وبعضها غَفَل لم يكتب عليه شيء. فاذا ارادوا سفراً أو أمراً يهتمون به. ضربوا على تلك القداح فإن خرج السهم الذي عليه «أمرني ربّي» مضى الرجل في حاجته، وإنْ خرج الذي عليه «نهاني ربّي» لم يمض، وإن خرج الذي ليس عليه شيء أعاد.

٢ـ روى علي بن إبراهيم في تفسيره عن الصادقين كيفية التقسيم بالأزلام بشكل آخر. فقال:

إنَّ الأزلام عشرة سبعة لها أنصباءَ وثلاثة لا أنصباءَ لها فالتي لها أنصباء: الفذّ، والتوءمُ، والمسبَل، والنافس، والحلس، والرقيب، والمعلّى فالفذ له سهم، والتوءم له سهمان، والمسلّ له ثلاثة أسهم، والنافس له أربعة أسهم، والحلس له خمسة أسهم، والرقيب له ستة أسهم، والمعلّى له سبعة أسهم.

والتي لا انصباءَ لها: «السفيح» و«المنيح» و«الوغد».

وكانوا يعمدون إلى الجزور فيجزئونه أجزاءً، ثم يجتمعون عليه فيخرجون السهام، ويدفعونه على رجل، ثمن الجزور على من تخرج له التي لا انصباء لها، وهو القمار فحرّمه اللّه تعالى(٣٤).

والتفسير الثاني أنسب لكون البحث في الآية عن اللحوم المحرّمة.

١١ـ النسيء في الأشهر الحُرُم

لقد شاع على الألسن أنَّ العرب لما كانوا أصحابَ غارات وحروب وكان استمرار الحروب والغارات مانعاً من إدارة شؤون المعاش، عمدوا إلى تحريم القتال والحرب في الاشهر الأربعة المعروفة بالأشهر الحرم اعني رجب وذا القعدة وذا الحجة ومحرم.

والظاهر من بعض الآيات أنّ التحريم هذا كان مستنداً إلى تشريع سماويّ، كما هو المستفاد من قول اللّه تعالى: «**إنَّ عدة الشهور عند اللّه اثنا عشر شهراً في كتاب اللّه يوم خلق اللّه السماوات والأرض، منها أربعة حُرُم، ذلك الدين القيّم فلا تظلموا فيهنَّ انفسكم**» (التوبة/ ٣٦).

فإن قوله: «**ذلك الدين القيّم**» إشارة إلى أنّه جزء من الدين القيّم لامن طقوس العرب الجاهلية ولعله كان سنّة من سنن النبيّ إبراهيم ورثتها عنه العرب.

وعلى كلّ تقدير فقد كان العرب يتدخلون في هذا التشريع الالهي فيؤخرون الحرمة من الشهر الحرام إلى بعض الأشهر غير المحرّمة.

وبعبارة أخرى كانوا يؤخرون الحرمة، ولا يبطلونها برفعها من أساسها واصلها، حفاظاً على السُنّة الموروثة عن أسلافهم عن النبيّ إبراهيم عليه السلام.

فمثلاً كانوا يؤخرون تحريم المحرّم إلى صفر فيحرّمون الحرب في صفر ويستحلونها في المحرم فيمكثون على ذلك زماناً ثم يزول التحريم عن صفر ويعود إلى المحرّم، وهذاهو المعنيّ بالنسيء (أي التأخير).

وكان الدافع وراء النسيء هو أنهم أصحاب حروب وغارات، فكان يشق عليهم أن يمتنعوا عن القتال ثلاثة أشهر متوالية (ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم) ولايغزون فيها، ولهذا كانوا يؤخرون تحريم الحرب في المحرم الى شهر صفر. قال سبحانه: «**إنّما النسيء زيادة في الكفر، يُضَلُّ به الذين كفروا، يُحلُّونه عاماً ويحرِّمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرَّم اللّه فيحلُّوا ما حرَّم اللّه. زُيِّن لهم سوء اعمالهم واللّه لايهدي القوم الكافرين**» (التوبة/ ٣٧).

روى أهل السِّير أنّه (ص) قال في خطبة حجّة الوداع: إلا وإنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللّه السماوات والأرض. السَنَة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضى بين جُمادى وشعبان.

والحديث يعرب عن شكل آخر للنسيء غيرما ذكرناه فإن ماذكرناه كان مختصاً بتأخير حكم الحرب من المحرم الى صفر، ولكن النسيء المستفاد من الحديث على وجه آخر وهو أنَّ المشركين كانوا يحجون في كلّ شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين، وحجوا في محرم عامين، ثم حجوا في صفر عامين وكذا في بقية الشهور اللاحقة حتى اذا وافقت الحجّة التي قبل حجة الوداع في ذي القعدة ثم حجّ النبيّ. في العام القادم حجة الوداع فوافقت في ذي الحجة فعند ذلك قال النبيّ(ص): «إنَّ الزمان قد استدار كهيئته..»(٣٥).

١٢ـ الرِّبا ذلك الاستغلال الجائر

كان العرب الجاهليون يرون البيع والرِّبا متماثلين ويقولونه: «إنّما البيع مثلُ الرِّبا» فيضفون الشرعية على الرِّبا كإضفائها على البيع، ولكن شتّان مابين البيع والرِّبا، فإنّ الثاني ينشر القسوة والخسارة ويورث البغض والعداوة ويفسد الأمن والاستقرار، ويهيىء النفوس للانتقام بأية وسيلة ممكنة، ويدعو إلى الفرقة والاختلاف سواء أكان الرِّبا مأخوذاً من قِبَل الفرد أم مأخوذاً من جانب الدولة.

وفي الثاني من المفاسد مالايخفى اذ أدنى مايترتب عليه تكديس الثروة العامة، وتراكمها في جانب، وتفشّي الفقر والحرمان في الجانب الآخر، وظهور الهوَّة السحيقة بين المعسرين والموسرين بما لا يسدّه شيء.

ولسنا هنا بصدد بيان هذه المفاسد والمساوىء لكن الهدف هو الإلماع إلى أنَّ الرِّبا كان من دعائم الاقتصاد الجاهلّي، والقرآن نزل يوبخ العرب على ذلك بوجه لا مثيل له. ويقول: «**ياايها الذين آمنوا اتقوا اللّه وذروا مابقي من الرِّبا إنْ كنتم مؤمنين، فإنْ لم تفعلوا فأْذنوا بحرب من اللّه ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لاتَظلمون ولا تُظلمون**» (البقرة/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

ويقول: «**الذين يأكلون الرِّبا لايقومون إلّا كما يقوم الذي يتخبطّه الشيطان من المَسّ ذلك بأنّهم قالوا إنّما البيعُ مثل الرِّبا..**» (البقرة / ٢٧٥).

والآية تشبّه آكل الرِّبا بالممسوس المجنون، فكما أنّه لأجل اختلال قوته المميزة لايفرّق بين الحسن والقبيح والنافع والضارّ، والخير والشّر، فهكذا حال المرابي عند أخذ الرِّبا. لذلك عاد لايفرّق بين الرِّبا والبيع ويقول: «**إنّما البيع مثل الرِّبا**» مع أنّ الذي تدعو اليه الفطرة وتقوم عليه الحياة الاجتماعية للإنسان، هو أن يعامل بمعاوضة ماعنده من المال الذي يستغني عنه، بما عند غيره من المال الذي يحتاج اليه.

وأما إعطاء المال وأخذ مايماثله بعينه مع زيادة فهذا شيء يخالف قضاء الفطرة وأساس المعيشة، فإن ذلك يؤدّي من جانب المرابي إلى اختلاس مال المدين، وتجّمعه عند المرابي.. وهذا المال لايزال ينمو ويزيد ولا ينمو إلّا من مال الغير فهو في الانتقاص والانفصال من جانب وفي الزيادة والانضمام من جانب آخر. ونتيجة ذلك هو ظهور الاختلاف الطبقي الهائل الذي يؤول إلى انقسام المجتمع إلى طائفتين: طبقة ثرية تملك كل شيء، وطبقة فقيرة تفقد كل شيء، الأولى تعاني من البطنة والثانية تتضور من السغب.

خاتمة المطاف

ونختم البحث بما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره من أنّه قدم أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس ـ وهما من الخزرج ـ وكان بين الأوس والخزرج حرب قد بغوا فيها دهوراً طويلة، وكانوا لايضعون السلاح بالليل ولا بالنهار وكانت آخر حرب بينهم (يوم بُعاث) وكانت الاوس على الخزرج، فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكة في عمرة رجب يسألان الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة فنزل عليه فقال له: إنّه كان بيننا وبين قومنا حرب وقد جئناكم نطلب الحلف عليهم.

فقال عتبة: بعدت دارنا عن داركم ولنا شغل لانتفرغ لشيء.

قال: وما شغلكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟

قال له عتبة: خرج فينا رجل يدعي أنه رسول اللّه سفه أحلامنا وسبّ آلهتنا وافسد شبابنا وفرّق جماعتنا.

فقال له أسعد: من هو منكم؟

قال: ابن عبد اللّه بن عبد المطلب، من أوسطنا شرفاً واعظمنا بيتاً.

وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كان بينهم: النضير وقريظة وقين قاع: أن هذا أوان نبيّ يخرج بمكة يكون مهجره المدينة لنقتلُنكم به يامعشر العرب..

فلما سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ماكان سمعه من اليهود فقال: فأين هو؟ قال: جالس في الحجر، وإنهم لايخرجون من شعبهم إلا في الموسم فلا تسمع منه ولا تكلمه، فإنه ساحر يسحرك بكلامه، وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشعب.

فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر لابد أن أطوف بالبيت؟ فقال له: ضع في اذنيك القطن.

فدخل أسعد المسجد وقدحشى أذنيه من القطن فطاف بالبيت ورسول اللّه(ص) جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم فنظر اليه فجازه.

فلما كان الشوط الثاني قال في نفسه: ما اجد أجهل مني، أيكون مثل هذا الحديث بمكة فلا أعرفه حتى أرجع إلى قومي فاخبرهم. ثم أخذ القطن من أُذنيه ورمى به وقال لرسول اللّه: أنعم صباحاً! فرفع رسول اللّه رأسه اليه وقال: قد ابدلنا اللّه به ما هو أحسن من هذا، تحية أهل الجنة: السلام عليكم.

فقال أسعد: ان عهدك بهذا لقريب. إلى مَ تدعو يامحمّد؟

فقال (ص): إلى شهادة أنْ لا إله إلّا

اللّه واني رسول اللّه وأدعوكم:

١ـ أنْ لاتشركوا به شيئاً ٢ـ وبالوالدين إحساناً ٣ـ (ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحـن نرزقكم وايـاهم) ٤ـ ولاتقـربـوا الفـواحش ما ظهـر منـهـا ومـا بطن ٥ـ «ولاتـقتلوا النفس التي حرم اللّه إلا بالحـق ذلك وصّـاكم به لعلكم تعقلون» (الانعام/ ١٥١) ٦ـ ولاتقربوا مال اليتيم الّا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشـدّه. ٧ـ وأوفـوا الكيـل والميـزان بالقسـط. ٨ـ لاتكلّف نفساً إلّا وسعها. ٩ـ واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى. ١٠ـ وبعهد اللّه أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلّكم تذكّرون. (الأنعام/ ١٥٢).

فلما سمع أسعد هذا قال: أشهد أنْ لا إله إلّا اللّه وحده لاشريك له وأنّك رسول اللّه. يارسول اللّه! بأبي أنت وأُمّي! أنا من أهل يثرب من الخزرج، بيننا وبين إخواننا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها اللّه بك فلا أحد أعزَّ منكَ، ومعي رجل من قومي فإنّ دخل في هذا الأمر رجوت أن ينعم اللّه لنا امرنا فيك. واللّه يارسول اللّه! لقد كنا نسمـع من اليهود خبرك، كانوا يبشّروننا بمخـرجـك ويخبروننا بصفتك، وأرجو ان تكـون دارنـا هجرتك وعندنا مقامك، فقد أعلمنـا اليهـودُ ذلك، فالحمـد للّه الذي ساقني اليـك، واللّه ما جئتُ إلّا لنـطلب الحلف على قومنا، وقد آتانا اللّه بأفضل مما اتيت له...[٣٦].

إنّ هذا النص التـاريخي يدفعنـا إلى القول بأنّ رئيس الخزرج كان قد وقف على داء قومه العياء، ودوائه الناجع وأنّ قومه لن يسعدوا أبداً بالتحالف مع هذا وذاك وشنّ الغارات، وإن انتصروا على الأوس وإنّمـا يسعـدون إذا رجعـوا الى مكـارم الأخـلاق وتحلّوا بفضـائلها التي جاءت أُصـولهـا في هاتين الآيتين اللتين تلاهما رسول اللّه(ص) في حجر إسماعيل.

عرف وافـد الخـزرج على أن مجتمع يثـرب ومن والاه قد اشرفـوا على الدمـار والانهيـار لأنهم كانـوا غارقين في غمرات الشرك، ووأد البنات، واقتراف الفواحش، وقتل النفوس المحترمة، وأكل مال اليتيم، وبخس الأموال عند الكيل والتوزين، وترك العـدل والقسط في القول والعمل، ونقض عهـود اللّه إلى غير ذلك من الأعـمـال السيّئة.. فلا يصلحهم إلّا إذا خرجوا عن شراك هذه المهالك والموبقات.

فخـرج إلى يثـرب ومعه بعيث رسول اللّه(ص) أعني مصعب بن عمـير فبشّر أهل يثرب بما عرف من الحقّ، وصار ذلك تمهيـداً لقـدوم الرسول الأكرم(ص) إلى بلده بعد بعث وفود إلى مكّة ليتعرّفوا على رسول اللّه(ص) ويبايعوه على ماهو مذكور في السيرة والتاريخ.

فنقول: كان هذا هو موطن النبيّ(ص)

ودار ولادته وهذه هي ثقافة قومه وحضارة بيئته، وهذه صفاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وهـذه هي علومهم ومعـارفهم، حروبهم وغاراتهم، عطفهم وحنانهم.. كلّ ذلك يَعربُ عن انحطاط حضاريّ وانحلال خلقيّ كاد أن يوصلهم إلى الهـلاك والدّمـار لولا أن شاء اللّه حياتهم الجديدة وميلادهم الحديث.

وأين هذا مـمّا جاء به القرآن الكريم والسنّـة النبويّة من الدّعوة إلى التوحيد، ورفض الأصنام والأوثان، وحرمة النفوس والأعـراض والأموال، والدّعوة إلى العلم، والقـراءة والكتـابـة، والحثّ على العـدل والقسـط في القـول والعمـل، والتجنّب للدّعارة والفحشاء، ومعاقرة الخمر والميسر، فلو دلّ ذلك على شيء فقد دلّ على أنّ ماجاء به من الأصول لايمتّ إلى بيئته بصلة.

الهوامش:

(١) لاحظ كتابنا مفاهيم القرآن ج٣، ص ١١٩ ـ ١٢٣.

(٢) المنار، ج ٢، ص ٢٠.

(٣) وقـد ذكر سبحانه النبيّين بلفظ عام يشمل الجميـع ثم سمى خمسـة منهم باسمـائهم بالعطف عليهم، ولم يخصّهم بالذكر إلا لعظمة شأنهم ورفعـة مكـانتهم، فإنهم أصحـاب الشرائـع، وقد عدّهم على ترتيب زمانهم لكن قدّم النبيّ وهـو آخرهم زماناً لفضله وشرفه تقدمه على الجميع وسمّى هذا الميثاق بالميثاق الغليـظ. إذ به تستقرّ كلمة التوحيد ورفض الوثنية في المجتمع البشري، فلو لم يؤمن نبيّ سابق باللاحق ولم ينصره كما انه لم يُصدِّق نبيّ لاحق، النبيّ السـابق، لفشلت الدعوة الالّهية في الانتشار وسادت الفوضى في الدين.

(٤) الميزان، ج ١٩، ص ٣٢١.

(٥) مجمع البيان، طبع صيدا، ج ٢ ص ٤٦٨.

(٦) تفسـير الطبـري، ج ٣، ص ٢٣٧، والدر المنثور، ج ٢ ص ٢٧ ورواه الرازي في مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٥٠٧ طبع مصر والطبرسي في مجمعه، ج ٢ ص ٤٦٨.

(٧) تفسير البرهان، ج ١، ص ٢٩٤.

(٨) نقله سيدنا الأستاذ الامام القائد الراحل في درسه ولم يذكر مصدره.

(٩) الصفّ/ ٦.

(١٠) البقرة/ ٤٦.

(١١) مجمع البيان، ج ١، ص ١٥٨.

(١٢) تفسير العياشي، ج ١، ص ٥٠.

(١٣) مجمع البيان، ج ١، ص ١٩٥.

(١٤) الميزان، ج ١، ص ٣٩٤.

(١٥) مثـل أنيس الأعـلام في نصرة الاسـلام، وإظهـار الحقّ تأليف الشيـخ رحمـة اللّه الهندي وهو كتاب ممتع، والهدى إلى دين المصـطفى تأليف الشيـخ العـلامة محمد جواد البلاغي، وفي كتاب بشارات العهدين غنىً وكفاية.

(١٦) وبهـذا المضمـون الآيـات الأُخـر لاحظ العنكبوت/ ٦١ والزمر/ ٣٨ والزخرف/ ٩ و ٧٨.

(١٧) السيرة النبوية لابن هشام، ج ١، ص ٧٩.

(١٨) مجمع البيان، ج ٤، ص ٤٦.

(١٩) مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٥٢، ولم نذكر

سائر التفاسير لاشتراك الجميع في أن الاحكام كانت مبتناة على تسريحها وإظهار العطف لها.

(٢٠) مجمع البيان، ج ٢، ص ٢٧٠.

(٢١) إيعاز إلى مارواه البخاري في صحيحه، ج ١، ص ٣٢٧ عن النبيّ انه قال: إنا أمّة.

(٢٢) مفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٣٠٩.

(٢٣) مقاييس اللغة، ج ١، ص ٢٨.

(٢٤) فتوح البلدان، ص ٤٥٧.

(٢٥) بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٨٠ ـ ٨١، ومن اراد أن يقف على ثقافة العرب عامة قحطانيّهم وعدنانيّهم فليرجع إلى ذلك الكتاب.

(٢٦) المنار، ج ٥، ص ٢٢ وزاد في المصدر قوله: وهذا النوعان معروفان الآن في بلاد الافرنج والبلاد التي تقلد الافرنج في شرور مدينتهم كمصر والأستانة وبعض بلاد الهند. ويسمى المصريون الخدن الرفيق، ومن هؤلاء الافرنج والمتفرنجون منهم كأهل الجاهلية يستحسنون الزنا السّري ويستقبحون الجهري.

(٢٧) أسد الغابة، ج ١، ص ٢١٦ ترجمة تميم بن جراشة.

(٢٨) مجمع البيان، ج ٤، ص ١٤١.

(٢٩) سنن ابي داود، ج ٢، ص ١٢٨، مسند احمد، ج ١، ص ١٥٣، سنن النسائي ج ٨، ص ١٨٧، ومستدرك الحاكم ج ٢، ص ٢٧٨، إلى غير ذلك من المصادر.

(٣٠) الأرمد: الذي يشتكي عينيه من الرمد، والسليم: الملدوغ والمسهّد: الذي منع من النوم. والمَهدد: على وزن فعلل اسم امراة وتأبّد: أي تغرّب وابتعد عن النساء.

(٣١) السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٨٦.

(٣٢) اشارة إلى قوله سبحانه: «ألكم الذكر والأنثى؟ تلك إذاً قسمة ضيزى» (النجم/ ٢١ ـ ٢٢).

(٣٣) بلوغ الأدب ٣/٤٦.

(٣٤) مجمع البيان، ج ١، ص ١٥٨، وما اشبه التقسيم بالأزلام بالعمل المعروف في عصرنا باليانصيب الوطني.

(٣٥) مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٢.

(٣٦) إعلام الورى بأعلام الهدى، ص ٥٧. وللقصة ذيل جدير بالمطالعة وقد أخذنا منها موضع الحاجة.

* * *

* «ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتىٰ يتعلّم القرآن، او يكون في تعلمه».

الامام الصادق (ع)

هَيمَنةُ القُرآنِ عَلى الكُتبِ السَماويّة

الشيخ جعفر الهادي



هل يُصَدِّقُ القرآنُ الكريمُ بكلّ ما تضمّنته الكتبُ السماويّة، وبخاصّة التوارة والانجيل الرائجين، أم يرفضها ويكذّب مضامينها جملةً وتفصيلاً؟

وما هي - ترى - منزلة القرآن الكريم، كآخر كلمة في مفكّرة السماء، وكذروة ما نزل من جانب الله تعالى إلى البشرية، بين غيره من الكتب المنزَّلة قبله؟

يجيب القرآن الكريم عن هذا السؤال في الآية ٤٨ من سورة المائدة بصراحة كاملة، وبلاغة اذ يقول:

« وانزلنا إليكَ الكتابَ بالحق مصدّقاً لما بَين يديهِ من الكتاب، ومهيمناً عليه، فاحكمْ بما انزل الله، ولا تتبع أهواءهم عمّا جاءك من الحقّ»

في هذه الآية يصفُ الباريُ تعالى كتابه العظيم «القرآن» بثلاثة اوصاف جديرة بالتأمل والامعان:

١ـ انه كتاب نَزَلَ بالحقّ.

٢ـ انه مصدّقٌ لما بين يديه.

٣ـ انه مهيمن عليه.

وما يرتبط بالسؤال المطروح - هنا - هو الوصف الثالث وهو كون القرآن مهيمناً على ما تقدّمه من الكتب المنزّلة فماذا تعني الهيمنة القرآنية على تلكم الكتب؟

قال العلامة ابن منظور في «لسان العرب»: في التنزيل ومهيمناً عليه. قال بعضهم: معناه الشاهد، يعنى وشاهداً عليه.

وقــال ابن فارس في «معجم مقــاييس اللغة»: فامّا المهيمن: وهو الشاهد.

وذهب إلى مثــل ما ذهب اليــه هذان العالمان اللغويّان العلامةُ الفيروز آبادي في القاموس المحيط.

واذا كان الشاهد بالحق هو الذي يقرّر ما يصحُ، وينفي ما لا يصحّ فالمهيمن هو مَن يقرّر ما يصحُّ، ويبطل ما لا يصح.

والقرآن الكريم يقوم بهذه المهمة عينها بالنسبة إلى ما تضمنته الكتب السماوية الرائجة.

صحيــح أن القرآن ـ حسب الوصف الثــاني من الاوصاف الثلاثة المذكورة في الآية المطروحة في مطلع هذا المقال ـ هو كونــه «مصــدّقاً لما بين يديه من الكتاب» ولكن هذا التصديق لا يعني أنه يقرر كل ما تحتــويه تلك الكتب على نحو الاطلاق حتى ما كان باطلاً، بل يصدّق ما صحّ فيها من المعــارف، والمفــاهيم، والقضــايــا، والمــوضــوعــات، ولهذا كان ضرورياً ان يُضــاف إلى هذه الجـملة ما يقيّــد هذا التصــديق كيف لا، والوصف الأوّل من الاوصاف الثلاثة المذكورة هو كون القرآن نزل بالحق، وقد تكرّر هذا الوصف مرتين في هذه الآية، عندما يقول سبحانه **«ولا تتبع اهواءهم عمّا جاءك من الحقّ»**

وبهذا يُعرف الترابطُ الدقيق بين هذه الجمـل الثـلاث في الآية وهي: **«وانزلنا اليــك الكتــاب بالحقّ»** و**«مهيمنــاً عليه»** **«مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب»**

فان الكتاب الذي قام على أساس بيان ما هو الحق والحقيقــة، وما هو الصـحيح والواقــع في مجــال المعارف والمفاهيم، لا يمكنــه إلاّ أن يصــدّقَ ما جاء في الكتب الســابقــة من حق وحقيقة، ويفنّد ما هو باطل، مخالفٌ للواقع، مغاير للحقيقة.

إن هذا يتطلب منا اولاً ان نقف على ما وصف الله تعالى به كتابه العزيز «القرآن» ليتسنىٰ ـ بعد ذلك ـ فهم مسألة الهيمنة القرآنية على ما عداه من الكتب المنزلة الرائجة.

أوصاف القرآن في القرآن

لقد وصف الله سبحانه كتابه «القرآن» بأنه:

١ـ الكتــابُ الذي لاريب فيه اذ قال: **«ذلك الكتاب لاريب فيــه»**(البقرة/ ٢ ـ والسجدة/ ٢).

٢ـ الكتاب المبين اذ قال: **«تلك آيات الكتاب المبين»** (القصص/ ٢).

٣ـ الكتابُ الذي حوى كل شيء مما كان عليه بيانه للناس اذ قال: «**ما فرّطنا في الكتاب من شيء**» (الانعام/٣٨).

٤ـ الكتاب الحكيم، اذ قال سبحانه **الر تلك آيات الكتاب الحكيم**» (يونس/١).

٥ـ الكتابُ الذي أُنزِلَ ليخرِجَ به النبيُ (ص) الناسَ من الظلمات إلى النور اذ قال تعالى: «**الّر كَتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور**» (ابراهيم/١).

٦ـ الكتاب الذي يتصف بانه تبيان لكل شيء اذ قال: « **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة**» (النحل/٨٩).

٧ـ الكتاب الذي يخلو من العِوَج اذ قال تعالى: «**الحمد لله الذي انزل علٰى عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا**» (الكهف/١).

٨ـ الكتاب المبارك الذي أُنزلَ للتدبر اذ قال: « **كتاب انزلناه اليك مبارك ليَدّبّروا آياته**» (ص/٢٩).

٩ـ وانه احسن الحديث: قال سبحانه: « **الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً** » (الزمر/٢٣).

١٠ـ وانه احسن القصص قال سبحانه: « **نحن نقص عليك أحسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن** (يوسف/٣).

١١ـ وانه القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم قال سبحانه: «**ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم**» (الاسراء/٩)

١٢ـ وانه بالتالي الكتاب العزيز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، قال تعالى: « **وانه لكتاب عزيز. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خَلفه تنزيلٌ من حكيم حميد** » (فصلت/٤١ ـ ٤٢).

اذن يصف الله تعالى كتابه وبصريح العبارة بانه الكتاب المبين الحكيم. المبارك الذي يخلو عن العوج، والذي لا ريب فيه، العزيز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولكن الله لا يكتفي بهذا الامر، بل يعمد الى التعريف بالكتب السماوية الرائجة، وما لحقها من التغيير والتبديل والتصحيف والتحريف، والنقص والزيادة على ايدي الاحبار والرهبان، ويشير في اكثر من موضع إلى أن هناك فرقاً بين ما أُنزِلَ وبين ما هو رائج من هذه الكتب، وبين ما هو

مكتوم منها من جانب الاحبار والرهبان، وبين ما هو رائج من هذه الكتب، وبين ما هو مكتوم منها من جانب الاحبار والرهبان، وبين ما هو مصَّرحٌ به للناس.

الكتب المنزلة وعمليات التحريف والكتمان

ونحن نذكر هنا بعض الآيات الصريحة في هذا المجال:

١ـ قال سبحانه: « **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً ممّا كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين**» (المائدة/ ١٥).

٢ـ قال سبحانه: « **افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**(البقرة/ ٧٥).

٣ـ قال سبحانه: « **وآمنوا بما انزلتُ مصدّقاً لما معكم ولا تكونوا اول كافر به، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون**» - **البقرة /٤١ -٤٢**

٤- قال تعالى: «**يا أهل الكتاب لم تلبسون الحقّ بالباطل وتكتمون الحقّ وأنتم تعلمون**» (آل عمران/ ٧١).

٥ـ قال تعالى: « **وان منهم لفريقاً يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**» (آل عمران/ ٧٨).

٦ـ قال سبحانه: « **ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً اولئك ما ياكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم. اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدىٰ والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار. ذلك بأنّ الله نزّل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد**» (البقرة ١٧٤/ ١٧٦).

ان القرآن الكريم يصّرح في هذه الآيات بأن هناك تحريفاً وكتماناً، وتغييراً وتبديلاً تعرضت له الكتب السماوية المتقدمة عليه، وان ما كان رائجاً في بيئة نزول القرآن وإبان بزوغ الاسلام باسم التوراة والانجيل لم يكن كلّ الذي نزل على النبي موسٰى وعيسٰى عليهما السلام، بل كان فيه

المحرَّفُ، والمبَّدلُ بل والمحذوفُ من رأس[1].

نظرةٌ مجدّدةٌ إلى آية الهيمنة

ولتكميل الصورة عن طبيعة القرآن ومكانته، وطبيعة الكتب السماوية المتقدّمة على القرآن، يومَ نزوله، ينبغي القاء نظرة أُخرى إلى الآية ٤٨ من سورة المائدة المذكورة في مطلع هذا المقال من حيث السياق، والآيات الحافة بها. فان مثل هذه النظرة المجدّدة تعيننا على الوقوف على ما ذكرناه من هيمنة القرآن على الكتب السماوية الرائجة.

لقد مهّد القرآن لهذه الحقيقة (اعني كون القرآن مهيمناً وشاهداً على الكتب السماوية الرائجة يصحّح منها ما صحّ، ويفنّد ما لم يصح) لقد مهّد لهذه الحقيقة في نفس سورة المائدة، عبر الآيات السابقة واللاحقة على آية الهيمنة.

فقد تعرض القرآن في الآيات السابقة لذكر عملية التحريف البغيضة، والتي كان منها تحريف الكلم عن مواضعها.

قال تعالى في الآية ١٣ من هذه السورة: **« فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكُروا به»**

وقال سبحانه في الآية ٤١ الى ٤٤ من هذه السورة: « **يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سماعون» «لقوم آخرين لم ياتوك يحرّفون الكَلِم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم. سماعون للكذب أكّالون للسحت فان جاؤوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضرّوك شيئاً وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين. وكيف يحكّمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين. إنا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيّون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم**

بما انزل الله فاولئك هم الكافرون»

قال العلامة الطباطبائي عند تفسير هذه الآيات: يتحصل من المجموع ان عدة من اليهود ابتلوا بواقعة دينية فيما بينهم لها حكم إلهي عندهم، لكن علماءهم غيروا الحكم بعد ثبوته، ثم بعثوا طائفة منهم إلى النبي (ص) وأمروهم ان يحكّموه في الواقعة، فان حكم بما أنبأهم علماؤهم من الحكم المحرّف فليأخذوه، وان حكم بغير ذلك فيحذروا.

ثم قال رحمة الله: وفي الآية (الأخيرة) تصديقٌ مّا للتوراة عند اليهود اليوم، وهي التي جمعها لهم عزراء باذن «كورش» ملك ايران بعدما فتح بابل، واطلق بني اسرائيل من اسر البابليين، واذن لهم في الرجوع إلى فلسطين، وتعمير الهيكل، وهي التي كانت بيدهم، في زمن النبي صلّى الله عليه وآله وهي التي بيدهم اليوم، فالقرآن يصدّق ان فيها حكم الله، وهو ايضاً يذكر أن فيها تحريفاً وتغييراً.

ويُستنتج من الجميع: أن التوراة الموجودة الدائرة بينهم اليوم فيها شيء من التوراة الأصلية النازلة على موسى عليه السلام، وأُمورُ حُرّفت وغُيّرت، إما بزيادةٍ أو نقصان، أو تغيير لفظ أو محلّ، أو غير ذلك، وهذا هو الذي يراه القرآن في أمر التوراة، والبحث الوافي عنها أيضاً يهدي إلى ذلك[٢].

ولم يكن هذا شأن اليهود وتوراتهم خاصة بل شملت هذه الحالة حتى النصارى قال سبحانه عنهم: **«ومن الذين قالوا إنّا نصارىٰ اخذنا ميثاقهم فنسوا حظّاً مما ذكّروا به»**.

ثم يشير بعد هذا التلويح بل والتصريح بما قام به أهل الكتاب يهوداً ونصارى من التحريف والتغييروالتبديلفي كتبهم الى نماذج ومصاديق لهذا الأمر.

فنستنتج من كل ما مضى ان القرآن كتاب حكيم عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وان الكتب السماوية المتقدمة عليه، الدائرة بين اهل الكتاب تعرضت للتحريف والتغيير. وهذا هو ما أَهَّلَ القرآن الكريم لأن يكون المحكَّ الذي يُميَّز به الأصيلُ عن الدخيل في الكتب السماويه الرائجة، وأن يكون المعيارَ الذي يُعرَف به ما يصحّ في هذه الكتب وما لم يصحّ، وهل هذا إلّا مهمة الشاهد، وهل هي إلّا الشهادة التي هي أبرز معاني الهيمنة.

القـرآن والهـيـمـنــة على الكتب السماوية الرائجة

أجل إن القرآن بما طرحه من حقائق صادقــة، وقضــايــا متطابقة مع الواقع، مدعـومـاً بالبـراهـين العقليـة الساطعة والمسلمـــات الفـطرية القاطعة يقوم بدور الشـاهـد على الكتب السماوية الرائجة، وبـدور المعيار الذي يكشف ما أُدخل في هذه الكتب من خرافات، وما دُسّ فيها من أباطيل، وما تركته فيها أيدي التحريف من ثغرات ونواقص، وهنات وعيون.

على أن المجـالات التي يعـرض فيهـا القرآن الكريم الحقائق هي عبارة عن:

١ـ مجال التوحيد.

٢ـ مجال التشريع.

٣ـ مجال التاريخ.

٤ـ مجال العلوم.

٥ـ مجال الاخلاق.

وها نحن نشير إلى نماذج مما يعرضه القرآن، وتعرضه الكتب السماوية الرائجة لتتضح مسألة الهيمنة القرآنية على هذه الكتب، ونكتفي باستعراض موقف القرآن الكريم والكتب الاخرى في مجال التوحيد خاصة تاركين التعرض لبقية الجوانب إلى فرص أُخرى.

موقف القـرآن والكتب الاخرى في مجال التوحيد

أـ يقرر القرآن الكريم في آيات عديدة أن الذات الآلهيـة المقـدّسـة منزهة عن شوائب الجسمــانيـه، وأنـه تعـالى ليس بجسم ولا جسمانيّ، وانه لا يشبهه شيء من مخلوقاته، وانه لا يرى، وانه سبحانه ليس في مكـان، ولا يخلو منه مكان، وانه واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد.

قال تعـالى: «**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**» (الشورى/١١).

وقال تعالى: «**لا تدركه الأبصار وهـو يدرك الابـصـار وهـو اللطيف الخبير**» (الانعام/١٠٣).

وقـال تعالى: «**أينما تولّوا فثم وجه الله**» (البقرة/١١٥).

وقال تعالى: «**الذي له ملك السماوات والارض ولم يتخذ ولداً**» (الفرقان/١).

وقـال تعـالى: «**قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**» (سورة الاخلاص).

وقال تعالى «**ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمَهُ ربُّهُ قال ربِّ ارني انظرْ اليك قال لن تراني ولكن انظرْ الى الجبلِ فان استقرّ مكانه فسوف تراني فلما تجلّى ربُّه للجبل جعله دكّاً وخرّ موسى صَعِقاً فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وأنا اوّلُ المؤمنين**» الاعراف/١٤٣.

وما قرره القرآن الكريم في هذا الصعيد يؤيده العقلُ السليمُ، وتؤكّدهُ الفطرةُ النقية لا ستلزام الجسمية التركب، والتغيّر، والتحَيّر والاحتياجَ، وكلُ ذلك ينافي وجوب الوجود الذي يُفْتَرض أن يتصف به الحق تعالى، وإلا لكان احد المخلوقين من جنسهم. هذا والتفصيل، والتوسع، والبرهنة، والاستدلال العقلي والفطري متروك إلى محله في كتب الكلام والفلسفة.

ولكن التوراة والانجيل الرائجين يصّرحان، ومن دون تحرّج، بانه تعالى جسم يتنقل ويمشي، وله مكان، وانه ينزل ويصعد، ويُرى، وله صوت عند مشيه كالبشر.

فان التوراة عندما تتعرض لذكر بدء الخلق، وتصرح بان الله خلق آدم وحواء واسكنهمافي الجنة، وأوصاهما بان يأكلا من كل الاشجار والثمار فيها إلّا شجرة واحدة، ولكنهما أكلا منها رغم المنع والتحذير، فانفتحت اعينهما على أنهما عريانان تقول:

وسمعا صوت الرب ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وأمرأته من وجه الرب الآله في وسط شجر الجنة، فنادى الآله آدم وقال له: اين انت؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لاني عريان فاختبأت. (العهد القديم ـ سفر التكوين الاصحاح الثالث: ٨ ـ ١١).

وتقول التوراة أيضاً: (لما عزم بنو آدم بعد الطوفان ان يبنوا في بابل مدينة وبرجاً حصيناً لئلا يتبدّدوا على وجه كل الارض) نزل الرب لينظر المدينة والبرجَ اللذين كان بنو آدم يبنونهما وقال الرب هوذا شعبٌ واحدٌ ولسانٌ واحدٌ لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هلمَّ ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض» (سفر التكوين الاصحاح الحادي عشر: ٦ ـ ٨).

ولم تكن التوراة هي وحدها التي تنحو هذا المنحى في مجال التوحيد والمعارف الآلهية بل شاركها الانجيل في ذلك أيضاً.

جاء في انجيل مرقس الاصحاح

السادس عشر: ٢٠ ثم ان الرب (اي عيسى عليه السلام) بعد ما كلمّهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله.

وجاء في الرسالة إلى العبرانيين من العهد الجديد الاصحاح العاشر: ١٣.

وأما هذا فبعد ما قدّم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله.

وجاء في أعمال الرسل من العهد الجديد الاصحاح السابع: ٥٦ و ٥٨:

واما هو فشخَصَ إلى السماء وهو ممتلىء من الروح القدس فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله. فقال ها أنا أنظر السماوات مفتوحة وابن الانسان قائماً عن يمين الله.

كل هذا يقتضي التجسيم وان الله جل جلاله يحويه المكان ويكون له جهة يمين.

والجدير بالذكر أن اهل التوراة والانجيل لا يملكون أي تفسير عقلاني، وأي تأويل منطقي لهذه العبارات، من شأنه ان يرفع عنها طابع التجسيم، بل ويرفضون ان يحملوا هذه العبارات على المجاز والتجوز، أو يعالجوها بالتأويل وما شابه ذلك.

على أن هناك ما هو أصرح في التجسيم من هذه العبارات في التوراة نذكر ابرزها:

١ـ لله تعالى رجل ويد: ورأوا إلَه اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الازرق الشفاف وكذرات السماء في النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني اسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا. (سفر الخروج الاصحاح ٢٣: ١٠ ـ ١٢).

٢ـ لله سبحانه حدقة عين: ان قِسم الربّ هو شعبهُ يعقوب حبلُ نصيبه، وَجَدَه في أرض قفر وفي خلأ مستوحش خرب. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه!! (التوراة،سفر التثنية الاصحاح٣٢ ٩ ـ ١١)

٣ـ لله سبحانه أجفان: الربّ في هيكل قدسه. الربّ في السماء كرسيُّه. عيناه تنظران أجفانُه تمتحن بني آدم!! (المزامير المزمور الحادي عشر: ٤).

٤ـ لله سبحانه فم: بكل ما يخرج من فم الربّ يحيا الانسان!! (سفر التثنية: الاصحاح الثامن: ٨).

٥ـ لله جناحان. إحفظني مثل حدقة العين. بظلّ جناحيك أسترني!! (المزامير المزمور السابع عشر: ٨) وجاء في المزامير في المزمورُ الحادي والتسعين ايضاً: اقول للرب ملجأي وحصني آلهي فاتكلْ عليه لانه ينجيك من فخ الصيّاد ومن الوباء الخطرِ. بخوافيه[٣] يظلّلِك وتحت اجنحته

تحتمي!

٦ـ لله سبحانه انف: يمينك يا رب تحطِّمُ العدوّ ... وبريح أنفِكَ تراكمت المياهُ!! (سفر الخروج الاصحاح الخامس عشر: ٨).

٧ـ لله سبحانه موطيء قدم: ووقف داود الملك على رجليه وقال اسمعوني يا اخوتي وشعبي. كان في قلبي ان ابني بيت قرار لتابوت عهد الربّ ولموطيء قدمَي إلهنا.!! (اخبار الايام الأول من العهد القويم ـ الاصحاح الثامن والعشرون: ٢).

٨ـ الله سبحانه يبتلع: ابتلع السيّد (اي الله تعالى) ولم يشفق كلَّ مساكن يعقوب. (العهد القديم مراثي ارميا الاصحاح الثاني: ٢).

٩ـ الله يلتحف بالسحاب: نحن أذنبنا عصينا. انتَ لم تغفرْ ... إلتحفتَ بالسحاب حتى لا تنفذ الصلوات.!! (مر العهد القديم ـ مراثي ارميا، الاصحاح الثالث: ٤٢ ـ ٤٥).

١٠ـ الله سبحانه يضحك: الشرير يتفكر ضد الصديق ويحرّق عليه أسنانه. الربّ يضحكُ به لانه رأى أن يومه آت!! (العهد القديم المزامير المزمور السابع والثلاثون: ١٣).

هذه طائفة من نصوص العهد القديم (التوراة) التي تصرح بجسمانية الله، وقيامه سبحانه بكل ما يقوم به البشر من ابتلاع، وضحك، والتحاف، وله كل ما للبشر من يد، ورجل، وأنف، فم، وحدقة عين، واجفان، وجناحان، وموطئ قدم، وما شاكل ذلك .. وشا به.

يقول العلامة الطباطبائي بعد ذكر قضايا ونصوص من التوراة مماثلة لهذه النصوص.

اول ما يبدو لك من التوراة انها جعلت الرب تعالى موجوداً أرضيّاً على صورة انسان.. فحاله حال انسان ارضي من جميع الجهات، غير انه نافذ الارادة اذا اراد، ماضي الحكم اذا حكم، وعلى هذا الاساس يبتني جميع تعليمات التوراة والانجيل فيما يبثان من تعاليم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. (الى ان يقول:) مع ان الله جل شأنه متنزه عن الاتصاف بصفات المادة وأحوالها، متقدس عن لحوق عوارض الامكان وطوارق النقص والحدثان، وهو الذي يبينه القرآن[4].

ومن المؤسف جداً أن شيئاً كثيراً من هذه السفاسف حول الله تعالى أُدخلت بين ثنايا السنة الشريفة عبر رجال من اهل

الكتاب، أسلموا ظاهراً، ودسّوا في احاديث الرسول من تلك الاباطيل ليطعنوا الاسلام من خلف بعد أن فشلوا في مواجهته وجهاً لوجه.

ومن المؤسف أن هذه المدسوسات ـ التي اصطلح على تسميتها بالاسرائيليات ـ وجدت طريقها إلى مصادر بعض المسلمين الحديثية، والتفسيرية، والتاريخية، وتلقيت بالقبول رغم معارضتها لمعارف القرآن الكريم الواضحة البيّنة، ورغم انه كان يتوجب على المسلمين ان يعرضوا كل حديث مشتبه على الكتاب العزيز، ويحققوا فيه في ضوء ومقررات القرآن الكريم. فان انسجم معه أخذوا به ونقلوه ودوّنوه في كتبهم، وان تعارض مع روحه ونصه ضربوه عرض الحائط، وأعرضوا عن ذكره، وتسجيله، لكيلا يشوبوا عقيدة المسلمين بمثل هذه الشوائب

فقد نسبت طائفة من هذه الاحاديث المدسوسة، إلى الله سبحانه ما نسبته التوراة والانجيل من الجسمانية واليد الرجل، والساق، والقدم، والحقو؟ والعينين، والصوت، والذراع والصدر والوجه والاصبع والضحك والرؤية، والمكان والتنقل والنزول وموطئ قدم الى آخر[٥].

ولاشك في ان كل هذه الاباطيل مما دسه اليهود والنصارى في الاحاديث. يقول الشهرستاني: وضع كثير من اليهود الذين اعتنقوا الاسلام احاديث متعددة في مسائل التجسيم والتشبيه وهي كلها مستمدة من التوراة[٦].

٢ـ ان القرآن الكريم يصّرح في الكثير من آياته بنفي صفات المخلوقين عن الله سبحانه من جَهلٍ وعجز، وعبث وشر، وخداع وكذب، وندم وضعف بل يصفه تعالى بانه العالم القادر، الحكيم الرحيم، المحيط بما خلق، الهادف مما يَعمل، والايات في هذا المجال اكثر من أن تحصى، ولكننا نذكر هنا نماذج منها للعالم:

قال سبحانه: « **ويعلم ما في السماوات وما في الارض والله على كل شيء قدير** » (آل عمران/ ٢٩).

وقال تعالى: « **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الاّ هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلاّ يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين** » (الانعام/ ٩٠).

وقال سبحانه: « **إن الله يعلم غيب**

السماوات والارض والله بصير بما تعملون » (الحجرات/١٨).

وقال تعالى: « **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » (الملك/ ١٤).

وقال تعالى: « **وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض**» (فاطر/ ٤٤).

وقال تعالى: « **واعلموا انكم غير معجزي الله** »(التوبة/ ٢).

وقال تعالى: «**افحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون**» (المؤمنون/ ١١٥).

وقال سبحانه: «**وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا** » (ص/ ٢٧).

وقال تعالى: « **وكان الله بكل شيء محيطاً**» (النساء/ ١٢٦).

ان ما يقرره القرآن الكريم من هذه الصفات لله تعالى أمر يؤيده العقل، بل ويوجبه للآله الخالق، المدبر للكون الواجب الوجود، وتفصيل القول في هذا المجال موكولٌ إلى كتب علم الكلام والفلسفة.

ولكننا نلاحظ في التوراة والانجيل (العهدين) نصوصاً تصّرح بوصفِ الله تعالى بالجهل، والعبثية، والندم والحزن مما فعل:

جاء في الاصحاح السادس من سفر التكوين: ٦ ـ ٨: ورأى الرب أن شّر الانسان قد كثر في الارض وأن كلّ تصور افكار قلبه إنما هو شّرير كلّ يوم. فحزن الرب أنه عمل الانسان في الأرض. وتأسف في قلبه. فقال الرب أمحوا عن وجه الرب الانسان الذي خلقته. الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء. لاني حزنت أنّي عملتهم.

وجاء في الاصحاح الثاني من سفر التكوين: ١٥ ـ ١٨:.

واخذ الرب الآله آدم وضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها واوصى الرب الاله آدمَ قائلا: من جميع شجر الجنة تاكل أكلا. اما شجرة معرفة الخير والشر فلا تاكل منها. لانك يوم تأكل منها موتا تموت.

ثم جاء في الاصحاح الثالث من نفس السفر (التكوين): ٢ ـ ٨:.

وكانت الحيّة أحيَل جميع الحيوانات البرّية التي عملها الرب الآله. فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تاكلا من كل شجر الجنة، فقالت المرأة للحيّة من ثمر الجنة نأكل. وأما ثمر الجنة التي في وسط الجنة فقال الله لا تاكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا؛ فقالت الحيّة للمرأة: لن تموتا. بل الله عالم

انه يوم تاكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفَين الخيَر والشَر. فرات المرأة ان الشجرة جيدة للأكل وانها بهجة للعين وان الشجـرة شهيّة للنظر فاخذت من ثمرها واكلت واعـطت رجُلَها أيضاً معها فأكل. فانفتحت أعينهما انهما عريانان.

وجاء في آخر هذاالاصحاح: ٢٢ ـ ٢٤ من نفس السفـر: وقال الرب الآله هو ذا الانسان قد صار كواحد منّا عارفاً الخير والشّر. والآن لعلّه يمــدّ يده ويـأخـذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل يحيا إلى الابد.

انـظر كيف تنسب التـوراة الخـداع والكذب وإلى الله تعالى. في النصوص الثلاثة الاخيرة، كما نسب الندم والتأسف إلى الله في النص الذي تقدمها.

الجدير بالذكر هنا هو أن القرآن الكريم دأب على عرض كل المســائل التوحيدية، على العقول، وحثها على التفكير فيها، حتى انـه تكـررت لفـظة «العقل» و «الفكر» و «اللب» و «النـظر» بصيغها المختلفةخاصّة عقيب آيات العقيدة اكثر من خمسمائة مرة، بينمــا لا يدعــو إلا إلى التعبــد في التشريعات على الاغلب، وكأن القرآن يعتبر نفسه في مجال الاعتقادات بمثابة المرشد والمشـير، ويرى أن على العقل بنفسه ان يسلك طريق المعرفة، ويرتقي في مدارجها في ضوء ارشادات القرآن وتوجيهاته، ويرتقي في مدارجهــا في ضوء ارشــادات القــرآن وتــوجيهـاتــه، وبالتالي: عليه ان يتدبر في استـدلالات الكتــاب العـزيـز، ويتأمل في براهينــه، فيعتقـد ما يعتقـده في هذا المجال عن تحقيق لا تقليد. وهذا ينبئ عن صحــة وسلامة ما يعرضه القرآن الكريم من المعارف والمفاهيم، فهو يخاطب العقلاء ويدعوهم إلى التحقيق فيما يقول، ويتحدى أن يأتي أحد بما يفند شيئاً من مفاهيمه.

وفي ختام هذا البحث ينبغي أن نشير إلى ما كتبه العلامة الطباطبائي في ميزانه حول قوله تعالى: **«وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيمناً عليه»**.

فقـد كتب رحمــه الله يقـول: «هيمنة الشيء على الشيء ـ على ما يُتَحَصَّــل من معناها ـ كونُ الشيء ذا سلطة على الشيء في حفـظه ومراقبته وأنواع التصرف فيه، وهــذا حال القرآن الذي وصفه الله تعالى بانه تبيان كل شيء بالنسبة إلى ما بين يديه من الكتب السماوية، يحفظ منها الاصول الثابتة غير المتغيرة، وينسخ منها ما ينبغي أن ينســخ من الفــروع التي يمكن أن

يتطرق اليها التغير، والتبدل حتى يناسب حال الانسان بحسب سلوكه صراط الترقي والتكامل بمرور الزمان، قال تعالى: «**ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم**» (الاسراء/ ٩٠) وقال: «**ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخير منها او مثلها**» (البقرة/ ١٠٦).

وقال: «**الذين يتبعون النبي الأمي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون**» (الاعراف/ ١٥٧).

فهذه الجملة اعني قوله: «**ومهيمناً عليه**» متممةُ لقوله: «**ومصدّقاً لما بين يديه من الكتاب**» تتميم ايضاح اذ لولاها لا مكن ان يتوهَم من تصديق القرآن للتوراة والانجيل أنه يصدق ما فيهما من الشرائع والاحكام تصديق إبقاء من غير تغير وتبديل، لكن توصيفه بالهيمنة يبين ان تصديقه لها تصديق أنها معارف وشرائع حقة من عند الله ولله أن يتصرف فيها بمايشاء من النسخ والتكميل كما يشير اليه قوله ذيلاً: «**ولو شاء الله لجعلكم أمة احدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم**»

فقوله: «**مصدّقاً لما بين يديه**» معناه تقرير ما فيها من المعارف والاحكام، بما يناسب حال هذه الامة، فلا ينافيه ما تطرّق اليها من النسخ والتكميل والزيادة كما كان المسيح عليه السلام أو انجيله مصدقاً للتوراة مع احلاله بعض ما فيها من المحرمات كما حكاه الله عنه في قوله: «**ومصدقاً لما بين يديَّ من التوراة ولأحلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم**» (آل عمران/ ٥٠)[٦].

اذن فالهيمنة القرآنية على الكتب الاخرى ـ حسب هذا التفسير ـ تعني ان القرآن يصدّق ما تتضمنه الكتب السماوية المتقدمة عليه من المعارف والشرائع، لكن لا تصديق ابقاء لجميع تلكم المعارف والشرائع بل يغيّر منها ما لا يراه مناسباً لحال البشرية، في مرحلتها الراهنة، ومراحلها المستقبلة.

ويشير صاحب «في ظلال القرآن» إلى ما يشمل هذا الرأي وما ذكرناه في المبحث السابق، اذ قال عند قوله تعالى: «**ومهيمناً عليه**»

«فهذه الصورة الاخيرة لدين الله، وهو المرجع الاخير في هذا الشأن، والمرجع الاخير في منهج الحياة وشرائع الناس، ونظام حياتهم بلا تعديل بعد ذلك ولا تبديل، ومن ثَمّ فكل اختلاف يجب ان يُرَدَّ الى هذا الكتاب، ليفصل فيه سواء كان هذا الاختلاف في التصوّر الاعتقادي، بين أصحاب الديانات السماوية، أو في الشريعة التي جاء بها هذا الكتاب بصورتها الاخيرة، او كان هذا الاختلاف بين المسلمين انفسهم، فالمرجع الذي يعودون اليه بآرائهم، في شأن الحياةِ كلّه هو هذا الكتاب، ولا قيمة لآراء الرجال، ما لم يكن لها أصل يستند اليه من هذا المرجع الأخير»(٧).

النتائج المترتبة على هذا البحث

وتترتب على هذا البحث نتائج عديدة هامة أبرزها ما يأتي:

١- ان القرآن الكريم يقرّر - في ضوء هذا البحث - وحدة الآديان الآلهية في الأُصول والأُسس، اذ أنه يثبت ما ورد منها وبصورة صحيحة في الكتب السماوية المتقدمة عليه، ويصدّقها ويؤيدها ويؤكدها بامانة.

٢- إن القرآن ليس متخَّذاً من كتب اليهود والنصارى اذ لو كان متخذاً ومقتبساً منها لكان أميناً على ما يأخذ منها، ولما عارض الكثير من مقررات تلك الكتب في مجال التوحيد والتكوين والتشريع، والتاريخ والاخلاق، ولما هاجمها في هذه المواقع، وشدّد النكير على مرتكبي التحريف فيها.

صحيح ان هناك تشابهاً بين الحقائق القرآنية والحقائق التوراتية والانجيلية وهو أمر يصرح به القرآن نفسه اذ يقول من دون خيفة او توجس: «**وانه لفي زبر الاوّلين**»(الشعراء/١٩٦) «**ان هذا لفي الصحف الاولى صحف إبراهيم وموسى**» (الاعلى/١٨ - ١٩) (**أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل**» (الشعراء/١٩٧).

ولكن التشابه والاتفاق شيء والاقتباس شيء آخر وبينهما فراغ شاسع وفرق كبير.

٣- أن على البشرية أن تتبع القرآن الكريم وتتخذه دستوراً لحياتها، لان القرآن وان لم ينكر انتساب أُصول الكتب السماوية الرائجة والديانات المستندة اليها، إلى الله، إلا أنه بنسخه ما لا يتناسب من أحكامها مع احتياجات

البشرية المتطورة، وإتيانه باحكام وقوانين عامة وجزئية تتمشى مع متطلبات الاجيال والعصور يكون قد عرض منهجاً اكمل وشريعةً أفضل، وديناً أقوم.

٤ـ أن الثغرات والعيون الموجودة في الكتب السماوية الرائجة هي التي دفعت بعلماء الغرب ومثقفيه إلى الابتعاد عن الدين المتمثِّل في الكنيسة وكتبها ورجالها لتصادم اكثر مقرّرات هذه الكتب مع القضايا العقلية المسلّمة، والقوانين العلمية الثابتة عن طريق التجربة والاستدلال، وهذا ما صّرح به اكثر من واحد منهم.

ومن هنا يكون إعطاءُ مقارناتٍ ومقايساتٍ دقيقة بين القرآن الكريم والكتب السماوية الرائجة مدعومةً بالادلة العقلية والمنطقية القوية افضل وسيلة لاجتذاب اولئك المثقفين والعلماء إلى حظيرة الاسلام.

٥ـ ان هذه المقايسة، بين معارف القرآن الكريم ومحتويات الكتب السماوية الرائجة، ومسألة الهيمنة القرآنية على تلك الكتب من شأنها أن تثبت مسألة «مصونية القرآن من التحريف».

فان أيدي الدس والتحريف وان طالت بعض مصادر الحديث، وبعض مجالات السنة كما عرفت، إلا أنها ـ رغم الدواعي القوية لدى مُسْلمة اهل الكتاب ـ لم تطل الكتابَ العزيز، ولم تستطع أن تنال منه. ولهذا كان هذا الكتاب (القرآن الكريم) المصدرَ الاسلاميَ الوحيدَ الذي لم تطرأ عليه الزيادة والنقصان، ولا التصحيفُ ولا التحريفُ وبذلك يكون المعيار الوحيد لتمحيص حتى السنة النبوية والاحاديث والاخبار. ولهذا جاء في الحديث «اذا جاءكم عني شيء فأعرضوه على القرآن».

٦ـ إن هذه الهيمنة التي يمتاز بها القرآن الكريم تؤهّلُهُ لأن يكون ـ بحق ـ الكتابَ الابديَّ الخالدَ الذي يغني البشرية عن أي كتاب آخر إلى قيام الساعة، لكونه يقرر الحقائق النهائية في جميع المجالات التي يخوضها، ويرفع النقاب بعنايةٍ إلٰهيةٍ عن كل ما لا يتوصل اليه البشرية إلّا بعد لأيٍ ومن خلال قرون من التجارب المختبرية والتحقيقات العلمية من أُمور تتعلق بالكون والانسان والحياة.

ولا شك ان اثبات هذا الكلام بصورة جزئية وعبر بيان المصاديق والشواهد العينية يحتاج إلى بذل جهود كثيرة،

واعداد دراسات يقوم بها علماء أو لجان بصورة مستمرة، على أن لا يقتصر ذلك على مسألة الاعتقادات والاخلاق بل تشمل كلَّ مناحي الحياة، والكون، والانسان.

٧ـ ان المقارنة والمقايسة بين معارف القرآن الكريم وبين محتويات الكتب السماوية المتداولة تكشف عن المصدر الآلهي للقرآن من أوله إلى آخره، بينما تكشف ـ في الوقت نفسه ـ عن المصدر البشري لكثير من محتويات التوراة والانجيل، حيث طابعُ التفكير البشريِ المحدودِ والماديّ يغلب على اكثر محتويات هذين الكتابين. وهذا بدوره يضع الانسان أمام مرجَعين احدهما مطمئن، والآخر غير مطمئن. الأول هو القرآن والاخر هو غيره من والملفت للنظر أن هذه النقطة استوقفت الكثير من المفكرين الغربيين فراحوا يتساءلون عن مدى أصالة و آلهية العهدين، ونمثل لذلك بالكاتب الفرنسي «موريس بوكاي» في تأليفه «التوراة والانجيل والقرآن والعلم» حيث قال في الصفحة ١١ منه: وثمة فرق اساس آخرين المسيحية والاسلام فيما يتعلق بالكتب المقدسة ذلك هو غياب النص الموحىٰ به ـوالمحدّد في الوقت نفسه ـ عند المسيحية، بينما يملك الاسلام القرآن الذي يحقق هذا التعريف.

إن القرآن هو نصُّ الوحي المنزّل على محمّد من سيّد الملائكة جبرئيل[٧] قد كتب في الحال ثم حفظه المؤمنون عن ظهر قلب. ردَّدوه اثناء صلواتهم، وبخاصة طيلة شهر رمضان. وقد رتب محمّد آياته في سور[٨]، جمعت مباشرة عقيب وفاته .. (الى أن قال) وخلافاً لما جرى في الاسلام فان الوحي المسيحيّ انبنىٰ على شهادات انسانية (بشرية) متعددة وغير مباشرة، لاننا لا نملك أية شهادةً مِنْ شاهدٍ عاين حياة المسيح، خلافاً لما يتصوره كثير من المسيحيين وهكذا تجدها مطروحة مسألةُ أصالة نصوص الوحي المسيحي والوحي الاسلامي.

ثم يطرح سؤالًا في الفصل الذي عقده تحت عنوان «العهد القديم» هو: من هو مؤلف العهد القديم؟ كم من قارئٍ للعهد القديم يُلقىٰ عليه هذا السؤال فلا يحير جواباً إلّا مردّداً ما قرأه في مدخل التوراة بأن مؤلف هذه الكتب المقدمة كلها هو الله، مع أن الذين كتبوها هم بشر من الذين أوحى الروح القدس اليهم. (راجع ص ١٥).

ويقول في الصفحة ٢٢ من هذا الكتاب تحت عنوان أسفار العهد القديم وبعد ان يستعرض قضية اشياء كتبت بعد النبي موسى بقرون ثم الحقت بالتوراة: لقد اختلط الوحي بكل هذه الكتابات. ولا نعرف اليوم الا ما تركه لنا منه الذين عالجوا نصوصه حسب أهوائهم وفقاً للظروف التي وجدوا فيها، والضرورات التي واجهوها.

إن هذا الكلام من الأهمية بمكان فهو اعتراف يكتبه فرنسي في اواخر القرن العشرين، وهو يكشف عن اعجاز القرآن، وانه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وعلى صدق دعوة محمد صلّى الله عليه وآله وصدق الله تعالى اذ يقول « **فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً. فويل لهم مما كسبت أيدبهم وويل لهم ممايكسبون** البقرة/ ٧٨ [(٨)].

هذه دراسة عابرة وموجزة لهذه الناحية الهامة في القرآن الكريم نرجو أن نوفق إلى متابعتها مستقبلا ان شاء الله تعالى.

الهوامش:

(١) كما في قصة البقرة التي جاءت قصتها مفصلةً في الايات/ ٦٧ ـ ٧٢ ولم تذكر في التوراة الموجودة عند اليهود، راجع تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ج١. ص ٢٠٠.

(٢) الميزان ج١، ص ٣٤٠ ـ ٣٤٣.

(٣) الخوافي هي الريش الصغار من الاجنحة..

(٤) الميزان ج٦، ص ٣٢٦ ـ ٣٢٥.

(٥) راجع كتاب السّنة للامام احمد بن حنبل، والتوحيد واثبات صفات الرب لابن خزيمة، وصحيح البخاري ج او ٢، و ٥ و ٦ و ٨ و ٩ وصحيح مسلم ١ ج ٢ و ٦ و ٨.

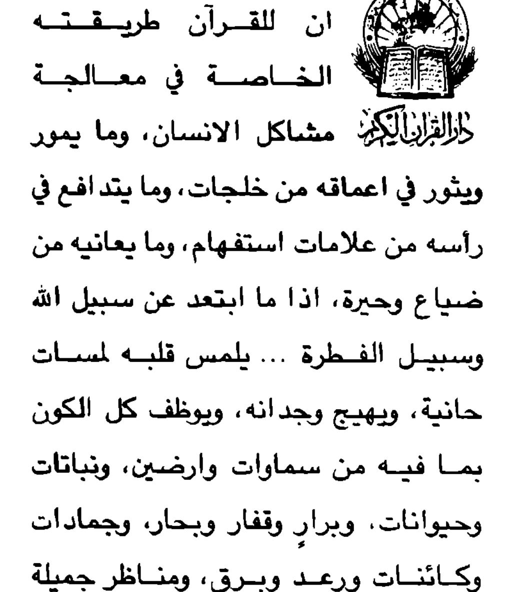
(٦) راجع الملل والنحل ج١؟ ١١٧ ومقدمة تبيين كذب المفتري ومقدمة ابن خلدون والمنار للسيد محمد رشيد رضا، وضحى الاسلام لاحمد امين واضواء على السنة المحمدية للشيخ ابو رية

(٧) ان كان يقصد عن طريق وبواسطة هذا الملك فصحيح، وإلا فلا، فان القرآن نزل على رسول الله (ص) من جانب الله.

(٨) ان كان يقصد حسب ذوقه فغير صحيح وإلاّ فان رسول الله وضع كل آية و سورة في موضعها الفعلي، ورتب القرآن على ما هو عليه الآن بأمر الله وارشاده.

من صور الجبال في القرآن

السيد علي اشرف



ان للقرآن طريقته الخاصة في معالجة مشاكل الانسان، وما يمور ويثور في اعماقه من خلجات، وما يتدافع في رأسه من علامات استفهام، وما يعانيه من ضياع وحيرة، اذا ما ابتعد عن سبيل الله وسبيل الفطرة ... يلمس قلبه لمسات حانية، ويهيج وجدانه، ويوظف كل الكون بما فيه من سماوات وارضين، ونباتات وحيوانات، وبرارٍ وقفار وبحار، وجمادات وكائنات ورعد وبرق، ومناظر جميلة خلابة..وكل مظاهر الكون التي تحيط بالانسان ليربط عقله وقلبه وفطرته ووجدانه ثم يقول له:

مَنْ خلق السماوات والارض؟

فياتي الجواب من اعماق الفطرة..الله خالق كل شيء.

ان الله هو الذي خلق الانسان ومنحه فطرته، وهو اعرف بمساربها، واخبر باساليب التأثير عليها...فاذا ما خاطبه بايات القرآن حرّك نياط القلب واوتار العقل بانامل الفطرة.

ان القرآن يرفع من اهتمامات البشر بقدر ما يرفع من تصورهم للوجود الانساني وللوجود كله، وبقدر ما يكشف لهم عن علة وجودهم وحقيقته ومصيره، وبقدر ما يجيب اجابة صادقة واضحة عن الاسئلة التي تساور كل نفس:

من اين جئت؟

لماذا جئت؟

الى اين اذهب؟

واجابة القرآن عن هذه الاسئلة تحدّد التصور الحق للوجود الانساني وللوجود كله، فان الانسان ليس بدعاً من الخلائق كلها. فهو واحد منها. جاء من حيث جاءت وشاركها علة وجودها، ويذهب الى حيث تقتضي حكمة خالق الوجود كله ان يذهب، فالاجابة على تلك الاسئلة تشمل كذلك تفسيراً كاملاً للوجود كله وارتباطاته وارتباطات الانسان به وارتباط الجميع بخالق الجميع[1].

* * *

ومن ابرز مظاهر الكون التي يرتعش لها الكيان الانساني ويرتجف هي الجبال .. الجبال التي كانت تحيط بالانسان العربي الذي يعيش الصحراء، ويعيش الطبيعة كما خلقها الله: ويرى عظمتها وشموخها وغموضها ، وضآلته وتصاغره امامها فيسأل عنها.. ويقف تجاهها وقوف الخائف الوجل المتهيّب من هولها وفخامتها فيهتز وجدانه اهتزازاً ويضطرب كيانه اضطراباً، ويستسلم لسؤال الفطرة:

من خلق هذا الوجود الهائل الجاثم على سطح الارض؟

فيجيبه القرآن جواباً يحرك وجدانه ويخاطب قلبه..يخاطب مناطق الاحساس الساخنة في الانسان ومناطق الادراك البادرة..يخاطبه بكل وجوده.. «**هو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهار**» - الرعد / ٣.

فالقرآن يعالج قضية العقيدة بايقاظ الفطرة وتجنيد كل المؤثرات لينبه الوجدان الساهم والقلب الغافل الى الحقائق المكنونه في هذا الكون الفسيح التي يعيشها الانسان جامدة هامدة لاروح فيها نتيجة غبار الشهوات والاهواء الذي يغمر وجوده، وطغيان ثقل التراب على شفافية الروح في ميزان حياته، فتغشاه الغواشي، ويغرق في غمرات الرتابة في مشاهداته اليومية، فينفخ فيها القرآن روح الغيب فيحولها الى موجودات حية نابضة متحركة تدعو الى الله.. «**وترى الجبال جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون**» «**والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج؛ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب**»..ويصيرها لساناً ناطقاً مسبحاً

بحمد الله وآلائه «**إنّا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق**..» - ص/٣٨.

والقرآن كتاب هداية ودعوة..وظف كل الموكب الكوني في صور متناسقة مترابطة في طريق مسيرة البشرية المتمردة ليقودها الى الاطمئنان المطلق في ظل التوفيق بين حركة الموجودات وفق الارادة التكوينية وحركة الانسان ضمن الارادة التشريعية.. فيقطع الانسان حينها رحلته بوداعة ورخاء على اساس المخطط الرباني الذي سخر كل شيء فيه لخدمة هذا الموجود الضعيف..االظلوم.. العجول.. الكفور.. الجحود.. الكنود.. المتمرد.. العنيد.. «**وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه**» - الجاثية/١٣.

صور الجبال في القرآن الكريم

عرض القرآن صوراً منوعة للجبال في مراحل عديدة من عمر الارض، وحدد لها ادواراً مختلفة في كل فترة من فترات وجودها على سطح هذا الكوكب، ورسم لها مشاهد مختلفة.

وقورة شامخة، ثقيلة، راسية، راسخة، تبعث الاطمئنان والاستقرار والثبات...

ومضطربة، ثائرة، مدكدكة هائجة...تمسك الارض ان تميد حيناً..وترتجف وتسير وتخر حيناً آخر..وتدأ يمهد الارض لسكنى البشر..ومطارق تنشر الدمار والخراب.. لتتفاعل مع الوجود تماماً كأي موجود حي يعيش ارتعاشات الكون خلجاته..تتحرك في تناسق وتناسب مع حركة السماوات والارض.

فهي رواسي شامخات تبعث الحيوية والنشاط وتستقبل الامطار الهاطلة وتنفجر ينابيع وتجري خلالها الانهار حينما تكون السماء مصابيح مزينة للناظرين وتكون الارض سبلاً فجاجاً وجنات الفافاً وحدائق ذات بهجة وسكناً وقراراً..

وهي تغضب وتنتفض وتنتقم حينما تمور السماء وترتج الارض...

وتكون حساسة الى حد الاشفاق..فتتصاغر وتتضاءل وترتعد فتشفق عن حمل الامانة وتأبى لتحذر الانسان وتنذره وتهيأه لحمل مسؤوليته والاحتفاظ بامانته «**انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فابين**

أن يحملنهـا واشفقن منهـا وحملهـا الانسان..» ـ الاحزاب/ ٧٢.

وتـتنكـر مع الكـون كله اذا ما مسّ ضمـيرهـا كلمـة تخـالف الفـطرة وتقزز الضمير، «**وقالوا اتخذ الرحمن ولدا. لقد جئـتم شيئـاً إدّا. تكـاد السمـاوات يتفـطرن منـه وتنشق الارض وتخـر الجبال هدا. ان دعو للرحمن ولد..»** ـ مريم/ ٩٠.

«إن جرس الالفـاظ وايقـاع العبارات ليشـارك ظلال المشـهد في رسم الجو: جو الغضب والغـيرة والانتفاض؛ وان ضمير الكون وجوارحه لتنفض وترتعش وترتجف من سمـاع تلك القـولة النابية والمساس بقـداسـة الذات العليـة كما ينتفض كل عضو وكل جارحة عندما يغضب الانسان للمساس بكرامته او كرامة من يحبه ويوقره...»[٢].

الجبال الرواسي

«**والقىٰ في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون**» ـ النحل/ ١٥.

ان الله سبحانه وتعالى سخر السماوات والارضين والشمس والقمر والنجوم لهذا الكـائن المكلف باعمـار الارض وخـلافة الرب، فمـد له الارض وبسطها، واجرىٰ خلالها الانهار وجعلها ذات صدع ليخرج منها حباً ونباتاً «**والارض مددناها والقينا فيهـا رواسي**» ـ الحجر/ ١٩، «**والقىٰ في الارض رواسي أن تميـد بكم وبث فيها من كل دابة**» ـ لقمان/ ١٠، «**وسقاهم من السمـاء ماءً فراتا**» المرسلات/ ٢٧«**وجعل لهـم الارض قرارا**» ـ النحـل/ ٦١، فلا ميـدان ولا تأرجـح ولا اضـطراب ولا اهتزاز..وانما قرار وسكن.

ولايهمنا ما قيل من نظريات في طبيعة تكـوّن الجبـال ونتوئها علىٰ ظهر الارض، ويكيفينا ان نعرف أن الجبال تحفظ توازن الارض. «**والقـىٰ في الارض رواسي ان تميـد**» ـ لقمان/ ١٠ اي كراهة ان تميد وتضطرب، والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر.

والجبال في هذه المرحلة ثابتة مستقرة على الارض..تمسـك الارض فيطمئن لها الانسـان، ويسكن ويعيش في كنفها حياة طيبـة، ينتفـع بهـا وبعطائها، وما اروع الصورة التي يرسمها القرآن لهذا العطاء

في تقابل المعاني وربط الصور. فالجبال الرواسي تقابل الانهار الجواري..الجبال الصلبة الصلدة والحجرية القوية يقابلها النهر الجاري السيال المتحرك المتدفق..والانهار ذات علاقة وثيقة بالجبال..فمن الجبال تكون غالباً منابع الانهار حيث تجمّع الغيوم ومساقط الامطار ونزول البرد، وجريان المياه الى الوديان من القمم العالية.

كل هذا في فرصة العمر المحدود التي منحت للانسان كي يعبد الرزاق ذا القوة المتين في مرحلة استقرار الارض وثباتها...

والتعبير القرآني يجسد هذه المرحلة من خلال تجسيم ثقل الرواسي وشموخها.. «**والقى في الارض رواسي**» ـ النحل/١٥ و «**والقينا فيها رواسي**» ـ ق/٧.

كتل صخرية ثقيلة ملقاة..ملقاة..رواسي..شامخات: لئلا تميد الارض بالناس... وجودات قوية يمكن لها ان تثبت كالاوتاد تماماً «**والجبال اوتادا**» ـ النبأ/٧.

وتكون بيوتاً آمنة يرفل الانسان في ظلالها فارهاً هادئاً..ينحتها نحتاً.. «**وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين**» ـ الشعراء/١٤٩، و «**تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتا**» ـ الأعراف/٧٤، والنحت انما يكون في الصلب الصلد القوي..ينحتون وليس يبنون..ينحتون الجبال مرةً وينحتون من الجبال مرةً اخرىٰ.

مَنْ ذا الذي سخر هذه القمم السامقة، وهذا الكائن الهائل.؟.

انما هو الله الواحد القهار «**والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال اكنانا**» ـ النحل/٨١.

ربط حي للصور والمشاهدات المتكررة التي يخالها. الانسان حركة جامدة ميتة لا معنىٰ لها..يراها الانسان كل يوم..لا جديد فيها..منقطعة عن كل شيء..قطع متحركة برتابه مملّة يتساوىٰ وجودها وعدمها..نحلة تغادر الجبل لترشف الرحيق وتحوله الى عسل تتغذىٰ منه..وانسان يشاهد حركتها الرتيبة كل يوم فلا تدعوه الى التفكر ولا تحرك فيه كامناً..

ولكنّ القرآن يضخّ فيها زخماً وروحاً فينعش الصورة ويحييها حينما يخاطب النحلة ويوحي اليها ويجعلها صورة رائعة

من صور الوجود المطيع لله المؤتمر بأمره «**وأوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً**» ـ النحل/٦٨.

فهي انما تعمل بامر الله ووحيه والجبل مسخر لها من قبله..

وهكذا تجد في القرآن ربطاً لكل ظواهر الكون صغيرة وكبيرة بالمنشيء الاول، واستدلالاً فطرياً يفهمه كل من خوطب به من كل قطاعات المجتمع، وعلى اختلاف مستوياتهم ومداركهم..لا التواء ولا تعقيد..ولا تحليق في عالم الخيال والاحتمالات، ولا تفلسف لا يدركه الا نوع خاص من البشر. بل التصور القرآني هدى ونور تجده (واضحاً ناصعاً سهلاً هيناً ميسراً طبيعياً لا عوج فيه ولا لف ولا تعقيد ولا التواء..وهذا طبيعي فالتفسير القرآني للوجود هو تفسير صانع هذا الوجود لطبيعته وارتباطه..اما تصورات الفلاسفة فهي محاولات اجزاء صغيرة من هذا الوجود لتفسير الوجود كله والعاقبة معروفة لمثل هذه المحاولات البائسة.

انه عبث..وخلط..وخوض..حين يقاس الى الصورة المكتملة الناضجة المطابقة التي يعرضها القرآن على الناس فيدعها بعضهم الى تلك المحاولات المتخبطة الناقصة المتسحيلة الأكتمال والنضوج)[٢].

* تدكدك الجبال

ان هذه الجبال الراسيات الرواسخ..التي كانت قبل قليل تشيع الطمأنينة والثبات..تقف منتصبة كالوتد لتمسك الارض وتمنحها القرار..ويحسبها الرائي ثقلا لا يزحزح سوف نراها منتفضة مذعورة مفزوعة..تسير طوراً وتثور وتنسف وتتناثر طوراً آخر..تشترك مع الكون والافلاك في حملة مدمرة، ومطاردة تلوي الاعناق، وهجوم عنيف مرعب مهول يفني ولا يذر...

ياله من موقف ياخذ بتلابيب القلوب..يخلعها ويزيلها عن مستقرها..موقف تسير منه الجبال، وتنسف وتضطرب له الاوتاد، وترتجف وترنح وتتناثر فتكون كثيباً مهيلا.. فماذا ـ اذن ـ يبقى لهذا الانسان الضعيف..الخائف الوجلان..في يوم تشترك فيه الطبيعةبكل اجزائها لترسم صورة الفزع الاكبر وظلمة الاجواء

واختلال النظام..ويوم تمتد يد القدرة والقهر لتحيط بالجبال فتسيرها.

«**ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة**» ـ الكهف/٢٧، وتسير من سارت: اي تسير في الجو أو يذهب بها بأن تجعل هباءً منبثا، وبارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها[٤].

وحينما يضطرب الكون «**تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا**» ـ النحل/٨٨، والاتيان بالمصدرين للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة، اي موراً عجيباً وسيراً بديعاً لا يدرك كنههما[٥]..

حركه هائجة مائجة تسير فيها الجبال فتكون سرابا وتكون مطارق تدك الارض دكة واحدة لترسم النهاية المروعة المفجعة الحزينة لهذا الكون...موقف مهول تدك فيه الجبال..الجبال الوطيدة العظيمة التي كان الانسان يجوس خلالها بالامس تدك تماماً ككرة زجاجية..تحمل وتدك..هكذا..فتصبح قاعاً صفصفا ميسوسة كالصوف الواهن المنتفش وكالرمال الناعمة المتحركة تذروها الرياح..عرض مليء بالخوف والارتجاف والارتعاد والاصوات والانفجارات والدوي والقرقعة والغرقعة والصرير بعد ان تنسف الجبال والانسان كان يخشاها ويترصد مصيرها ويسأل عنها في الدنيا: «**ويسوأ لونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا. فيذرها قاعاً صفصفا. لا ترى فيها عوجاً ولا امتا**» ـ طه/١٠٥.

ينسفها اي يذرؤها ويثيرها فلا يبقي منها في مستقرها شيئاً، والقاع الارض المستوية التي لا تراب فيها والصفصف الارض المستوية الملساء التي لا زرع فيها، والعوج ما انخفض من الارض والامت ما ارتفع منها[٦] والمعنى اوضح من أن يبين.

وقيل ان رجلاً من ثقيف سأل النبي (ص) كيف تكون الجبال يوم القيامة مع عظمها؟ فقال: ان الله يسوقها بان يجعلها كالرماد ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها[٧].

وتقع الواقعة..وماذا سيحدث حينئذٍ؟

وماذا ينتظر الانسان؟

وماذا يُعدّ ليوم تسير فيه الجبال خفيفة رقيقة سريعة متناثرة قزع كقزع الغيوم المتقطعة وترتجف الارض وترتج، وتمور السماء وتذوب كالمعادن المذابة المكدرة ويتغير نظام الكون واوضاع الاجرام وكل

الروابط والنسب والعلائق؟.

هل سوف يبقى للبشر الضئيل الهزيل مقاومة وانكار **وتنصّل** ومغالطة وعبث واستخفاف بآيات الله اذا ما فتح قبله على القرآن.؟

فلنقرأ معاً الآيات الأولى من سورة الواقعة.

«**اذا وقعت الواقعة. ليس لوقعتها كاذبة. خافضة رافعة. اذا رُجّت الارض رجا. وبست الجبال بساً. فكانت هباءً منبثا**».

والبس..الفت وهو أن يصير الجسم بالدق اجزاء صغيرة متلاشية كالدقيق، والهباء هو الذرة من الغبار الظاهر في شعاع الشمس الداخل من كوة والانبثاث التفرق[8].

ونلاحظ ان هذه السورة تميزت باسلوبها الخاص الذي (يتناسب مع الصورة المروعة المفزعة التي يرسمها هذا المطلع بذاته..فالواقعة بمعناها وبجرس اللفظ ذاته ـ بما فيه من مد ثم سكون ـ تلقي في الحس كانما هي ثقل ضخم ينقضّ من عل ثم يستقر لغير ما زحزحة بعد ذلك ولا زوال «**ليس لوقعتها كاذبة**»؛ ثم ان سقوط هذا الثقل ووقوعه كانما يتوقع له الحس ارحجة ورجرجة يحدثها حين يقع، ويلبي السياق هذا التوقع فاذا هي خافضة رافعة..

ثم يبتدئ الهول في كيان هذه الارض...الارض الثابتة المستقرة فيما يحس الناس فاذا هي ترتج رجاً ـ وهي حقيقة تذكر في التعبير الذي يتسق في الحس مع وقع الواقعة ـ ثم اذا الجبال الصلبة الراسية تتحول ـ تحت وقع الواقعة الى فتات يتطاير كالهباء «**وبست الجبال بسا فكانت هباءً منبثا**» فما اهول هذا الهول...وما اجهل الذين يتعرضون له وهم مكذبون بالآخرة مشركون بالله وهذا اثره في الارض والجبال..وهكذا يزلزل الكيان البشري ويهول الحس الانساني تجاه قضية يذكرها المنكرون ويكذب بها المشركون)[9].

فالجبال ـ اذن ـ ترتعش لارتعاشات هذا الكون وتغضب لغضبه وتشترك كجزء في رسم الرعب والخوف والفزع الذي يحدق بالانسان «**يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى النا سكارى وما هم**

بسكاري».

* * *

والاستعراض السريع للآيات يكشف ان القرآن يصوّر الجبال في سوره الاولى.. وقورة، ثقيلة، راسيه، راسخة، شامخة، تمسك الارض ان تميد باهلها.

«**وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهار**» ـ الرعد/٣.

«**والارض مددناها والقينا فيها رواسي**» ـ الحجر/١٩.

«**والقى في الارض رواسي ان تميد بكم**» ـ النحل/١٥.

«**والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا**» ـ النحل/٦١.

«**امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهاراوجعل لها رواسي**» ـ النحل/٦١.

«**والقى في الارض رواسي أن تميد**» ـ لقمان/١٠.

«**وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها**» ـ فصلت/١٠.

هكذا هي: ثبات وقرار، ومثال للاشفاق، والاحساس، والخشوع، والانفعال، والذوبان امام عظمة جبار السماوات والارض.

«**ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا**» ـ الاعراف/١٤٣.

«**انا عرضنا الامانه على السماوات الارض والجبال فابين أن يحملنها واشفقن منها**» ـ الاحزاب/٧٢.

«**لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله**» ـ الحشر/٢١.

هذه الصورة الهادئة الوديعة لتي تبعث الاطمئنان، وتستوعب الانسان ترتبك في أواخر القرآن، وتبدو الجبال خائفة..وجله..مضطربة..تسير ثم تدك..وتبس..وتنسف.. ثم تصير منفوشاً..فكثيباً مهيلا..ثم لا تبقى منها حقد[illegible] سوى السراب..السراب «**وسيرت الجبال فكانت سرابا**».. السراب هو الموهوم من الماء اللامع في المفاوز، يطلق على كل ما يتوهم ذا حقيقة لا حقيقة له على طريق الاستعارة، لعل المراد بالسراب في الآية هو المعنى الثاني.

وتسيير الجبال ودكها ينتهي ـ بالطبع ـ

الى تفرق اجزائها، وزوال شكلها كما وقع في مواضـع من كلامـه تعالى عند وصف زلزلة السـاعـة وآثـارها..فتسيير الجبال ودكها ينتهي بهـا الى بسـهـا، ونسفهـا، وصيرورتها كثيباً مهيلا وكالعهن المنفوش، اما صيرورتها سرابا بمعنى ما يتوهم ماءً لامعاً فلا نسبة بين التسيير وبين السراب بهـذا المعنى...نعم ينتهي تسيـيرهـا الى انعـدامهـا وبـطلان كينـونتها وحقيقتها بمعنى كونهـا جبـلاً، فالجبال الراسيات التي كانت ترى حقائق ذوات كينونة قوية لا تحركها العواصف تتبدل بالتسيير سرابا باطلاً لا حقيقية له[١٠].

فهي ترتجف أولا..«**يوم ترجف الارض الجبال**» ـ المزمل/ ١٤.

وتسير لتندك وتعرى الارض من كل نتوء وتهيأ الانسان ليوم لا يسال حميم حميما.

«**ويـوم نسـير الجبال وترى الارض بارزة**» ـ الكهف/ ٤٧.

«**ويـوم تمـور السمـاء مورا وتسـير الجبال سيرا**» ـ الطور/ ١٠.

«**وسيرت الجبال فكانت سرابا**» ـ النبأ/ ٢٠.

«**واذا الجبال سيرت**» ـ التكوير/ ٣.

وتحمل حملاً هي والارض، ثم تدك دكة واحدة، وتنسف، وتبس، وتذر هباءً منبثاً.

«**ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعاً صفصفا لا ترى فيهـا عوجـاً ولا امتـا**» والمستفـاد من السياق ـ هنا ـ ان بروز الارض مترتب على تسيـير الجبال فاذا زالت الجبال والتلال ترى الارض بارزة لا تغيب ناحية منها عن أخرى بحائل حاجز و لا يستتر صقع منها عن صقع بساتر[١١].

«**واذا الجبال نسفت**».

«**اذا رجت الارض رجا وبُسّت الجبال بسا**».

«**وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة**». الدك اشد الدق وهو كسر الشيء وتبديله الى اجزاء صغار..وتوصيف الدكة بالواحدة للاشارة الى سرعة تفتتها بحيث لا تحتاج الى دكة ثانية.

واخـيراً تكـون عاقبـة هذه الكيـانات الضخمـة الصلبة الصلدة عهنا منفوشاً وكثيباً مهيلا ثم الى السراب..

«**وسيرت الجبال فكانت سرابا**».

«**يـوم تكـون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن**» ـ المعارج/ ٩.

«**وتكون الجبال كالعهن المنفوش**» ـ القارعة/ ٥. والعهن الصوف ذو الالوان المختلفة، والمنفوش نشر الصوف بالندف وغيره، والعهن المنفوش اشارة الى تلاشي الجبال على اختلاف الوانها فان منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود»[١٢].

«**يوم ترجف الارض وكانت الجبال كثيباً مهيلا**». الرجف الاضطراب الشديد، والكثيب الرمل المجتمع الكثير، والمهيل هو الرمل الذي اذا حرك اسفله سال اعلاه[١٣].

وبعد كل هذه القرقعه والضجيج الذي يحدثه اختلال النظام الكوني، وارتطام الجبال..يخيم السكوت المطبق المخيف الذي يخلع القلوب، وتخشع الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا، ويضع الميزان با لقسط، ويفتح الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها..في جو من الترقب..والانتظار..لينظر الانسان ما قدمت يداه..ويقول «**يا ليتني قدمت لحياتي**» ولكن هيهات فانه يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وانما يساقون الى جهنم زمرا..

«**ويجزي الذي آمنوا وعلموا الصالحات باحسن ما كانوا يعملون** ثم يساقون الى الجنة زمرا وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون

الهوامش

(١) في ظلال القرآن: م[٧]، تفسير سورة الطور، ص ٣٨.

(٢) المرجع السابق: م[٥]، تفسير سورة مريم، ص ٥٥.

(٣) المرجع السابق: م[٧]، سورة الطور، ص ٣٧.

(٤) الكشاف: ج[٣]، ص ٤٨٧.

(٥) روح المعاني للآلوسي: تفسير سورة الطور.

(٦) ميزان الحكمة: ج[١٤]، ص ٢١٠ ـ البرهان: ج[٢] ص ٣٣.

(٧) ميزان الحكمة: ج[٧] ص ٨٧ **نقلاً عن** المجمع ج٧، ص ٢٩.

(٨) الميزان: ج ١٩، ص ١١٦ ـ البرهان: ج٤ ص ٢٧٣.

(٩) في ظلال القرآن: تفسير سورة الواقعة، ص ١٣٢.

(١٠) الميزان: ج ٢٠، ص ١٦٦.

(١١) المرجع السابق: ج١٣، ص ٣٥.

(١٢) المرجع السابق: ج ٢٠، ص ٩، ٢٤٩.

(١٣) المرجع السابق: ج ٢٠، ص ٦٧ عن الراغب والمجمع.

اِقتراحات في المنهج التفسيري

محمد جعفر صدري
ترجمة علي جمال الحسيني



تكمن أهمية الكلام في عظمة المتكلم وقوة الكلام، فكلما كان المتكلم عظيماً وكان كلامه متقناً، عذباً، خلاباً، عميقاً كان الاهتمام به اكبر.

والقرآن الكريم يتوفر على هذين العنصرين، فهو كلام الباري جل وعلا، المنزل على قلب خير البشر رسوله الاكرم وقوّتهواتقانه، والفاظه المحدودة المعبّرة عن مفاهيمه اللامحدودة، وفصاحته وبلاغته، وعمقه، وجماله تذعن له العقول وتنشدّ القلوب والالباب.

وهذه الخصوصيات تبعث جميع المسلمين لاستنطا ق كلام الله، واستبيان آياته؛ ومن الطبيعي أن المسؤولية الملقاة على عاتق المسلمين تتأكد وتتعاظم على المتخصصين والعلماء الذين نذورا انفسهم للتفقه في الدين، وانذار الناس، وتبليغ شريعة سيد المرسلين، فعليهم أن يضعوا التفسير في مصاف العلوم الاسلامية المهمة الأخرى، ويعالجوه معالجة علمية موضوعية تقطع بهم المسافة الشاسعة بين الشعور بالمسؤولية وضرورة العمل وبين تحقيق هذه الضرورة وما اكثر المزالق والعقبات التي تكتنف هذا الطريق.

ومن هنا نلمس اهمية العثور على منهج صحيح يعبّد لنا الطريق، ويهدينا الى الصراط المستقيم، وييسر علينا تجاوز المزالق بسلام، ويعرفنا على المصادر

والمنابع التي تزودنا بالغذاء القرآني السليم لأداء مهمتنا تجاه كتاب الله العزيز.

* * *

لكل علم من العلوم مصادر ومنابع ومبانٍ ومناهج خاصة به تؤدي دوراً مهماً في دراسته وفهمه وبيانه، والتفسير علم من هذه العلوم له مبانيه ومنابعه ومناهجه سنمر عليها مروراً عاجلاً من خلال البحث:

أ- مباني التفسير: وهي مجموعة الاسس والنظريات التي يتركز عليها البناء التفسيري، وينطلق منها المفسر لتفسير الآيات الكريمة تذكر عادة في مقدمة التفاسير وتذكر احياناً في علوم أخرى كالاصول والادب وغيرها.

ب - المنابع: وهي مجموعة العلوم، والمعارف، والمصادر المختلفة التي يحتاجها المفسر في تفسير الآيات، وتفصيل المفاهيم القرآنية، وشرح الكلمات كالقرآن، والروايات، واحكام العقل، واللغة، والادب .. وغيرها.

ج - المناهج: ينتهج المفسر منهجاً معيناً يطوي مراحله ويسلك مساربه اما عن وعي وقصد أو عن ارتكازٍ وقريحة بحيث لو سألته عن منهجه يصعب عليه تحديده؛ كما كتب الكثير من مفسرينا وسُجّل لهم نجاحُ ملْحوظ ولعبوا دوراً مهماً في حلّ المعضل االقرآني. ولكن لازال الضباب يكتنف السبيل الذي سلكوه وطريق الوصول الى هذه النتائج الباهرة، ومما يؤسف له ان المفسرين انفسهم لم يفردوا المناهج بدراسة وبحوث مستقلة ومشبعة.

ومما لاشك فيه ان العثور على منهج صائب مطمئن نسبياً وتحديد مراحله، وتوضيح معالمه بالامثلة يشكل حصانة عن الانحراف في المسيرة التفسيرية، ويدفع عجلة التفسيرالتكاملية نحو الامام، ويرفع من مستوى العطاء والاتقان والنضوج، ويجمع الرأي التفسيري ويوحده.

الأطروحة المقترحة

لا نريد أن نقدم هنا مشروعاً جديداً ابداعياً،بل نريدان‌نجمع المتفرق، وننظم المتشتت، ونرتب المتبعثر، فكل ما سنورده انما جمعناه من الاولين - علماء ومفسرين - قمنا باعداده وتنظيمه كما هو واضح من

الجو العام للاطروحة.

القسم الاول: مباني التفسير:

يُدرس في هذا القسم الركائز الاساسية للتفسير ضمن النقاط التالية:

- **امكان فهم القرآن**: تدرس الآراء والنظريات؛

الاخبارية،

الاشعرية،

الباطنية.

وغيرها من الاراء والنظريات التي تعرضت لموضوع فهم القرآن والشبهات الواردة في هذا البحث.

مراتب فهم القرآن: تُدرس فيه مراتب استيعاب الناس وتلقيهم علىٰ اختلاف مستوياتهم في فهم القرآن وآياته ومفاهيمه وتنقسم الى المراتب التالية:

* معرفة معاني الالفاظ (الترجمة).
* التفسير.
* البطن.
* التأويل، وهنا يشار الى معاني كل واحدة من هذه المستويات وما جاء فيها من بحوث ودراسات.

- **التفسير وحدوده**: يُدرس فيه:

* الفرق بين التفسير وبيان معاني الالفاظ (الترجمة).
* الفرق بين التفسير والبطن.
* الفرق بين التفسير والتأويل، وبعد تقرير نتائج البحث نصل الى معرفة اهمية الاعتماد على ظواهر الكتاب فندرس:

- **التفسير والاصول اللفظية**:

ويشمل:

* وحجته ظواهر الكتاب.
* واهم مباحث الالفاظ ونماذج منها.

وبعد ذلك ننتقل لدراسة:

- اساليب القرآن البيانية بشكل عام ومن خلال نظرة كلية ضمن العناوين التالية:

* المحكم والمتشابه.
* العام والخاص.
* المجمل والمبين.
* التكرار.
* الناسخ والمنسوخ.
* المطلق والمقيد.
* الايجاز والحذف.
* الفصل والوصل.
* وغيرها من البحوث التي تهم الموضوع.

* كالغـرض، والنـظم، والسـيـاق، وتحريف القرآن .. وهكذا.

والأساس في اختيار بحوث هذا القسم وتنـظيمهـا هو دور كل بحث في تيسـير التفسـير واتقـانـه، وللباحث أن يوجز أو يطيل، ويختصر أو يطنب يحذف أو يضيف حسب الحاجة.

القسم الثاني: منابع التفسير:

نحـاول هنـا أن نتعرف على المصادر والمنـابـع التي ينتهل منها المفسرون على اختـلاف مدارسهم ومنـاهجهم ونبـيّن الحجة منها مما ليس بحجة، في خطوتين:

ـ التعرّ ف على المنابع:

ـ القرآن الكريم: يُدرس ضمن النقاط التالية:

* لمحة تاريخية.

* الادلة.

* دراسة نقدية.

ـ السنه:

* لمحة تاريخية.

* الادلة.

* دراسة نقدية.

ـ العقل

* لمحة تاريخية.

* العقل العملي، والعقل النظري.

* الادلة.

٢ دراسة نقدية.

ـ اقول الصحابة والتابعين

* لمحة تاريخية.

* الادلة.

* دراسة نقدية.

ـ النظريات العرفانية

* لمحة تاريخية.

* الادلة.

* دراسة نقدية.

ـ الانجازات العلمية

* لمحة تاريخية.

* الادلة.

* دراسة نقدية.

ـ التاريخ

* لمحة تاريخية.

* الادلة.

* دراسة نقدية.

الثـانيـة: ميـزان الانتفـاع بالمنابع والاستفادة منها

ـ القرآن

* ميزان الانتفاع به.

* والمهـارات اللازمـة التي يجب ان تتوفر في المفسر للانتفاع به والاستفاده منه.

- السنه

* ميزان الانتفاع.

المهارات اللازمة.

وهكذا في بقية المصادر كالعقل والتاريخ واللغـة وغـيرها ثم يُبحث في نوع العلاقة والارتباط بين المصادر بعضها مع بعض؛ وهـل هي علاقـة طولية أو عرضية؛ وعلى فرض وجـود التنافي والتعارض الاحتمالي ندرس النقاط التالية:

* التعارض بين القرآن والسنة.
* التعارض بين القرآن والعقل.
* التعارض بين السنة والعقل.

ثم فذلكة البحث.

القسم الثالث: مناهج التفسير ومراحله.

يدرس في هذا القسم المنهج التجزيئي، والمنهـج الموضوعي، والمنهج التجزيئي - المـوضـوعي، دراسـة نقـدية تبرز نقاط الضعف والقوة في كل واحد منها.

مراحـل التـفـسـير وفـق المـنهـج التجزيئي - الموضوعي:

- **المرحلة الاولى**: انتخاب الموضوع.

* تحديد الموضوع ورسم خطوطه العريضة.
* تجزئة الموضوع الى موضوعات فرعية وعناوين جزئية.

المـرحـلة الثـانـيـة: مراجعـة القرآن وتجميـع الآيات لكل موضوع رئيسي أو فرعي.

- **طرق التجميع**:

* الاستعانة بالحفظ والذهن.
* الاستعانة بالمعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم.
* الاستعانة بالفهارس الموضوعية.
* مراجعة القرآن الكريم وتتبع آياته، آية آية، لكل عنوان، وهذه هي الطريقة المرجحة.

- **المرحلة الثالثة**: دراسة الآيات وتحليلها:

* دراسة مفردات الآية.

* الاستنتاج من ظاهر الآية.

* دراسة النكات الادبية في الآية.

* دراسة الترابط بين صدر الاية وذيلها.

* دراسة الترابط بين الآية والايات السابقة واللاحقة.

- **المرحلة الرابعة**: مراجعة الروايات.

* الروايات التفسيرية.

* روايات اسباب النزول.

المرحلة الخامسة:

* قياس الايات الى بعضها.

* تفسير الآيات بالآيات وارجاع المتشابهمنهاالىالمحكمواستخلاص النتيجة النهائية والمحصلة الأخيرة.

وفي الختام: ان ما مر عليك عزيزي القارئ انما هو نموذج مشروع واقتراح اطروحة نرجوا ان ندخل اجواء النقاش والحوار لعلنا نصل الى المنهج الاصوب ان شاءالله

* * *

وشهد شاهد من اهلها!

* «إن القرآن كتاب لاريب فيه، وإن الاحساسات الصادقة تُظهر لي فضل القرآن، الفضل الذي أول وآخر فضل وُجد في كتاب نتجت عنه جميع الفضائل على اختلافها».

المستشرق كارل ليل

إعجاز القرآن: قائمة ببليوغرافية

اعداد الشيخ فرقاني

آفتاب درخشنده: (بالفارسية) الشمس الساطعة.

في اثبات المعجزات القرآنية، للحاج ميرزا حسن بن على الجابرى الاصفهانى، طبع سنة ١٣٤٣ هـ.

الذريعة/ ج١/ص ٣٦/رقم ١٧٧

الاحتراز: في ردّ رسالة «حسن الايجاز في ابطال الاعجاز» التي لفّقها بعض الامريكان المعروف لنفسه بنصير الدين الظافر في انكار اعجاز القرآن المبين فردّها ببيان وافٍ آقا محمد ابراهيم بن آقا رضا رئيس التّجار الاصفهانى المشهدى طبع بطهران سنة ١٣٤٢ هـ.

الذريعة ج١/ ٢٨٤/ ١٤٨٧

اسرار التكرار في القرآن

لمحمود بن حمزة بن نصر الكرمانى (ق

٥) تحقيق: عبد القادر احمد عطا.

ـ من منشورات «دار الاعتصام ـ مكة المكرمة» ط٢/ ١٣٩٦ هـ. / في ٢٦٣ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم ـ قم

اسرار قرآن كريم (بالفارسية).

للدكتور السيد محمد باقر الحجتى (معاصر).

ـ من منشورات «بنياد قرآن ـ طهران» ط١/ ١٣٦٠ هـ. ش/ في ١٢٠ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم ـ قم

الاعجاز البلاغى

لمحمد محمّد بن موسى (معاصر) من منشورات «مكتبة وهبة».

ورد ذكره في فهرس معرض الرياض الدولى السادس للكتاب.

الاعجاز البلاغى للقرآن الكريم

لفتحى عبد القادر (معاصر).

- من منشورات «دار اللواء - الرياض»، و رد ذكره في فهرس معرض الرياض الدولى السادس للكتاب.

الاعجاز البيانى للقرآن ومسائل ابن الازرق

للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطى (معاصرة).

من منشورات «دار المعارف بمصر» ١٩٧١ .م/من ٥٢١ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم - قم

الاعجاز الطبى في القرآن

للسيد الجميلى (معاصر) - من منشورات «دار مكتبة الهلال - بيروت».

ورد ذكره فى فهرس معرض الرياض الدولى السادس للكتاب.

اعجاز عددى در قرآن كريم: (بالفارسية)

لمصطفى الحسينى الطباطبائى (معاصر).

- من منشورات «نشر ناشر - طهران» ط ١٣٦٢ هـ . ش/مط بيروز/ فى ١٨٤ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم - قم

الاعجازالعددى للقرآن الكريم

لعبد الرزاق نوفل (معاصر).

أ- من منشورات «دار الكتاب العربى - بيروت» ط٤/ ١٤٠٣ هـ ./ في ٢٥٧ ص.

ب - من منشورات «مؤسسة دار الشعب - مصر» ثلاثة مجلدات/ في ٥٢٥ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم - قم

الاعجاز العلمى في القرآن

من منشورات «دار الفكر العربى - بيروت» مطبوع.

الاعجاز الفكرى فى القرآن

للسيد الجميلى (معاصر) - من منشروات «دار ابن زيدون» مطبوع.

الاعجاز فى دراسات السابقين

لعبد الكريم الخطيب (معاصر) ط فى ٥١١ ص.

أ- من منشورات «دار الفكر العربى - القاهرة» ط١/ ١٩٧٤ .م

ب - من منشورات «دار المعرفة - بيروت» ط٢/ ١٣٩٥ هـ.

موجود فى دار القرآن الكريم - قم

الاعجاز فى نظم القرآن

لمحمود السيد شيخون (معاصر).

القـاهـرة، مكتبـة الكليـات الازهريه.
١٣٩٨ هـ.

معجم مصنفات القرآن الكريم/ج١/١٤٦

اعجاز القرآن

لابى عبد اللّه محمد بن زيد الواسطى (؟ ـ ٣٠٦ هـ) من كبار المتكلمين ببغداد.

الذريعه/ج٢/٢٣٢/٩١٧

اعجاز القرآن

وضعه عبد اللّه بن عبد الرحمن. ابو زيد النفزاوى القيروانى (؟ ـ ٣٨٦).

الاعلام/ج٤/٢٣٠

اعجاز القرآن

لابن بكر محمد بن طيّب الباقلانى (؟ ـ ٤٠٣) ـ تحقيق: السيد احمد صقر ـ من منشروات «دار المعارف ـ مصر» فى ٣٩٣ ـ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم

اعجاز القرآن

للشيخ العدل المحسن بن الحسين بن احمد النيسابورى الخزاعى (؟ ـ ؟) وهو من العلماء المعاصرين للشيخ الطوسى «ره».

الذريعه/ج٢/٢٣٢/٩١٦

اعجاز القرآن

للسيد محمد حسن بن محمد تقى بن محـمـد سعـيـد بن صادق اليـزدى الاصفهانى المعروف بالمجتهد (؟ ـ ١٢٦٣).

معجم مصنفات الشيعه حول القرآن

اعجاز القرآن

للسيد هبة الدين محمد على بن محمد حسـين الشهـرستانى المرعشى الحائرى (١٢٨٠ ـ ١٣٤٤). مطبوع.

اعجاز قران

للعـلّامـة السيـد محمـد حسـين الطباطبائى (معاصر) من منشورات «بنياد علمى وفكرى علّامه طباطبائى ومركز نشر فرهنكى رجاء» ط١/١٣٦٢ هـ. ش/من ١٥٣ ص.

اعجاز قرآن: (بالفارسية)

للسيّد جعفر غـضبان (معاصر).

وهـو ترجمة كتاب «المعجزة الخالدة» للسيد هبة الدين الشهرستانى.

معجم مصنفات الشيعه حول القرآن

اعجاز القرآن

لعبـد الكـريم الخـطيب (معاصر) من منـشـورات «دار المـعـرفـة ـ بيروت»

ط٢/١٣٩٥ هـ.، فى ٣٨١ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم ـ قم

اعجاز القرآن

لمنير سلطان (معاصر).

الاسكندريه، منشأة المعارف. (دار عكاظ).

معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٤٦

اعجاز القرآن

لمحمّد على معلّم (معاصر).

ورد ذكره فى فهرست المؤلفات العلميه القرآنيه فى المركز الثقافى بإصفهان.

معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٤٦

اعجاز القرآن

لمحمّد بن عبد المطلب بن واصل. (١٢٨٨ ـ ١٣٥٠).

الاعلام/ ج٧/ ١٢٥

اعجاز القران

تأليف:؟

يبدو انّ المؤلف امامى من القرن الخامس الهجرى نقل فى كتابه عن الشريف المرتضى وذكر مطالب الكتاب تحت العناوين:

(فإن قال، قيل له) والنسخة موجودة فى الخزانة الرضوية.

بداية النسخة: الوجه الذى ذكرناه لم يمكن ان يدعى ان شعر الطايين..

النهاية: واذا لم يفعلوه فقد صحّ ان تعذر المعارضة كان على وجه مخالف.

معجم مصنفات الشيعه حول القرآن

اعجاز القرآن: (رسالة..)

لابن الحسن على بن زيد البيهقى.

الذريعه/ ج١١/ ٩٤/ ٥٧٧

اعجاز قرآن: رسالة... (بالفارسية)

للحاج محمد كريم خان الكرمانى (؟ ـ ؟).

معجم مصنفات الشيعه حول القرآن

اعجاز القرآن: رساله..

تأليف: ؟

يبدو، أن المؤلف من المتأخرين من اهل القرن الثالث عشر (العصر القاجاري) معها رسائل أخرىٰ في المنطق والفلسفه ضمن مجموعة عند السيد شهاب الدين النجفى المرعشى بقم كما كتبه الينا

الذريعه/ ج١١/ ٩٤/ ٥٧٥

اعجاز قرآن از نظر تاريخ: (بالفارسية)

اعجاز القرآن من وجهة نظر تاريخيه.

ليد اللّه نيازمند الشيرازى (معاصر)

ذكره من آخر كتابه «اعجاز قرآن از نظر علوم امروزى».

معجم مصنفات الشيعه حول القرآن

اعجازقرآن از نظر علوم امروزى:

(بالفارسية).

اعجاز القرآن من زاوية نظر العلم الحديث.

ليد الله نيازمند الشيرازى (معاصر) ط٤/١٣٣٥ هـ. ش/مط ميهن/ ١٩١ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم ـ قم

اعجاز القرآن البيانى بين النظرية والتطبيق

للدكتورحنفي محمد شرف (معاصر) ـ من منشورات «المجلس الاعلى للشئون الاسلاميه ـ لجنة القرآن والحديث ـ مصر» ط ١٣٩٠ هـ./مط الاهرام التجارية/فى ٣٧٧ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم ـ قم

اعجاز القرآن فى حواس الانسان

لمحمّد كمال عبد العزيز (معاصر) ـ من منشورات (مكتبة السّاعى».

ورد ذكره فى فهرس معرض الرياض الدورلى السادس للكتاب.

اعجاز القرآن فى علم طبقات الارض

لمحمد محمود ابراهيم (معاصر).

ورد ذكره فى خاتمه كتاب «معجزة القرآن» لنعمات صدقي.

اعجاز القرآن فى مسألة اللؤلؤ والمرجان

لعمر بن احمد الملبارى (معاصر) مطبوع فى دمشق.

مطبعة دار الفكر الاسلامى/ط ١٩٥٩. م/فى ١٥ ص.

معجم مصنفات القرآن الكريم/ج١/١٤٧

اعجاز القرآن واقامة البرهان على شرع الاسلام

للسيد ميرزا هادى بن على البجستانى الخراسانى الحائرى.

معجم مصنفات الشيعه حول القرآن

اعجاز القرآن والاكتشافات الحديثه

لعبد الرحمن شاهين (معاصر) مطبوع فى مصر.

المطبعة الاسماعيلية الكبرى/ط ١٩٥٠. م/فى ٥٢ ص.

معجممصنفات القرآن الكريم/ج١/١٤٧

اعجاز قرآن وبلاغت محمد:
(بالفارسية)

لعبد الحسين ابن الدين (معاصر) من منشورات «مؤسسه مطبوعاتى عطائى - طهران» ط٢/ ١٣٣٩ هـ.ش/ ف ٢٠٥ ص.

موجود من دار القرآن الكريم - قم

اعجاز القرآن والبلاغة النبويّة

لمصطفى صادق الرافعى (معاصر) راجعه وضبطه: محمد سعيد العريان.

- من منشورات «المكتبة التجارية الكبرى - مصر» ط٨/ ١٣٨٤ هـ./ مط الاستقامة - القاهره/ ف ٣٨٤ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم - قم

اعجاز القرآن وعلم المعانى

للدكتور عمر الملاّ حويش (معاصر) - من منشورات «مكتبة الفلاح».

ورد ذكره فى فهرس معرض الرياض الدولى السادس للكتاب.

اعجاز القرآن والكلام فى وجوهه

للشيخ ابى عبد اللّه محمد بن محمد بن النعمان المفيد الحارثى البغدادى (؟ - ٤١٣).

الذريعه/ ج٢/ ٢٣٢/ ٩١٨

الاعجاز اللغوى فى الفقه القرآنى

لحسين مصطفى حسن عون (معاصر)

- من منشورات «مكتبة الخريجى».

ورد ذكره فى فهرس معرض الرياض الدولى السادس للكتاب.

الاعجاز النحوى فى القرآن

لفتحى عبد الفتاح الدجنى (معاصر).

- من منشورات «مكتبة الفلاح».

ورد ذكره فى فهرس معرض الرياض الدولى السادس للكتاب.

الاعجاز والقراءات

لفتحى عبد القادر فريد (معاصر) - من منشورات «دار العلوم».

ورد ذكره فى فهرس معرض الرياض الدولى السادس للكتاب.

الوان من الاعجاز القرآنى

لمحمّد وفا الاميرى (معاصر) - من منشورات «دار الرضوان، حلب» ط١/ ١٤٠١ هـ./ ف ٩٤ص.

موجود فى دار القرآن الكريم - قم

الامانة عن معجزات القرآن

في بيان انه معجز (ويثبت ذلك بان التحدى به وقع منه (ص) وان المعارضة منهم لم تقع، وان السبب الذي لم يقع

منهم هو التعذّر، وان التعذر متىٰ صح صح كونه معجزاً، ونحن نبيّن جميع ذلك فصلاً فصلاً، الكلام فى انّ التحدى قد وقع).

لم يعلم مؤلّفه..

الذريعه/ج١٧/ ٢٦٥/ ٢٠١

ايجاز البرهان فى اعجاز القرآن

لأبى اسحاق ابراهيم بن احمد الجزرى الخزرجى

كشف الظنون/ج١/ ٢٠٥

الايجاز في شرح دلائل الاعجاز

للامام عبد القاهر الجرجانى.

تحقيق: احمد مصطفى المراغى.

مطبوع فى مصر، المطبعةالعربيّة/ط١٩٥٠.م/فى ٣٥٠ ص.

معجم مصنفات القرآن الكريم/ج١/ ١٤٨

الايقان في اعجاز القرآن

للحاج محمد كريم خان بن ابراهيم الكرمانى

اوّله: بسمله، حمد للّه، الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً...

آخره: ورأيت انّ لى اشغالاً عديدة وبيدى؟ سديدة كان قلبى مشغولاً باتمامها ورأيت ان اختم هذا الكتاب.

نسخة منه فى مكتبة الوزيرى بيزد ونسخة اخرى فى مكتبة جامعة الالهيات بطهران.

معجم مصنفات الشيعه حول القرآن

الباقلانى وكتابه اعجاز القرآن

للدكتور عبد الرؤف مخلوف (معاصر)

- من منشورات «دار مكتبة الحياة - بيروت» ط١٩٧٨م/فى ٥٥٧ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم - قم

بحثى در رابطه با اعجاز قرآن: (بالفارسية)

بحث حول اعجاز القرآن.

لمصطفى الاشرفى (معاصر). مطبوع.

معجم مصنفات الشيعه حول القرآن

البرهان فى اعجاز القرآن

لأحمد فوزى الساعاتى (معاصر).

مطبوع فى دمشق. مطبعة الترقى/ط ١٩٢٤.م.

معجم مصنفات القرآن الكريم/ج١/ ١٥٠

البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن

لكمال الدين عبدالواحد بن عبد الكريم الزمكانى (؟ - ٦٥١).

تحقيق: خديجة الحديثى واحمد

مطلوب.

مطبوع.

معجم مصنفات القرآن الكريم/ج١/ ١٥٠

البلاغة والبيان في اعجاز القرآن

تأليف: ؟

مط الشهيد ـ قم/ في ٤٨ ص.

موجود في دار القرآن الكريم ـ قم

بيان اعجاز القرآن

لابي سليمان احمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي (٣١٩ ـ ٣٨٨).

طبع مع رسائل اخرى تحت عنوان «ثلاث رسائل في اعجاز القرآن».

موجود في دار القرآن الكريم ـ قم

البيان في اعجاز القران

لمحمّد محمّد السباغي الديب (معاصر) من منشورات «مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده ـ مصر» ط١٣٨٠ هـ./في ٢٠٨ ص.

موجود في دار القرآن الكريم ـ قم

بيان وجوه اعجاز ودفاع از اعجاز ادبي قرآن: (بالفارسية)

بيان وجوه الاعجاز والدفاع عن الاعجاز الادبي في القرآن لعلي السيد حسن آدروني (معاصر) ط سنة ١٣٥٠ هـ. ش./في ١٥٩ ص.

معجم مصنفات الشيعه حول القرآن

بيان المعجزة الخالدة

لحسن ضياء الدين عتر (معاصر) ـ من منشورات «دار النصر ـ حلب» ط ١٣٩٥ هـ/ في ٤٣٨ ص.

معجم مصنفات القرآن الكريم/ج٣/١٨٨

بيامبران واعجاز قرآن

(الفارسية)

الانبياء واعجاز القرآن.

لحسين الاوسطي (معاصر) ـ من منشورات «مدرسه عالي شهيد مطهري ـ طهران» ط ١٣٦٣ هـ. ش/في ٣٥٠ ص.

موجود في دار القرآن الكريم ـ قم

بيشكوئيهاى علمي قرآن:

(بالفارسية)

التنبّؤات العلميه في القرآن

للشيخ مصطفى الزماني (معاصر) ـ منشورات «بيام اسلام ـ قم» ط في ١٥٨ ص.

موجود في دار القرآن الكرسم ـ قم

تاريخ واعجاز قرآن: (بالفارسية)

لمحمّد التوسلّي (معاصر) ط ١٣٥٠ هـ. ش/في ١٧٠ ص.

معجم مصنفات الشيعه حول القرآن

التبيـان فى علم البيـان المطلع على اعجاز القرآن

لكمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكانى (؟ ـ ٦٥١).

تحقيق: احمد مطلوب وخديجة الحديثى.

ط ١٣٨٣ هـ/مط العانى ـ بغداد/ف ٢٥٥ ص.

معجم مصنفات القرآن الكريم/ج١/ ١٥٣

تحـريـر التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن

لعبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر المصرى المـعـروف بابـن ابى الاصبـع المصرى (؟ ـ ٦٥٤) ـ من منـشـورات «المجلس الاعـلى للشئـون الاسـلامية ـ القاهرة» ط ١٣٨٣ هـ.

معجم مصنفات القرآن الكريم/ج١/ ١٥٤

ترجمــه قسمتى از اعجـاز القـرآن باقلانى: (بالفارسية)

لقـاسم الكفـاش (معـاصر) ط سنـة ١٣٦٥ هـ ش/ف ١٥٠ ص.

معجم مصنفات الشيعه حول القرآن

ترجمه كتاب اعجاز القرآن باقلانى: (بالفارسية)

لحسين الميردامادى (معاصر) ط سنة ١٣٦٥ هـ ش/ف ٢٠٠ ص.

معجم مصنفات الشد عه حول القرآن

تسع عشرة دلالة جديدة فى اعجاز القرآن

للدكتـور رشاد خليفة (معاصر) ـ من منشورات «دار الفكر ـ دمشق» ط ١٩٧٩م.

معجم مصنفات القرآن الكريم/ج١/ ١٥٤

تطور دراسات اعجاز القرآن واثرها فى البلاغة العربيّه.

للدكتور عمر الملّا حويش (معاصر) ط ١٣٩٢ هـ/مـطبعـة الامّـة ـ بغداد/ ف ٤٢٧ ص.

معجم مصنفات القرآن الكريم/ح١/ ١٥٤

التنبيه على اعجاز القرآن

لمحمـد بن القاسم البقالى الخوارزمى الحنفى (؟ ـ ٥٦٢).

كشف الظنون/ج١/ ٤٨٨

الاعلام/ج٧/ ٢٢٧

ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن

ذكرنا الرسائل الثلاثة كلًّا على حده فى

ابوابها.

انظر:

١ـ بيـان اعجـاز القرآن، تأليف: ابو سليمان احمد بن محمد الخطابي.

٢ـ الرسالة الشافيه، تأليف: ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني.

٣ـ النكت في اعجـاز القرآن، تأليف: على بن عيسى الرمّاني.

جاذبه قرآن: (بالفارسية)

للشيـخ على الكـريـمى الجهـرمى (معاصر) مط مهر قم/ في ١٢٤ ص.

موجود في دار القرآن الكريم ـ قم

جلوه جمال نمونه اعلاى بلاغت: (الفارسية)

تجلّي الجمال - النموذج الامثل للبلاغة.

للدكتور محمد العلوى المقدم (معاصر) ـ من منشـورات «بنياد قرآن ـ طهران» ط١/ ٢٦٣١ ش/مط كلكار ـ طهران/ في ٢٥٨ ص.

موجود في دار القرآن الكريم ـ قم

حول اعجاز القرآن

لعلى محمد حسن العمارى (معاصر) ـ سلسلة الثقافة الاسلامية/ ٤٤، ١٣٨٣هـ.

ورد ذكره في آخر كتاب «قضية الاعجاز القرآني».

خبرهاى غيبى در قرآن: (بالفارسية)

الاخبار الغيبيّة في القرآن.

لجعفـر الصبورى القمى (معاصر) ط ١٣٩٨ هـ./مط فرهنك ـ قم/ في ١٨٤ ص.

موجود في دار القرآن الكريم ـ قم

خوارق البـوارق في اثبـات اعجـاز القرآن وانّه من الخوارق.

للسيد علي بن ابي القاسم الرضوى الاهورى.

الذريعه/ ج٧/ ص٢٦٩/ قم ١٣٠٢

خورشيد فروزان در اعجاز قرآن: (بالفارسية)

الشمس الساطعة في اعجاز القرآن.

لمحـمّـد سروش المحلّاتي (معـاصر) ط/ ١٣٣٦ هـ. ش/ في ١٢٤ ص.

فهرست جابي فارسى. ٣/ ١٩٠٤

دراسات حول الاعجاز البيانى في القرآن

لعبد العزيز الحناو المحمدى (معاصر) ـ من منشورات «دار الطباعة المحمديّه».

ورد ذكره من فهرس معرض الرياض

الدولى السادس للكتاب.

دعوت قرآن: (بالفارسية)

لغلامرضا النمائى (معاصر) ط/سنة ١٣٢٧ هـ ش/ مط العلمى/ فى ١٣٥ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم ـ قم

دلائل الاعجاز

لمحمود شاكر (معاصر) ـ من منشورات «دار الرفاعى».

ورد ذكره فى فهرس معرض الرياض الدولى السادس للكتاب.

ديباجه اى بر اعجاز القرآن باقلانى: (الفارسية)

ديباجة لاعجاز القرآن للباقلاني.

لغلامرضا جمشيد نزاد اوّل (معاصر) ط سنة ١٣٦٥ هـ. ش/ فى ٢١٣ ص.

معجم مصنفات الشيعه حول القرآن

الرساله الشافيه

لابى بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى (٤٠٠ ـ ٤٧١).

طبع مع رسائل اخرى تحت عنوان «ثلاث رسائل فى أعجاز القرآن».

موجود فى دار القرآن الكريم ـ قم

رسالة فى اعجاز سورة الكوثر

لجار اللّه ابى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (؟ ـ ٥٣٨).

اوّلها: نمقت يد الاخ فى اللّه الامام الصمصام زاده اللّه في الدين طمأنينة...

آخرها: ... وأن يوفقنى للخير وطلبه وأن ينظمنى فى زمرة اهله ويختم لى به.

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية/ ج٢/ ١٤٠

رسالة فى بيان اعجاز القرآن

شمس الدين احمد بن سليمان بن كمال باشا الرومى (؟ ـ ٩٤٠).

أوّلها: الحمد للّه الذى انزل كلاماً بلاغته معجزة والصلاة على محمد (ص)..

آخرها: ... ودليل على انه قول فاسد وراى ليس من آراء ذوى التحصيل.

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهريه/ ج٢/ ١٤٥

رهبر سعادت وجوه اعجاز قرآن: (بالفارسية)

المرشد الى السعادة.

لغلامحسين التبريزى (معاصر) ـ مط ايران مشهد/ فى ٨١ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم ـ قم

زنده جاويد واعجاز جاويدان: (بالفارسية)

الحى الابدى والاعجاز الخالد.

للمهندس محمد على السّادات (معاصر) مطبوع.

معجم مصنفات الشيعه حول القرآن

سنى النّيرين فى اعجاز الآية والآيتين

لعبد الغنى بن شاكر السادات الدمشقى الحنفى (؟ ـ ١٢٦٥).

اوّلها: نحمدك يا من انزل قرآناً كريماً فأعجز ببديع آياته وبكل آية منه اساطين البلغاء...

آخرها: فطلب منهم عشر سور من مثله فعجزوا، فطلب منهم ان يأتوا بسورة من مثله فعجزوا.

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهريه/ج٢/١٧٨

سؤالاتى از تفسير قرآن بيرامون اعجاز وتحريف: (بالفارسية)

اسئلة من تفسير القرآن حول الاعجاز والتحريف.

للسيد حسن الابطحى الخراسانى (معاصر). مطبوع.

معجم مصنفات الشيعه حول القرآن

سياسة الخلفاء فى وجه اعجاز القرآن

لميرزا مهدى الاصل، المدرس بمشهد خراسان، المتوفى بها يوم الخميس التاسع عشر من ذي الحجة ١٣٦٥ هـ.

الذريعة/ح١٢/٢٧٢/١٨١٨

الشهاب المبين في بيان اعجاز القرآن: (بالفارسية)

للميرزا ابى القاسم بن محمد تقى بن محمد قاسم الاردوبادى النجفى (؟ ـ ١٣٣٣) طبع بتبريز.

الذريعه/ج١٤/٢٥٥/قم ٢٤٤٧

الصرفة الموضح عن وجه اعجاز القرآن

للسيد الشريف المرتضى علم الهدى (على بن الحسين) (؟ ـ ؟).

الذريعه/ج٢٣/٢٦٧/٨٩١٢

الطبيعيات والاعجاز العلمى فى القرآن

لعبد العليم عبد الرحمن (معاصر) ـ من منشورات «الدار السعوديّه».

ورد ذكره في فهرس معرض الرياض الدولى السادس للكتاب.

الطراز فى علوم حقائق الاعجاز

للمؤيد باللّه عماد الدين يحيى بن حمزة العلوى (؟ ـ ٧٤٥).

ایضاح المکنون / ۲ / ۲۸
الاعلام / ۹ / ۱۷٦

عجیب البیان فی اسرار القرآن

لعبد الباسط بن رستم، علی بن علی، اصفر القنّوجی (۱۱۵۹ ـ ۱۲۲۳).
الاعلام: ج ٤ / ٤٤
ایضاح المکنون: ج۲ / ۹٤

فائده مختصره در اعجاز قرآن ووجه تحدّی به آن: (بالفارسیة)

فائدة مختصرة فی اعجاز القرآن وکیفیة تحدّیه.
للحاج محمد کریم خان بن ابراهیم الکرمانی (؟ ـ ؟).
معجم مصنفات الشیعه حول القرآن

فصاحة القرآن واعجازه: رسالة

للشیخ جعفر بن محمد باقر بن حسنلعی بن عبد اللّه التستری (۱۲۵۰ ـ ۱۳۲۵).
اعیان الشیعه / ج ٤ / ۱۱۷

فکرة اعجاز القرآن

لنعیم الحمصی (معاصر) تقدیم: محمد بهجة البیطار.
ـ من منشروات «مؤسسة الرسالة ـ بیروت» ط۲/ ۱٤۰۰ هـ./ فی ٤۸۰ ص.

موجود فی دار القرآن الکریم ـ قم

فکرة النظم بین وجوه الاعجاز فی القرآن الکریم

للدکتور فتحی احمد عامر (معاصر) ـ من منشورات «المجلس الاعلی للشئون الاسلامیه ـ القاهرة/ط ۱۳۹۵. هـ/ فی ۳۰۲ ص.
معجم مصنفات القرآن الکریم/ ج۱ / ۱٦۲

فی اعجاز القرآن

من منشورات «دار المأمون للتراث ـ بیروت» مطبوع.

قبس من الاعجاز

لهشام عبد الرزاق الحمصی (معاصر) ـ من منشورات «دار الثقافة ـ دمشق» ط ۱۳۹۹. هـ.
معجم مصنفات القرآن الکریم/ ج۱ / ۱٦۳

قران اعجاز جهانی وجاودانی اسلام: (بالفارسیة)

القرآن اعجاز الاسلام العالمی الخالد
تألیف ونشر: مؤسسه مکاتباتی درسهائی از اصول دین ـ قم.
معجم مصنفات الشیعه حول القرآن

القرآن بین الحقیقة والمجاز والاعجاز

لمحمّد عبد الغنى حسن (معاصر) - مطبوع فى القاهرة.

معجم مصنفات القرآن الكريم/ج١/١٦٣

قرآن بديده اى شكفت آور: (بالفارسية)

القرآن ظاهرة عجيبة.

للدكتورة نسرين الحكمى (معاصرة).

من منشورات «دفتر فرهنك اسلامى - طهران» ط٢/ ١٣٦٤ هـ. ش/من ٢٨٤ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم - قم

القرآن العظيم هدايته واعجازه فى اقوال المفسرين

لمحمّد الصادق عرجون (معاصر) - من منشورات «مكتبة الكليّات الازهريّة» ط ١٣٨٦ هـ./مط الاتحاد العربى للطباعة/ فى ٣٢٨ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم

القرآن الكريم: اعجازه وبلاغته وعلومه

لصالحة عبد الحكيم شرف الدين (معاصرة) - من منشورات «دار الكتب العربيه».

ورد ذكره فى فهرس معرض الرياض الدولى السادس للكتاب.

القرآن الكريم: معجزة وتشريع

لعبد الكريم عبد اللّه نيازى (معاصر) ط١/١٤٠٦ هـ./فى ٢٧١ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم - قم

قرآن معجزه جاويد: (بالفارسية)

القرآن: المعجزة الخالدة.

للسيد فضل اللّه التهامى (معاصر) - ط ١٣٥٨ هـ. ش/ مط سازمان جاب مهر - قم/فى ١٨٣ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم - قم

القرآن واعجازه التشريعى

لمحمّد اسماعيل ابراهيم (معاصر) - من منشورات «دار الفكر العربى - القاهرة» ط ١٩٧٩م.

معجم مصنفات القرآن الكريم/ج٣/٢٣٧

قضية الاعجاز القرآنى واثرها فى تدوين البلاغه

لعبد العزيز عبد المعطى عرفه (معاصر) - من منشروات «عالم الكتب - بيروت» ط١/ ١٤٠٥ هـ./ فى ٨٢٢ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم/قم

كشف الحجاب عن وجوه اعجاز بعض آيات الكتاب

للشيخ مصطفى بن مرتضى الخوئى المرتضوى.

هذا الكتاب ردّ على بعض الاشكالات المتوهّمه على القرآن، تمّ تأليفه فى شهر شعبان المعظم ١٣٥٠ هـ.

معجم مصنفات الشيعه حول القرآن

كشوف جديدة فى اعجاز القرآن

لعادل عبد اللّه القلقيلى (معاصر) ـ من منشورات «دار عمّار».

ورد ذكره فى فهرس معرض الرياض الدولى السادس للكتاب.

لاحمد جمال العمرى (معاصر) ـ من منشورات «مكتبة الشباب».

ورد ذكره فى فهرس معرض الرياض الدولى السادس للكتاب.

مباحثى از وحى وقرآن: (بالفارسية)

بحث من الوحي والقرآن.

للعلّامة السيد محمد حسين الطباطبائى (معاصر) ـ من منشورات «بنياد علوم اسلامى» ط١/ ١٣٦٠ هـ. ش/ فى ١٥١ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم ـ قم

مرزهاى اعجاز: (بالفارسية)

حدود الاعجاز

لآية اللّه السيد ابى القاسم الموسوى الخوئى (معاصر).

ترجمة واعداد: الشيخ جعفر السبحانى ـ من منشورات «محمدى ـ طهران» ط ١٣٦٩ ش/مط درخشان ـ طهران/ فى ٢٠٠ ص.

موجود فى دار القرآن الكريم ـ قم

مع القرآن فى اعجازه وبلاغته

لعبد القادر حسين (معاصر) ـ من منشورات «دار التراث العربى، القاهرة ـ دار اللواء، الرياض».

معجم مصنفات القرآن الكريم/ج١/ ١٦٥

معترك الأقران فى اعجاز القرآن

لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطى (٨٤٩ ـ ٩١١).

تحقيق وتعليق: على محمد البجاوى ـ منشورات «دار الفكر العربى ـ القاهرة» مط دار الثقافة العربيّه/ فى ثلاثة مجلدات/ ٢٠٧٧ ص.

موجود في دار القرآن الكريم ـ قم

معجزات علمي قرآن (بالفارسية)

للسيد غلامرضا السعيدى (معاصر) ط

١٣٦٧ هـ. ش/ في ٢٠٨ ص.

فهرست جابى فارسى/ ج١/ ٣١٥

معجزات قرآن براى دانشمندان: (بالفارسية)

معاجز القرآن للعلماء.

لصادق التقوى (معاصر) ط ١٣٥٢ هـ. ش/ في ٢٥٥ ص.

فهرست جابى فارسى/ ج٤/ ٤٨٠٩

معجزات القرآن الكريم في العلوم

لمحمود مهدى الاستانبولى (معاصر).

ورد ذكره في خاتمة كتاب «فكرة اعجاز ألقرآن».

المعجزات القرآنيه

لبديع الزمان سعيد النورسى (معاصر) ـ ترجمة: احسان قاسم الصالحى.

ط ١/ ١٤١٠ هـ/ مط الرشيد ـ بغداد/ في ٢٥٥ ص.

معجزات قلب القرآن

لهاشم دفتر دار (معاصر) ـ من منشورات «دار الشروق ـ بيروت».

ورد ذكره في فهرس معرض الرياض الدولى السادس لكتاب.

معجزة الارقام والترقيم في القرآن

لعبد الرزاق نوفل (معاصر) ـ من منشورات «دار الكتاب العربى» مطبوع.

معجزه جاويدان اسلام: (بالفارسية)

معجزة الاسلام الخالدة.

للسيد ضياء الدين الروحانى (معاصر) ط سنة ١٣٧٧ هـ. مط حكمت ـ قم/ في ٢٢٠ ص.

موجود في دار القرآن الكريم ـ قم

المعجزة الخالدة

للسيد هبة الدين محمد على بن محمد حسين الشهرستانى المرعشى الحائرى (١٢٨٠ ـ ١٣٤٤) ـ من منشورات «مكتبة الجوادين العامة ـ الكاظمين» ط٢/ ١٣٧١ هـ./ مط المعارف ـ بغداد/ في ١٤٤ ص.

موجود في القرآن الكريم ـ قم

معجزة القرآن

لنعمان صدقى (معاصرة) تقديم: الدكتور امين رضا.

أ ـ من منشورات «دار الاعتصام ـ مصر» مط دار النصر/ في ١٧٦ ص.

ب ـ من منشورات «عالم الكتب ـ بيروت» في ٣٢١ ص.

موجود في دار القرآن الكريم ـ قم

معجزة القرآن الكريم

للدكتور رشاد خليفه (معاصر) ـ من منشروات «دار العلم للملايين ـ بيروت» ط١/١٩٨٣.م/ في ٢٢٦ ص.

موجود في دار القرآن الكريم ـ قم

معجزة القرآن الكريم

للشيخ محمد متولي الشعراوي (معاصر) ـ من منشورات «دار النصر ـ بيروت» ط في ٢٤٩ ص.

موجود في القرآن الكريم ـ قم

معجزة القرآن المجيد، الاسلام... والرتق الحضاري

لعبد الرحمن عيسى (معاصر) ـ من منشورات «دار الهجرة ـ دمشق، بيروت» ط١/١٤٠٥ هـ./مط دار نعمة للطباعة/ في ١٤٣ ص.

موجود في دار القرآن الكريم ـ قم

معجزة القرآن والمواجهة مع فلسفة الشرك (بالفارسية)

للشيخ محمد باقر البهبودي (معاصر) ـ من منشورات «مؤسّسة مطبوعاتي معراجي ـ طهران» ط في ٣١٢ ص.

موجود في دار القرآن الكريم ـ قم

المعجزة القرآنيه

لمحمّد العفيفي (معاصر) ـ من منشورات «دار القلم ـ الكويت».

معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٦٥

معجزة القرن العشرين في كشف سباعية وثلاثية اوامر القرآن الكريم.

لابن خليفه عليوي (معاصر) ـ من منشورات«دار الايمان ـ دمشق» ط١/ ١٤٠٣ هـ./ في ١١٠ ص.

موجود في دار القرآن الكريم

المعجزة الكبرى ـ القرآن

لمحمّد ابي زهرة (معاصر) ـ من منشورات«دار الفكر العربي ـ مصر» مط دار الحمّامي/ في ٦٤٣ ص.

موجود في دار القرآن الكريم ـ قم

المعجزة والاعجاز في سورة النمل

لعبد الحميد طهماز (معاصر) ـ من منشورات«دار المنارة».

ورد ذكره في فهرس معرض الرياض الدولي السادس للكتاب.

من الاعجاز البلاغي والعددي للقرآن الكريم

المؤلف: ؟ من منشورات «دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت» مطبوع.

من اعجاز القرآن ـ وليس الذكر كالأنثى

لمحمّد عثمان الخشت (معاصر) ـ من منشـورات«مكتبـة القـرآن ـ القاهرة» ط في١٤٢ ص.

من روائع الاعجاز في القرآن الكريم

للدكتـور محمـد جمال الدين الفندى (معاصر) ـ من منشورات «المجلس الاعلى للشئـون الاسـلاميـه ـ مصر» ط ١٣٨٩ هـ./مط مؤسسة دار التحرير/في ١١١ ص.

موجود في دار القرآن الكريم

من روائع القرآن

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى (معاصر) ـ من منشورات «مكتبة الفارابى ـ دمشق» ط٢/ ١٣٩٠ هـ./في ٢٩٣ ص.

موجود في دار القرآن الكريم ـ قم

نفحات الاعجاز

لآية الله السيد ابى القاسم الموسوى الخوئى (معاصر).

ردّ فيـه على (حسن الايجاز في ابطال الاعجاز) تأليف الأمريكي المتسمّى نصير الدين الظافر. مطبوع.

معجم مصنفات الشيعه حول القرآن

النكت في اعجاز القرآن

لعـلى بن عيسى الرّمـانى ابن الحسن النحوى (٢٩٦ ـ ٣٨٢).

طبـع مع رسـائل اخرى تحت عنوان «ثلاث رسائل في اعجاز القرآن».

موجود في دار القرآن الكريم ـ قم.

نهاية الايجاز في دراية الاعجاز

للامام فخر الدين الرازى (؟ ـ ٦٠٦).

ورد ذكره في خاتمة كتاب «فكرة اعجاز القرآن».

وجوه من الاعجاز القرآني

لمصـطفى الدبّـاغ (معـاصر) ـ من منشورات «مكتبة المنار».

ورد ذكـره في فهرس معرض الرياض الدولى السادس للكتاب.

هدف القرآن واعجازه

للسـيـد محـسـن الحجـة النجفى (معاصر) ط ١٣٩٠ هـ./في ٣٢ ص.

موجود في دار القرآن الكريم ـ قم

* * *

مِنَ المكتبة القرآنيّة

وقفة مع كتاب العدد:

الطوسي ومنهجه في التبيان

دار القرآن الكريم

«احياءً لتراث الشيعة الغني بما فيه من آثار تفسيرية ومؤلفات قرآنية اخترت «الشيخ الطوسي ومنهجه في التبيان» موضوعاً لرسالتي...» هذا ما ذكره الاستاذ اكبر الايراني القمي في مقدمة رسالة الماجستير التي تقدم بها اخيراً الى جامعة الامام الصادق في طهران.

دار البحث في الرسالة على محورين اساسيين:

تأليف اكبرالايراني

عرض وتقديم علي جمال الحسيني

الاول: البعد الصوري لتفسير التبيان.

الثاني: العمق الموضوعي وابعاد المحتوى.

في المحور الاولى ناقش منهج التنظيم وعلوم القرآن كالقراءة، واللغة، والاعراب، واسباب النزول..

وخصص المحور الثاني لدراسة البحوث الكلامية في التفسير المذكور وكانت هيكلية البحث منظمة في مقدمة واربعة ابواب، وفي كل باب عدة فصول.

المقدمة

نبذة مختصرة عن حياة الشيخ الطوسي. نشأته، وزعامته، وتلاميذه، ومشايخه، ومؤلفاته، والبلاد التي هاجر اليها، والظروف السياسية في المجتمعات التي عاش فيها. وقد ترجمنا في هذا العدد اهم ما جاء فيها تحت عنوان «الطوسي والتبيان» في حقل «التفسير والمفسرون».

الباب الاول:

تضمن ظروف تأليف التبيان، نسخه الخطية، كيف وجد طريقه الى الطبع، التحقيقات التي اجريت حوله ، اقوال العلماء السنة والشيعة فيه، ومن ثم تعرض الكاتب في مقدمته للظروف السياسية والاجتماعية والفكرية في القرن الرابع والخامس، التي دعت الشيخ الى اتخاذ منهج معين في تفسيره، لانتشار الاراء والعقائد الكلامية والاعتماد في ذلك على القرآن الكريم، وكان لهذه الظروف ابلغ الاثر في تحديد المنهج الذي اختاره الشيخ في تفسيره، ويستشهد الباحث هنا بقول الشيخ في مقدمة التبيان.

«سمعت جماعة من اصحابنا قديماً وحديثاً يرغبون في كتاب مقتصد، يجتمع على جميع فنون علم القرآن من القراءة ... والجواب عن مطاعن الملحدين فيه وانواع المبطلين كالمجبرة، والمشبهة، والمجسمة، وغيرهم، وذكر ما يختص اصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه على صحة مذاهبهم في اصول الديانات وفروعها».

قال العلامة الطباطبائي في غضون كلامه عن طبقات المفسرين (القرآن في الاسلام ص ٥٠ ـ ٥١).

«الطبقة الثالثه، طبقة ارباب العلوم المتفرقة من قبيل السيد الرضي (٤٠٦) في تفسيره الادبي، والشيخ الطوسي في تفسيره

الكلامي» ويقصد التبيان.

ويسوق الاستاذ «اكبر» جملة من الشواهد للتأكيد علىٰ ان (التبيان) تفسير كلامي منها:

اولاً: اسلوبه في طرح البحوث الكلامية، ضمن بيانه لدلالات الايات (الدلالات الظاهرة الصريحة وغير الظاهرة).

ثانياً: توسُّعه في نقل الاقوال الكلامية.

ثالثاً: توسُّعه في الردود الكلامية، حيث رد الشيخ علىٰ اكثر من عشرة فرق مستنداً الىٰ الايات الشريفة.

رابعاً: تأويل الايات تأويلاً كلامياً، رغم انها غير ظاهرة في ذلك.

خامساً: اسلوبه الكلامي في الاستدلال علىٰ التوحيد في تفسير الايات التي تتناول الظواهر الطبيعية.

سادساً: توسعه في البحوث الروائية لاثبات احقية اهل البيت وهذه ميزة اختص بها التبيان.

وفي ختام الرسالة أنهىٰ بحوث الباب الرابع بآراء الشيخ ونظرياته في اصول الدين الخمسة.

ملاحظات عامة

اولاً: امتازت الرسالة بعمقها وكثرة مصادرها ودقة توثيقها بالشكل الذي يكشف عن مدى الجهد الذي بذله الكاتب في هذه الرسالة.

ثانياً: قدم الكاتب آراءه في قوالب لفظية رصينة وصياغةادبية رائعة.

ثالثاً: اعتمد علىٰ اكثر من ١٦٠ مصدر من امهات المصادر المعتمدة.

رابعاً: اشرف علىٰ الرسالة الدكتور عبد الوهاب الطالقاني.

خامساً: حازت الرسالة على درجة الامتياز.

* * *

*** «يتضمن القرآن تعاليم وحقائق بيّنة يمكن لجميع افراد البشر أن يدركوها ببساطة».**

تولستوي



التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف

السيد على الحسيني الميلاني

من اصدار دار القرآن الكريم ـ قم.

الطبعة الأولى، ٢٧/رجب/١٤١٠.

عدد الصفحات: ٣٧١ من القطع الوزيري.

تعرض المؤلف لمسألة تحريف القرآن، ودرسها دراسة جدية مفصلة باعتبارها

مسألة جديرة بالبحث والتحقيق، واستعرض في فصوله أهم ما يوهم التحريف قولا، وقائلاً، ودليلاً سواء كان من الشيعة أو السنة. وقد فصّل الكتاب علىٰ مقدمة وأبواب، وضمّن الباب الاول عدة فصول، أورد في الفصل الاول منه كلمات اعلام الشيعة في نفي التحريف، مبتدأً بالشيخ الصدوق، ومنتهياً باعلامهم المعاصرين.

في الفصل الثاني ذكر المؤلف ادلّة الشيعة علىٰ نفي التحريف من القرآن، والسنة والنبوية، واحاديث اهل البيت عليهم السلام كاخبار العرض علىٰ الكتاب، وخطبة الغدير، وحديث الثقلين، وما ورد في ثواب قراءة السور، وما ورد في الرجوع الى الكتاب، وما ورد من تمسك الائمة بالآيات وما دل علىٰ أن المصحف الموجود هو النازل من عند الله تعالىٰ، كما جاء في ما كتبه الامام علي بن موسى الرضا (ع) ثامن أئمة الشيعة للمأمون في محض الاسلام وشرائع الدين.

«وان جميع ما جاء به محمد بن عبد الله هو الحق المبين والتصديق به وبجميع من مضى قبله من رسل الله وانبيائه وحججه. والتصديق بكتابه الصادق العزيز الذي **(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)**. وانه المهيمن على الكتب كلها، وانه حق من فاتحته الى خاتمته، نؤمن بحكمه ومتشابهه ، وخاصه وعامه، ووعده ووعيده، وناسخه ومنسوخه، وقصصه وأخباره، لا يقدر أحد من المخلوقين أن يأتي مثله».

ثم استطرد في ذكر باق ادلتهم كالاجماع والتواتر والاعجاز وغيرها.

ووقف، في الفصل الثالث، وقفة نقاش ممتعه مع أحاديث التحريف، في كتب الشيعة، وذيّله بالشبهات حول القرآن، على ضوء أخبار الشيعة الامامية، في الفصل الرابع، وردّ علىٰ هذه الشهبات ردوداً مناسبة.

وفي الفصل الخامس دار البحث مفصلاً في الرواة لاحاديث التحريف من الشيعة، ثم انتقل الى الباب الثاني حيث السنة والتحريف، واحاديث الزيادة، والنقصان عندهم في تسع عشرة آيه وسورة وعدد الحروف والتبديل في الالفاظ، وقد افتتح الباب الثاني بقوله:

«وان المعروف من مذهب اهل السنة هو نفي التحريف عن القرآن الشريف وبذلك صرحوا في تفاسيرهم وكتبهم في علوم القرآن...».

وجاء في الفصل الاول من هذا الباب:

«قد ذكرنا ان المعروف، من مذهب اهل السنة، هو موافقة الشيعة الاثني عشرية في القول بصيانة القرآن الكريم من التحريف، فيكون هذا القول هو المتفق عليه بين المسلمين».

ثم ذكر احاديث كيفية جمع القرآن والشبهات الناشئه عنها.

وفي الفصل الثاني، ذكر الرواة لحاديث التحريف من السنة، وترجم لعشرة منهم، ثم قال رداً على سؤال يقول هل تجوز نسبة القول بالتحريف اليهم جميعاً؟

«لقد علم مما سبق في غضون الكتاب: ان مجرد رواية الحديث ونقله ل يكون دليلاً على التزام الناقل والرواي بمضموبه، وعلى هذا الاساس لا يمكننا ان ننسب اليهم هذا القول الباطل...».

اما الفصل الثالث من هذا الباب فقد كرسّه المؤلف للاقوال والآراء في اهل السنة، حول التحريف. وأحاديثه، وموقف علماء الشيعة، من هذه الاخبار والآثار، وموقف اهل السنة من هذه الاحاديث والآثار فقال:

«اما علماء الشيعة موقفهم من هذه الاحاديث، والاثار المنقولة عن الصحابة نفس الموقف الذي اتخذوه، تجاه الاحاديث المرويّة في كتبهم انفسهم .. فانهم بعد ما قالوا بعدم تحريف القرآن ـ للادلة القائمة عليه كتاباً وسنه واجماعاً ـ حملوا ما امكن حمله من احاديثهم المعتبره سنداً على بعض الوجوه، وطرحوا كل خبر غير معتبر سنداً أو غير قابل للتأويل...وهذا هو النهج الذي ينبغي اتباعه بالنسبة الى احاديث التحريف في كتب اهل السنة.. وبه يتم الجمع بين الاعتقاد بعدم التحريف والاعتقاد بصحة اخبار الصحيحين وغيرهما.. على أصول اهل السنة...».

واما موقف اهل السنه فقد قسمهم الى اربعة طوائف:

فطائفة يردون التحريف، ولا نعلم رأيهم فيه «وهؤلاء كثيرون بل هم اكثر رجال الحديث، والمحدثين، والعلماء الرواة، والناقلين لهذه الاحاديث..» حيث انهم

يروون ولا يصرحـون بآرائهم، فلا سبيل لمعرفتها والوقوف عليها.

وطائفة يروونه ويقولون به كابن جزي الكلبي في تفسيره، والخطيب الشربيني في تفسـيره ايضاً، حيث «اوردوا الاحاديث والاثـار الظاهـرة أو الصريحة في نقصان القرآن من غير جواب أو تأويل...».

وطائـفـة صرحت بوقـوع التحـريف واعتقدت به.

وطائـفـة روت وردّت أو أوّلت: «وهـم الذين لم يأخـذوا بمـا دلت عليـه تلك الاحـاديث، ولم يتبعـوا الصحـابـة فيما تحكيه عنهم تلك الآثار، وهم بين رادٍ عليها الرد القـاطع، وبين مؤول لها على بعض الوجوه..بالطعن في الراوي أو الرواية أو الصحابي..

وبعد هذه الجوله ناقش المؤلف الآثار الواردة في خطأ القـرآن، وتـرجم لعكرمة الراوي لأهـم هذه الآثـار، واستعـرض احـاديث جمـع القـرآن، وبحث مسـألة السور أو الآيات المدعى نسخها..كل هذا تم في الفصل الرابع.

وامـا في الفصـل الخامس فقد ناقش بالتفصيـل الاصلين المشهـورين وهمـا صحـة احاديث كتابي البخاري ومسلم، وعدالة الصحابة اجمعين.

واخيراً اختتم البحث بالدعوة الى العمل بكتـاب الله والتـمسـك بحبله فقـال:

فيا اهل الاسلام!! الله الله في القرآن .. في حفظه والعمل به والسعي في تطبيقه في المجتمعات الاسلامية.. لا يسبقكم بالعمل به غيركم..ولا ينبسنّ أحـد منكم القـول بتحـريفه والتلاعب به الى اخيه..فانه لم يثبت القول بذلك من أحد من الشيعه الا من شذ، ولم يقـل به من السـنـه الا الحشـويـة..لاحاديث لا يستبعد محققو الفـريقـين دسهـا بين المسلمين من قبل المـلاحـدة والزنادقة ... فعوا وكونوا على حذر من المشاغبين.

* * *

*** «في الواقع أن أي كلام وكتاب، وجميع الكتب السماوية الأخرى تكون صغيرة بل لا قيمة لها امام القرآن الكريم».**

توماس كارليل

قراءات سريعة في كتب قرآنية صدرت حديثاً

الكتاب: فرهنك قرآن [بالفارسية] ثقافة القرآن.

المؤلف: هاشم هاشمزاده هريسي.

الناشر: بيناد علوم قرآن [مؤسسة علوم القرآن].

الكتاب في ثلاثة اجزاء، وهو حلقة ضمن منهج دارسي مسلسل، أعدّه المؤلف في خمس مراحل، لتعليم القرآن الكريم قراءة وتفسيراً، والكتاب المذكور يمثل المرحلة الثالثة، من هذا المنهج، حيث تضمن مائة واربعين درساً، تعرض فيها لاربعة وتسعين موضوعاً، من خلال ذكر الآيات المتعلقة بكل موضوع، وترجمتها، وتلخيص تفسيرها ومقاصدها في سطور تحت عنوان «النتيجة» كل ذلك باسلوب ميسر مختصر، وعلى غرار التفاسير الموضعية.

الكتاب: تفسير القرآن الكريم (جزء تبارك).

اصدار: مؤسسة البلاغ.

عدد الصفحات: ١٥٢.

وهو تفسير ميسر مدرسي، اعتمد على الفهم اللغوي السليم، والقرآن والسنة كأساس للفهم، والتفسير، واستنباط المعاني القرآنية... قامت لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ بأعداده، مبسطاً، يصلح لتدريس طلبة المدارس المتوسطة والثانوية.

جدير ذكره أن المؤسسة سبق وأن قامت بتفسير جزء «عم» وطبعته ووزعته

أخبار قرآنية

*** مسابقات حفظ وقراءة القرآن**

اجرت منظمة الاعلام الاسلامي ـ فرع مدينة قم المقدسة، مسابقات حفظ وقراءة القرآن في يومي ١٧، ١٨، من ذي الحجة/ ١٤١٠. واشترك فيها لفيف من طلبة العلوم الدينية، من المحافظات الايرانية (خراسان ـ طهران ـ كردستان ـ المحافظة المركزية، باختران، مازندران، زنجان، كيلان، سمنان، بوشهر، سيستان وبلوجستان، يزد، ولرستان).

جدير بالذكر أن هناك جوائز تقديريه وزعت على المشاكرين من قبل سماحة آية الله السيد الكلبايكاني وقائم مقام مدينة قم المقدسة.

*** معجم موضوعي لتفاسير القرآن:**

يعْكف «مركز الثقافة والمعارف القرآنية» التابع لمؤسسة التبليغ الاسلامي «الحوزة العلمية ـ قم» على إعداد معجم موضوعي لتفاسير القرآن الكريم، لسد الحاصل في المكتبة القرآنية في هذا الحقل.

وقد ورد في برنامج المشروع، الذي وصل أخيراً الى «رسالة القرآن» ان الفهارس الموضوعية، التي وضعت لبعض كتب التفسير كالميزان، والظلال، والمنار، انما وضعت لتفاسير معينة ولم تراعَ فيها جوانب مهمة وضرورية.

ونظراً للمادة التفسيرية الغنية المتناثرة في اكثر من ١٥٠٠ تفسيراً اقدم المركز المذكور، على اعداد هذا المشروع، الذي يحقق فوائد جحة..فيها:

أـ انجاز هذا المشروع يمكننا من استخراج المعلومات المتوفرة في موضوع واحد ـ كالعصمة، والمتناثر في ثنايا التفاسير، ثم تنظيمها وترتيبها للوصول الى نتائج مهمة.

ب ـ يعيننا هذا المعجم على استكشاف آراء المفسرين في موضوعات محددة ضمن المعارف الدينية، سواء عن طريق المقارنه بين الاراء، أو دراستها دراسة مستقلة.

حـ ـ سيؤدي المعجم الموضوعي للتسافسير دور الكشاف المضوعي وبالنهاية سيسهل عملية الوصول الى الموضوعات المطلوبة.

دـ يهيء المعجم الظروف المناسبة لاعداد مجاميع موضوعية مستقلة حول المباحث التاريخية، والاجتماعية، والفقهية، والسياسية، والكلامية و... وغيرها من زاوية نظر المفسرين.

هـ ـ تكامل البحوث النقاصة، أو التي لم تشبع بحثاً على ضوء النكات والمواضيع المتناثرة، في اماكن عديدة من التفاسير.

من جهة أخرى، للمشورع ضوابط وحدود ذكرت مفصلاً في هيكلية المشروع المعدّة سلفاً ومن جملة هذه الضوابط.

ان عمل المشروع يطال كل التفاسير المتداولة المشهورة، والتي يمكن ان تصل اليها يد المؤسسة المذكورة عدا التفاسيرالخطية والتفاسير المختصرة جداً المقتصرة على شرح معاني الالفاظ، وفق الله الجميع لخدمة كتابه العزيز.

* دعم ورعاية حقل الدراسات القرآنية:

تقوم معاونية الابحاث والدراسات في «وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي ـ ايران» برعاية ودعم المؤسسات والشخصيات المتخصصة في حقل الدراسات القرآنية، وقد اسست قسماً خاصاً في الوزارة لهذا الغرض.

* أصغر نسخة من القرآن الكريم:

توصلت شركة فرنسية مؤخراً بتقنية متقدمة، الى حفر القرآن الكريم بصفاته

كلهـا، على «كـريستال» مساحته اقل من سنتمترين مربعين.

من اجـل تحقيق هذا الانجـاز، وهـو الأول من نوعه، طورّت الشركة ابحاثاً على مدى ثمانية عشر شهراً في حقل المعلوماتية والالكترونية، واستعملت في ذلك «كمبيوتر» ذا امكانات واسعة.

وفي اول تطبيق عمـلي لهذه الابحاث، اختـار كبير مهندسي الشركة اكثر الكتب الدينية انتشاراً منذ اربعة عشر قرناً، أي القرآن الكريم. وقد قصدت الشركة من هذا الاختيار تحقيق أمرين: ان تصنع أصغر نسخـة مرّات في التاريخ، وأن تحفظ هذا الكتاب المقدّس بافضل التقنيات الحديثة. لأن النسخـة الجـديـدة من القـرآن سيتـوارثهـا الانبـاء والاحفـاد. وقـررت الشركة المنتجة تحويل قطعة «الكريستال» الى مجوهرة على شكل قلادة ذهبية أنيقة: وعـهـدت بصنعهـا الى كبـار مصممي المجـوهـرات في باريس وجنيف. القـلادة القرآنية ذات خطوط نقيّة ومتميزة.

[عن العالم ـ العدد (٣٣٢) ـ ٢٩ ذو العقدة ١٤١٠ هـ].

* * *

* «منذ زمن بعيد والسفينـة المنفصلة عن الله تُبعدنا عن الحقائق المقدسة للقرآن.. ولكن كلّما تقدمنا في مجال العلم، اتضح لنا تأثير هذا الكتاب العظيم في عالم الوجود .. ومما لاشك فيه ان هذا الكتاب سيصبح في النهاية محوراً لأفكار العالم».

غوته